الديمقراطية والاشتراكية في السودان

تأليف: علي عبد الرحمن الأمين

منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

الديموقراطية والاشتراكية

في السودان

تأليف

علي عبد الرحمن الأمين

الناشر
المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

جهز الكتاب / ابوبكر خيري

بسم الله الرحمن الرحيم

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعـــداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتـــه اخوانا . »

صدق الله العظيم



حين خط المجد في الأرض دروبها ..
عزم ترماقا وإيمان العروبة .
عربا نحن حملناها ونوبة ....
ابوبكر
خيري

رجب ١٣٩٠ هـ سبتمبر ١٩٧٠



إهداء الكتاب

★ الى ابطال السلطنة الزرقاء وابطال سلطنة دارفور الغراء الذين غرسوا جذور القومية العربية في ارض السودان فامتصت العناصر النوبية والبجاوية والزنجية فاستعرب الجميع .

★ الى ابطال جيوش المهدية الذين قاوموا الجيوش البريطانية التـي احتلت السودان بشجاعة نادرة فسقطوا في ميدان التضحية والجهاد مثالا يحتذيه الابناء والاحفاد .

★ الى ابطال ثورة اللواء الابيض : الذين تحدوا المستعمرين ورفعوا شعار « وحدة وادي النيل » فوضعوا بذلك اساس الوحدة العربية الشاملة .

★ الى اولئك الابطال الذين قاوموا المؤسسات الاستعمارية من مجلس استشاري وجمعية تشريعية فانقذوا البلاد من تضليل الاستعمار ومصائد الرجعية .

★ الى قادة مؤتمر الخريجين وقـادة الاحزاب السياسية الوطنية المخلصين الذين أرسوا بكفاحهم المرير قواعد الحريـة وركائز الديمقراطية وأسس الاشتراكية العربية فأصبح الآن طريقها معبدا للسالكين .

★ الى الضباط الاحرار الذين حاولوا ازالة الدكتاتورية العسكريـة فكانت انتفاضة أكتوبر الشعبية استجابة لدمائهم الزكية المسفوكة وصرخاتهم الثورية المكبوتة .

★ وقبل هؤلاء جميعا وبعد هؤلاء جميعا الى الشعب السوداني البطل في كل العهود وفي كل الظروف فهو الذي دفع كل من تقدم من المناضلين الى ميادين الجهاد وامدهم بالماء والزاد والعتاد ووقف من حولهم يشد ازرهم ويسند ظهورهم يرفع مـن قدر المناضلين الصامدين ويسقط مـن حسابه المتخاذلين الانهزاميين .

★ الى كل هؤلاء واولئك اهدي كتابي هذا

« علي عبد الرحمن الامين »

مدخل

موضوع هذا الكتيب هو البحث عن نوعية النظام الاشتراكي والمنهج الديمقراطي الذي يتمشى مع اوضاعنا وتقاليدنا وواقعنا التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي وبحث ذلك على ضوء الثورة العربية الاشتراكية التي انبثقت من ذلك الواقع لتقود البلاد الى تحقيق مجتمع الكفاية والعدل . وقد تناول الكتاب بالبحث والدراسة السريعة اعطاء القارىء صورة واضحة للنظام الديمقراطي الليبرالي والنظام الديمقراطي الشعبي وارتباط الاول بتعدد الاحزاب والاستناد الى القوى المسيطرة على الشعب المستغلة لجماهيره . وارتباط الثاني بتحقيق الاشتراكية التي تحرر الانسان من قيود التبعية والخضوع لتلك القوى .

كما تعرض الكتاب الى نقد الثورة في بعض تصرفاتها واتجاهاتها التي برزت في غضون العام الذي انقضى بعد ممارستهاحكم البلاد نقدا بانيا الغرض منه التنبيه الى بعض الخطوات التي لا بد للثورة من سلوكها لضمان نجاحها في تحقيق أهدافها . ذلك هو الموضوع الرئيسي الذي من اجله وضع هذا الكتاب وقد تضمنه القسم الثاني ــ ولكني رأيت ان لا بد من استعراض تاريخ السودان من اول عهد تكونت فيه القومية العربية الى العهد الذي بدأت فيه الحياة الديمقراطية وهو استعراض سريع تناول التطورات والاحداث البارزة بالسرد والتحليل والنقد في شيء كثير من الايجاز وقد استوعبت ذلك الجزء الاول ــ وذلك ليكون للقارىء بمثابة

القواعد الخلفية التي يرتكز اليها وهو يتابع قراءة المواضيع الرئيسية التي من اجلها وضع هذا الكتاب •

ولا بد لي من تأكيد تأييدي للثورة وحماسي لها • فانا رجل عربي الاتجاه وقد سيطر هذا الاتجاه العربي المتحرر على كل تصرفاتي في المجال السياسي منذ بزوغ شمس الحركة الوطنية في نطاق مؤتمر الخريجين • الذي قام لتوعية الجماهير ونشر لواء التعليم في أرجاء البلاد • ادراكا من الطبقة المثقفة من خريجي المدارس والمعاهد العلمية بالسودان ان نشر التعليم بين المواطنين وبسط التوعية السياسية بين طبقات الشعب امران ضروريان لكل حركة وطنية • وهما يمثلان القاعدة الصلبة التي سيستند اليها المجاهدون الوطنيون ويستمدون منها القوة على الكفاح والخبرة بشئون النضال • ومنذ أن تحول مؤتمر الخريجين بعد أربعة أعوام من قيامه وبعد ان انشاء شبكة واسعة النطاق من المدارس والمعاهد فاقت ما أنشأه الحكم الثنائي في الاربعين سنة التي سبقت قيام المؤتمر • منذ أن تحول مؤتمر الخريجين الى ادارة سياسية أخذت تكافح وتناضل لتحرر البلاد من الاستعمار • منذ ذلك الوقت التزمت الاتجاه العربي عن اقتناع لاتشوبه شائبة من التردد في كل الظروف • وآمنت بالقومية العربية منذ ان بدأت الثورة العربية في مصر بقيادة الزعيم العظيم جمال عبد الناصر تبعثها من الركام الذي اهاله عليها الاستعمار منذ القرون الوسطى وايقاظها من سباتها الى ان ظهرت اخيرا في ثوب لحمته وسداه التراث المشترك واللغة الواحدة والكيان المتحد الذي تقاربت في نطاقه المشاعر والعادات والتقاليد والوحدة السياسية التي ضمت الارض العربية قرونا من السنين لم تعرف اثناءها هذه الفواصل الصناعية والحدود الوهمية • الى ان هاجمها في القرون الوسطى الاستعمار حينما كانت الامة العربية في غفلة مميتة وفي نوم عميق • فلا بد والحال هذه من تأييدي وحماسي لثورة مايو المجيدة التي اعلنت منذ اللحظة الاولى ايمانها بالاتجاه العربي المتحرر •

كما أنني رجل اشتراكي مؤمن بهذا السلوك الاشتراكي منذ سني الدراسة • فقد اقتنعت من دراساتي الاسلامية وتفهمي لروح الاسلام وفلسفته ان الاشتراكية هي الحياة التي يدعو لها الاسلام ويطالب البشر سلوكها • فالاهتمام بالفقراء والمساكين والزام الاغنياء برد حقوقهم اليهم والثناء على أولئك الموسرين «الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» وفرض الزكاة في كل أنواع الاموال من ذهب وفضة وزرع وثمار وعروض تجارية ومواشي وانعام الى غير ذلك من ضروب الثروات • وتعيين مصارف الزكاة وجعلها ضريبة تتصاعد كلما تصاعدت الثروة • وجعلها فرضا مقرونا بالصلاة تدور معها في كل موضع من القرآن الكريم ، والتنديد بالرأسماليين « الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ووعيدهم بالعذاب الشديد (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وهذه الدعوة الصارخة المتكررة في القرآن في جميع صوره تحث على الرفق بالفقراء والعطف عليهم والاهتمام بتيسير العيش لهم • حتى بلغ الامر باهتمام الاسلام بهم ان جعل الانفاق عليهم من بين العقوبات التي يعاقب بها من خالف بعض تعاليم الاسلام • فالذي يفطر في رمضان عمدا من بين العقوبات التي يعاقب بها اطعام ستين مسكينا • والذي يحنث في يمنيه عامدا من بين العقوبات التي يعاقب بها اطعام عشرة مساكين• كما أن نظام التوريث في الاسلام نظام اشتراكي فالفرد الموسر حينما يموت توزع ثروته الى عدد كبير من أفراد الاسرة امعانا في تفتيت الثروة المتجمعة في يد واحدة وتوزيعها على أكبر عدد ممكن • الى غير ذلك من الطرق العديدة التي رسمها الاسلام لتوزيع الثروة ومنع تكديسها في أيد قليلة وحرمان الكثيرين عنها بما يقرب بين طبقات الشعب • ويؤدي الى التلاحم والتوادد واشاعة العطف والرفق • والحيلولة دون الطغيان والتعالي ودون الذلة والمسكنة والحقارة وحتى تكون الامة « كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » •)

واني لم اقتنع انا شخصيا بالاشتراكية لاني تربيت على هذه المبادىء الاسلامية فقط • بل اقتنعت ان هذه الاشتراكية لا بد ان يرحب بها الشعب السوداني ويقبل على تطبيقها • فنحن شعب مسلم نأخذ كل ما يدعو اليه الاسلام بقلوب مفتوحة ونفوس راضية ونأخذه على انه النظام الذي يوافق مشاعرنا وعقائدنا وسلوكنا •

ومنذ ان تطورت الحركة الوطنيةوقامت الاحزاب السياسية عمدنـا انا وكثير من زملائي على تجسيد هذين المبدأين : الاتجاه العربي المتحرر والنظام الاشتراكي• وكان ذلك واضحا كل الوضوح ومفصلا تفصيلا تبرز معالمه حينما اتيحت لنا فرصة انشاء حزب الشعب الديمقراطي • الذي كنا نملك وضع مناهجه وفق مبادئنا وافكارنا ــ ولعل من المناسب ان نذكـر هنا بعض مواد دستور حزب الشعب الديمقراطي الاشتراكية : ــ

المبدأ الخامس : العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص :

يعمل الحزب على تحقيق العدالة الاجتماعية على أسس متينة من المساواة في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين بلا تمييز في العنصر او اللون او المعتقدات •

السياسة الداخلية ــ المادة الاولى :

يؤمن الحزب ويعمل على تحقيق المبادىء الاشتراكية التي لا تتعارض مع روح الاسلام وحكمة تشريعه ••• نحن نؤمن بالنظام الاشتراكـي العلمي الذي يقوم على وفرة الانتاج وعدالة التوزيع • غير اننا نـرى ان تطبيق هذه المباديء الاشتراكية يجب ان تتمشى مع واقع السودان وطبيعة مجتمعه كما ينبغي ان لا تتعارض مع روح الاسلام وحكمـة تشريعه •

تنفيذ الاشتراكية في بلادنا :

أ) مشكلة الارض والاستغلال الزراعي :

ليس في السودان لحسن الحظ مشكلـة فيمـا يختص بالارض لا

ـسكنية ولا الزراعية ، أما السكنية فلأن القوانين القائمة جعلت أراضي ـسكن في يد الدولة سوى ما سبق تملكه بواسطة الأفراد او الهيئـات وهو نـزر يسير لا يشكل خطرا على المجتمع السوداني • أمـا الارض الزراعية فلأن عدد الفلاحين في السودان عدد ضئيل جدا بينما الارض الصالحة للزراعة والتي يمكن ريها بماء النيل وغيره من الهيرات الصغيرة وبالامطار والآبار الارتوازية واسعة جدا • فبينما يرمي الاصلاح الزراعي في كثير من الاقطار الى توزيع الارض على الفلاحين حتى يجد كل فلاح الارض التي يزرعها فان الامر في بلادنا على العكس من ذلك فالحاجة ماسة الى توزيع الفلاحين على الارض حتى تجد كل ارض فلاحا يزرعها • غير ان هناك نوعا من الاستغلال الزراعي ينبغي زواله وهو هذه المشاريع الخصوصية على النيلين الابيض والازرق فان امتياز الزراعة يعطي عـادة لعدد قليل من الافراد ويقوم بتمويل المشروع بنك او مصرف • هو فـي الغالب أجنبي ويستحوذ أصحاب الرخصة وهـم أصحاب امتياز زراعة المشروع وهم عدد ضئيل النصيب الاوفر كما يأخذ الممولون نصيب الاسد من أرباح المشروع بينما يأخذ الفلاحون وهم نحو الالف في المشروع الواحد أو يزيدون مع أنهم هم الذين يباشرون الزراعة بالفعل قدرا ضئيلا لا يتناسب مع مجهودهم ولا ريب ان هذا النظام يشكل نوعا من الاستغلال المجحف بالفلاحين وضربا من الاستعمار الاقتصادي ـ بالنسبة للممولين الاجانب ـ ويرى الحزب ان يسلك في حل هذه المشكلة مسلكا ـ متزنا يرمي الـى زوال هذا الوضع دون ان يؤثر على الانتاج الزراعي وذلك باتخاذ الآتي :

١ ـ كـل مشروع زراعي لا تزال هناك مدة باقية لرخصته تتولى الدولة باقي تمويله ويرفع يد الممول عنه أجنبيا كان أو سودانيا وترد ما كان يأخذه الممول من الارباح الى الفلاحين •

٢ ـ أي مشروع قائم الآن لا تجدد رخصته عند انتهاء مدتها الا على اساس تعاوني يكون للفلاحين المباشرين للزراعة بالفعل اغلبية الاسهم

وتعطى الاولوية في باقي الاسهم للمزارعين الفائضين على الارض الزراعية في بعض مناطق السودان ــ كالمديرية الشمالية .

٣ ــ لا تعطي رخصة جديدة لمشروع زراعي الا على اساس تعاوني بشرط ان يكون للفلاحين المحليين اغلبية الاسهم .

٤ ــ تعدل قوانين البنك الزراعي بحيث يمنح المزارعين السلفيات اللازمة بدون فوائد مساعدة للفلاحين وتمشيا مع احكام الشرع الاسلامي.

٥ ــ الآلات الزراعية كالتراكتورات والمحاريث والمحالج وماكينات الحصاد وغيرها من الآلات الزراعية تملكها الدولة للفلاحين بطريقة تعاونية.

٦ ــ المشاريع المؤممة بالفعل وهي : مشروع الجزيرة ــ مشروع القاش ــ مشروع الجنيد ــ مشاريع المعيشة ــ مشروع جبال القومة ــ مشروع الزاندي ــ مشروع زراعة الارز ببحر الغزال ــ وغيرها من المشاريع الزراعية الحكومية يرى الحزب انها قائمة على اسس اشتراكية غير انه يرى ضرورة نقل ادارتها الى أيدي المزارعين على أسس ديمقراطية وأن يكون ذلك على مراحل متدرجة حفاظا على هذه المشاريع العظيمة من اية هزة بادئا بمشروع الجزيرة لانه اكثر تقدما والفلاح فيه اكثر وعيا واستعدادا لتنفيذ هذه الخطوات فورا ثم يتلو ذلك المشاريع الاخرى على ضوء تجربة مشروع الجزيرة .

٧ ــ تضيق الارض الزراعية في كثير من مناطق المديرية الشمالية فلا يجد الفلاحون الارض الكافية ويرى الحزب اعطاء الفلاحين الفائضين في مثل هذه المناطق الاولوية في الحصول على الاسهم الفائضة في الجمعيات التعاونية التي ستؤول اليها المشاريع الخصوصية في النيلين الازرق والابيض كما يرى الحزب تعميم النظام التعاوني في المديرية الشمالية وجمع اكبر عدد ممكن من المزارع الصغيرة لبعضها لتكوين مزارع كبيرة قادرة على زيادة الانتاج وان يكون للفلاحين اشتراك في ادارتها .

٨ ــ ادخال النظام التعاوني في مزارع خور بركة واربعات والمزارع

لآتية في مناطق القفارف والدالي والمزموم وفلوج وملوط وليفون وغيرها من المناطق الزراعية الهامة .

ب) موارد الثروة الرئيسية كالمناجم والمعادن ووسائل النقل الكبيرة كالسكك الحديدية والبواخر البحرية والنيلية والطيران المدني والمؤسسات ذات النفع العام كمؤسسات الماء والكهرباء يستمر ما في يد الدولة الآن منها على ما هو عليه وتستولي الدولة على ما يجد منها .

ج) حينما توجد الصناعات الثقيلة تكون في يد الدولة ولا يسمح بها للافراد ولا الجماعات اما الصناعات الخفيفة فتترك للافراد والجماعات لتكون محل تنافس لتنمو وتزدهر ، والصناعات المتوسطة تساهم الدولة بنصيب معقول في كل مصنع منها لتتمكن عن طريق هذه الشراكة من الرقابة والاشراف الفعلي على تطور وازدهار الصناعة والسير بها قدما في طريق النمو لتدعيم الاقتصاد القومي . ولتتمكن الدولة عن طريق هذه الشراكة من حماية العمال ورعايتهم ورفع مستواهم المهني والمعيشي .

د) كل مصنع من مصانع الصناعات الخفيفة يرتفع الى مستوى الصناعات المتوسطة يدرج في قسم الصناعات المتوسطة ويخضع لمساهمة الحكومة فيه .

هـ) يعمل الحزب على حماية الانتاج القومي من المزاحمة الاجنبية .

و) وضع رقابة فعالة واشراف محكم على التصدير والاستيراد اذ لا يمكن سير التجارة في الاتجاه الوطني وابعادها عن السيطرة الاجنبية والحيلولة دون اتخاذها وسيلة للنفوذ الاجنبي ومنفذا للقوى الاستعمارية والتغلغل الاسرائيلي الا بالسيطرة الفعالة على وسائل التصدير والتوريد .

المادة الثالثة : تنمية الثروة ورعاية المزارعين والعمال :

يعمل الحزب على النهوض بالمشاريع الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية لاستثمار موارد البلاد وتنمية الثروة القومية ورفع مستوى المعيشة لكافة طبقات الشعب ــ وخاصة المزارعين والعمال والرعاة لانهم

القوى الانتاجية الرئيسية التي يقوم عليها اقتصاد البلاد .

المزارعـون :

لا ريب ان المزارعين في بلادنا هم القوى المنتجة الاساسية لان بلادنا في الواقع قطر زراعي . والدخل القومي يتوقف الى حد كبير على المحاصيل الزراعية لذلك ينبغي العناية بالفلاحين باعتبارهم الاساس الذي تقوم عليه اقتصاديات البلاد ويرى حزب الشعب ـ الديمقراطي أن المزارعين في المشاريع الحكومية على وجه العموم وفي المشاريع الخصوصية فـي النيل الابيض والازرق قد اصبحت لهم اتحادات تتحدث باسمهم وترعى مطالبهم فينبغي أن يمهد السبيل لتلك الاتحادات لتكون على علـم بكل شئون المشروع وانتاجه وأن تمكن مـن الوقوف على حساباته على وجه العموم وحساب كل مزارع على وجه الخصوص وان تقوم جمعيات تعاونية من المزارعين انفسهم لفتح محلات تجارية تتوفر فيها كل حاجياتهم ومطالبهم ليرتفع استغلال التجار عنهم لتعود الارباح لهم وليختفي نظام (الشيل) الذي أثقل كاهل المزارعين وذهب بثمرة كدهم وكدحهم ، كما يرى الحزب تنظيم الخدمات الاجتماعية في مناطق الزراعة الآلية بالقضارف وبالفونج وغيرها ومراقبة سلوك أصحاب المشاريع الآلية مع عمالها الزراعيين والعمل على انصافهم من حيث أجورهم وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية لهم ورفع مستواهم ونشر الوعي الاجتماعي بينهم وعلى العموم يبذل الحزب جهودا كبيرة لانصاف الزراع ورعاية شؤونهم ورفع الحيف عنهم وتسليمهم أراض خاصة ليزرعوها ما أمكن ذلك ، كما ينبغي بذل جهود كبيرة في توفير العمال الزراعيين واغراء اولئك الذين يسكنون بعيدا عن مناطق الزراعة في الرجوع الى حيث توفر لهم الارض الخصبة ليزرعوها .

العمـــال :

العمال هم القوى المحركة لدولاب العمل في جميع مجالات التنميـة الاقتصادية والخدمات العامة . فلا بد من رعايتهم وحمايتهم والاهتمـام

بحل مشاكلهم • وحفزهم لبذل كل طاقاتهم في توفير الانتاج واتقان العمل • لذلك يرى حزب الشعب الديمقراطي ان تقوم الدولة بوضع القوانين الاشتراكية الديمقراطية التي تحقق رعاية الجوانب الانسانية في الالتزامات التي تفرض على أصحاب العمل وتحقق جوانب الخبرة والتدريب ووفرة الانتاج وفي الواجبات التي تفرض على العمال وذلك بتحقيق الآتي :

١ ـ كفالة الحريات النقابية حسبما نصت عليه اتفاقيات منظمة العمل الدوليـة •

٢ ـ عدم تحديد الحد الاعلى للاجور لا النقدية ولا العينية وذلك ليتدرج العمال للحصول على مزايا اضافية مع طول مدة الخدمة وتطور المسئولية والتدريب المهني واكتساب الخبرة والمهارة مع تحديد الحد الادنى اللائق •

٣ ـ اعتبار ما يحصل عليه العامل من مكاسب ومزايا وخبرة ومهارة أمرا يستحق عليه أجرا ـ نقديا أو عينيا ـ وعدم تعرض ذلك للضياع بسبب الفصل أو لأي سبب آخر •

٤ ـ حماية اجر العامل من تأثير الغرامات والاحكام القضائية او التفليسات او تغيير صاحب العمل •

٥ ـ كفالة حق العامل في ترك العمل بانذار او بدون انذار اذا توفرت ظروف خاصة كالاخطار المفاجئة حتى لا يفقد العامل بسبب تركه العمل تحت هذه الظروف حقوقه المكتسبة •

٦ ـ التأمينات والضمانات الاجتماعية ضد الشيخوخة والعجز الكلي و الجزئي او الوفاة مع ضمان الاجراءات الوقائية ضد الاخطار والامراض الناتجة من طبيعة العمل •

٧ ـ ايجاد محاكم ادارية مشتركة بين العمال واصحاب العمل والمتخصصين في الشئون العمالية لمعالجة قضايا الاجور ومستويات وكفاية الانتاج •

٨ ـ اشراك العمال في مجالس ادارة الشركات والمؤسسات الصناعية واشراكهم في الارباح بنسبة تحددها الدولة •

وقد عملنا كل ما في وسعنا لتطبيق هذا الدستور الاشتراكي • غير ان النظام السابق الذي كانمرتعاللدسائس والمؤامرات ومسرحا للمحاورات والصراعات ومنفذا لتسرب ما يفرضه الاستعمار من توجيه عن طريق بعض الافراد والجماعات • كل ذلك جعل ما حققنا من مبادئنا الاشتراكية ضئيلا• ولكن الوجه الاخر للمسألة وهو ما حققناه من تخليص البلاد من مضار الرأسمالية المرتبطة بالاستعمار كان واضحا وعظيما مما جعل البلاد تخطو ـ باستمرار في الطريق القويم وتنفي باستمرار الانحراف في بنايات الطريق حتى وصلت الى هذا الاستقلال السياسي الكامل الخالي من اية ارتباطات مريبة والى درجة تخلص فيها من كثير من الارتباطات والعوائق وهي تسير في طريق الاستقلال الاقتصادي والثقافي •

سردت كل هذا ليعلم الجميع انني أرحب بالثورة وأؤيدها كل التأييد لان ميثاقها الذي أعلنته صبيحة يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ يشمل على نفس المبادىء والاهداف التي ظللنا ندعو لها ونعمل على تعميق مفاهيمها في نفوس الشعب في كل الظروف التي مرت بنا سواء في ذلك النضال داخل البرلمانات او النضال في مجال التجمعات الشعبية في الميادين والشوارع والحارات ، وقد سعدت بهذه الثورة لاني أعلم أنها تستطيع ان تدفع بهذه المبادىء الى الامام بقوة وبسرعة حتى تصل الى تحقيق اهدافها العليا • بعكس الحال حينما كنا نحاول دفع المبادىء وسط التيارات والصراعات والمناورات فلا نستطيع الا ان نخطو خطو السلحفاة •

وسردت كل ذلك ليعلم الجميع حينما يتابعون نقدي للثورة بتفهم خالي من الغرض أن الاخلاص للثورة ليس معناه الموافقة على كل تصرفاتها والتطبيل والهتاف لكل أعمالها وأقوالها • بل ان الاخلاص للثورة يقتضي توجيه النقد والتنبيه على الاخطاء• فالنقد الباني هو الوسيلة الفعالة لسلامة

البناء وصيانته مـن الانحلال ووقايته مـن الخراب والدمار • فينبغـي أن يأخذ القارىء كل ما أذكره أو أشير اليه مـن خطأ ارتكبته الثورة أو ملاحظة على سلوكها مأخذا حسنا ويقدر دوافعه تقديرا صحيحا • فالصديق الجاهل والمواطن المنافق والعدو الخادع والمتحمس المنفعل كـل هؤلاء يسيرون وراء الزفة ولا يهمهم الى أين ينتهي الموكب ويتبعون كـل ناعق ولا يفكرون في معاني ذلك النعيق ومفاهيم ذلك الصراخ •

سردت كل ذلك وأنا آمل أن يفكر فيـه قادة الثورة بروح وطني سليم • ويأخذونه على انه كلمة حق املتها الرغبة الصادقة في استمرار الثورة في الطريق الذي يحقق مصلحة الشعب ويترجم ما وضح في ميثاقها الى اعمال خالية من كل نقص او شوائب • واملته الشفقة على الثورة ان تعوقها بعض التصرفات التي تبدو اول الامر صغيرة ضعيفة ثم تتطور فيتسع نطاقها ويستفحل امرها مهما كانت نوايا القادة حسنة ووطنيتهم صادقة واهدافهم سليمة •

قد يلاحظ البعض ــ وخصوصا زملائي اعضاء الحزب الوطني الاتحادي السابق ــ اني تكلمت كثيرا في هذا الكتاب عن حزب الشعب الديمقراطي واهملت جانبا الوطني الاتحادي مع ان الحزبين كانا الى يوم قيام الثورة حزبا واحدا هو الحزب الاتحادي الديمقراطي ــ ومع تقديري لهذه الملاحظة فان موقفي يضطرني الى هذه التفرقة فاني لا استطيع ان اتكلم عن الوطني الاتحادي كلام الواقف على تياراته المطلع على أسراره وذلك لاننا ابتعدنا عن الوطني الاتحادي منذ أكثر من عشر سنين كرسنا جهدنا أثناءها في حزبنا الجديد ــ الشعب الديمقراطي ــ فلا بد لي حينما اتعرض لاي موقف خلال هذه السنوات العشر ان اقف كثيرا امام رأي حزب الشعب الديمقراطي في ذلك الموقف وأشيد بمواقفه العظيمة الكثيرة وما قدمه للبلاد من خدمات جليلة وما وضعه من أساس للاشتراكية السليمة ثم الحزب الاتحادي الديمقراطي الذي جمع الحزبين مؤخرا فالواقع أن

بنيانه لم يكمل وآراؤه لم تنسجم ولجانه لم تنصهر الى أن فاجأته الثورة. فليس هناك محل للكلام عنه في أي موقف من المواقف .

فليعذرني زملائي اعضاء الحزب الوطني الاتحادي السابق اذا اهملت الحديث عنهم كحزب فلم يكن ذلك صادرا عن تعصب أو سوء قصد فقد ذهب الحزبان فليس هناك محل للتعصب واني اعرف جيدا ان هناك عددا كبيرا من رجالات الوطني الاتحادي السابقين وأعضائه الوطنيين المخلصين قدموا لهذا الشعب اجل الخدمات وانقذوه من كثير من الكوارث والملمات فلا يمكن لرجل مثلي ان يتجاهل نضالهم واستقامة تفكيرهم وصلابة عودهم بل لا يمكن ان اقدم على هذا التجاهل ما دامت خدمة الوطن هي الميزان الذي توزن به اقدار الرجال .

(علي عبد الرحمن الامين)

القسم الأول

الحركة الوطنية عبر التاريخ

لاحظت ان الفترة التي بدأت سنة ١٩٣٨ بقيام مؤتمر الخريجين الى يومنا هذا لم تحظ بشيء من الشرح والتوضيح واهملها المؤرخون والمثقفون مع ان الكثيرون منهم عاشوا في احداثها وكانوا عنصرا هاما في تكوين تلك الاحداث . حتى وصل الامر الى انك تناقش الكثيرين من المثقفين فتشعر انهم يجهلون الكثير مما جرى اثناء هذه الفترة وحتى الذين مكنتهم ظروفهم بمتابعته اوسمعوا عنه بعض التفاصيل لا يدركون ما يشوبه من اختلاق وتحريف وتضليل — واني لا أريد في هذه العجالة أن ادون تاريخا لهذه الفترة مع اني اعتقد ان تدوين تاريخها وذكر تفاصيلها وتحليل مواقفها أمر ضروري يقع على عاتق الكتاب والمؤرخين والباحثين ويحتاج الى وقت وجهد . فلنترك ذلك الى ان تحين الفرصة للمهتمين بأمر التاريخ والمهتمين بوضع القواعد الخلقية التي ترتكز عليها الجهود الوطنية وتنطلق منها القوى الثائرة لتستمد منها القوة والخبرة لفتح الطريق امام المسيرة الشعبية ولنكتف الآن بعرض التطورات الهامة والاحداث البارزة التي لازمت الحركات الوطنية فكانت في كثير من الاحيان عنصرا هاما في تكوينها ودفعها للامام وكانت أحيانا سببا في تعطيلها لانحرافها .

اني لا اريد في هذه العجالة ان ادون تاريخا لهذه الفترة ولكن لا بد

لي من استعراض معالم ذلك التاريخ بـل وعرض مـا سبق قيام مؤتمر الخريجين مـن أحداث وتطورات في شريـط يتضمن الصور الرئيسية التي تعطي القارىء بعض الاسس التي قد يحتاج اليها وهو يقرأ فصول هذا الكتاب الذي هو في الواقع بحث في نطاق الحلقة الاخيرة من تلـك السلسلة الطويلة لان الثورة لا يمكن ان تكون الانتاج لاحداث وتطورات سابقة لذا فان التحدث عن الثورة يقتضي مني استعراض حلقات السلسلة السابقة مـن يوم أن تكونت القومية العربية الـى يوم اعلان استقلال السودان •

القومية العربية :

انحدر سيل الشعب العربي من ارض الجزيرة العربية اثناء خلافـة سيدنا عمر بـن الخطاب نحو القطر المصري عبر سيناء وذلك عندما فتح الصحابي الجليل عمرو بن العاص مصر بتوجيه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٢٠ هجرية • ومع ان توجيه الخليفة كان يشوبه شيء مـن الحذر والاحتياط الا أن طموح القائد عمرو بن العاص ورغبته الشديدة في مد الفتوحات الاسلامية ـ التي انتظمت ممالك الفرس والروم وشمال وشرق آسيا ـ حتى تشمل مصر التي كانت بحق مفتاح افريقيا واوربا معا ـ وما كادت جيوش عمرو بن العاص تحتل مصر حتى انساب سيل الشعب العربي فغمر جميع القطر المصري ثم فاض على شمال افريقيا فغمر ليبيا وتونس والجزائر ومراكش الى ان وصل بلاد شنقيط (موريتانيا) على ساحل المحيط الاطلنطي • ثم أخذ العرب ينحدرون من شمال افريقيا نحو الجنوب فوصل ربوع السودان أفواج منهم اتجهت جنوبا عن طريق النيل مخترقة مملكة النوبة والمقرة وعلوة • وقد عبدت الطريق امام هذه الافواج المعاهدة التي عقدها القائد عبدالله بـن سعد بن أبي سرح والي مصر في خلافة عثمان بن عفان مع ملك النوبة قليدرون سنة ٣١ هجرية • واتجهت افواج اخرى من اقاليم ليبيا وتونس عبر الصحراء الى ربوع

كردفان وسهول دارفور • كما اتجهت وفود عربية عبر صحراء نوبيا الى منطقة الواقعة بين حدود مملكة النوبة في الشاطيء الشرقي لنهر النيـــل وبين سواحل البحر الاحمر شرقا •• هذا بخلاف بعض الافراد والجماعات التي عبرت البحر الاحمر عن طريق عيذاب وسواكن وارتيريا وعبر بلاد الحبشة وعن طريق باب المندب وتسربت الى داخل السودان من سفح هضبة الحبشة من جهة الغرب • وما ان استقرت هذه الافواج — في المناطـــق الغربية والوسطى والشرقية من سودان اليوم حتى قامت سلطنة دارفور سنة ١٤٤٥ م واستمرت حتى سنة ١٧٨٧ • كما قامت مملكـــة الفونــج (سلطنة الزرقاء) التي استمرت من سنة ١٥٠٥ م الى سنة ١٨٢٠ م • وتمتعت هاتان الدولتان بكل مقومات الدولة وحكمها سلاطين وامراء وملوك ومكوك ومشايخ بادارة محكمة منتظمة • واتصلت الدولتان بالعالم الاسلامي وخصوصا دولة الفونج التي وفد اليها كثير مـــن علماء الازهر وعلماء الحجاز وعلماء العراق وعلماء المغرب • وكانت مساجدها عامرة بالتدريس والعبادة ومشى فيها السلوك الصوفي جنبا الى جنب مع علوم الفقه والتفسير والحديث فكان للعلماء والمتصوفة مكان مرموق ومنزلـــة رفيعة في ذلك المجتمع ولهم عند الحاكمين كل وقار واحترام • وتوطدت دعائم الاسلام في هذه الرقعة من ارض الوطن ورسخت جذوره وتلاشت الفوضية والفتشية وانواع الوثنية التي كانت سائدة في البلاد قبل قيام هاتين الدولتين العربيتين الاسلاميتين فلم يبق منهـــا الا اثـــر ضيئل فـــي مرتفعات الجبال ومنحدرات الوديان وبين اشجار الغابات • وفي اثناء هذه الفترة التي بدأت بدخول العرب أرض السودان كافراد وجماعات قليلة في عهد الجاهلية وبعد ان دخل العرب منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب أفواجا أفواجا عن طريق البحر الاحمر عبر الحبشة وعن طريق النيل عبر مملكة النوبة وعن طريق أقاليم ليبيا وتونس عبر الصحراء العربية الى أن انتهت سلطنة دارفور ومملكة الفونج وانضمت أقاليمها الى خديوية مصر التابعة للامبراطورية العثمانية وذلك بعد حكم استمر أكثر من ثلاثة قرون •

أثناء ذلك تم امتزاج الدم العربي بدماء البجه والنوبة والفور والحاميين النيليين والزنوج الافريقيين وبعض العناصر الشركسية والتركية في اقصى الشمال وذلك بالمصاهرة والاختلاط حتى لا يستطيع الانسان الان ان يجزم بان هناك عربي يخلو دمه من قطرات من تلك الدماء غير العربية • ومع هذا الاختلاط الشامل ظلت اللغة العربية هي اللسان الوحيد الذي يوحد هذا الشعب ويترجم عن مشاعره وأفكاره • وقرب هذا الاختلاط من شئون الحياة ومن رقعة الارض بين الجميع وكانت اللغة الواحدة هي العنصر الفعال في ربط هذا الشعب برباط العادات والاخلاق والتقاليد • ووحدت ظروف الحياة المشتركة بين افراد وجماعات هذا الشعب فعاش قرونا طويلة في تراث مشترك وحكم مشترك ومصالح مشتركة — وليس السودان وحده بدعا في ذلك بل ان كل الشعب العربي شعب واحد مع ان المقيمين في كل قطر من الوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط لا تخلو دماؤهم من الدم القبطى او الفينيقي او الكردي او الفارسي او البربري او الزنجي وحتى الحجاز لا يخلو ساكنوه من دماء الكثير من بقايا الحجاج من الجنسيات الاسلامية المختلفة • ولكن هذه الشعوب عاشت كلها في اطار واحد وكيان سياسي متحد وتراث تاريخي مشترك ومصالح مرتبطة وتتكلم جميعها اللغة العربية وهي اللسان الوحيد الذي ينتظمها جميعا فيعبر عن افكارها ومشاعرها ويكون عقليتها وعاداتها وتقاليدها — لذلك ينبغي ان يعلم اولئك الذين يرفعون صوتهم هنا في السودان من وقت لاخر ليقولوا كيف تنادون بالقومية العربية أو تريدون أن تقحموها على هذا الشعب اقحاما وعدد العرب فيه لا يتعدى الى ٥٠٪ مهما تسامحنا — ينبغي ان يعلم من يرفعون صوتهم بهذا المنطق المعوج في السودان أو اضرابهم في كل بقعة في الوطن العربي ان القومية العربية ليست عنصرية بل هي لغة واحدة وكيان مشترك ووحدة سياسية عميقة الجذور ومشاعر متجاوبة ومصالح مشتركة وقد تكونت بعد سنين قليلة من تدفق التيار العربي من جزيرة العرب وغمر كل هذه المناطق منذ خلافة سيدنا عمر بن الخطاب الى يومنا

هذا • وما هذه الفواصل التي قسمت الوطن العربي الى دويلات ومملكات وسلطنات وجمهوريات ومشيخات الا تمزيق قام به الاستعمار في عهـد كان الشعب العربي فيه في تدهور شامل وضعف قاتل • كما ان القوميـة العربية لا ارتباط لها بالدين فكل المتكلمين بالعربية في الوطن العربي الكبير داخلون في نطاق القومية العربية على اختلاف عناصرهم وعلى اختلاف اديانهم فالسودان يدخل كله في نطاق القومية العربية سواء في ذلك النوبة والبجه والفور والعرب والحاميين والزنوج وسواء في ذلـك المسلمون والمسيحيون والوثنيون والآن وقد استيقظ الشعب العربي من سباته فقد نفض الغبار عن قوميته وكان انتزاع الصهيونية لارضه وعدوان الاستعمار الامبريالي على وطنه حافزا قويا دفـع بعجلة القومية العربية الى الامام فانضوى تحت رايتها الخفاقة كـل عربي فهي تسير قدما نحـو أهدافها العظيمـة •

التركية السابقة للمهدية

في مطلع القرن التاسع عشر وافقت الامبراطورية العثمانية على منـح محمد علي باشا حق السيادة الفعلية والسيطرة المباشرة على القطر المصري وأن تكون مصر خديوية وراثية يحكمها هو وأولاده من بعده مع بقائها جزئا من الدولة العثمانية « ولاية » وعلى أن يكون السودان حكمدارية تابعة خديوي مصر يحكمها حكمدار يعينه الخديوي • وعلى أثر ذلـك اتجه محمد علي باشا بجيش جرار يقوده ابنه اسماعيل باشا لفتح السودان وذلك عام ١٨٢٠ • وكانت العوامل التي دفعت محمد علي باشا لفتح السودان متعددة وفي مقدمتها ضـم السودان لخديويته تنفيذا للفرمان الذي اصدره الباب العالي بمنحه خديوية وادي النيل • ومن بينها الطمع في الاستيلاء على مناجم الذهب بمنطقة بني شنقول وغيرها ومنجم الزمرد في هضاب البحر الاحمر وغير ذلك من المعادن النفيسة التي اشيع انهـا تكمن في مناطق متعددة من ارض السودان • ومن بينها ايضا الرغبة فـي

تقويــة جيشه بتجنيد السود القاطنين في جبــال النوبة وهضاب الفونج والمناطق الجنوبية من السودان لاشتهارهم بالشجاعة والثبات في القتال كما انه كان يطمع في اكتشاف منابع النيل • وهكذا تم لمحمد علي باشــا فتح السودان بعد حروب كثيرة ومعارك متعددة •

واصبح السودان مستعمرة تركية تحت حكمدارمن الاتراك وموظفين من المصريين وخبراء من الاجانب • واستمر ذلك الحكــم المعــروف في السودان باسم (التركية السابقة) من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٩٨ • غير انه كان حكما بالغ بعض المؤرخين في وصفه بالفساد والرشوة والمحسوبية ولكن المآخذ الحقيقية على ذلك الحكم التركي الذي كان فاسدا فــي بعض السنين معتدلا في البعض الاخر تبعا لصلاح وفساد الحكمدار بالخرطوم واعوانه هي انه حكم مكن للنفوذ الاوربي من التسرب الــى السودان • وانتهز اولئك الاجانب فرصة اتساع البلاد وضعف الحكومة في الاقاليم النائية فانتشرت تجارة الرقيق • وقام قناصل الدول الاوربية في الخرطوم بادارة وتمويل تلــك التجارة فزودوا عملاءهم مــن التجار المصريين والسودانيين واليونانيين بعصابات مسلحة ودفعوا بهم الى الاحراش والغابات والجبال والوديان بالمديريات الجنوبية وبجبال النوبة وبمناطق الفونج وببوادي دارفور لجلب الرقيق ونهب العاج وسن الفيل • وأقيمت الزرائب في جهات متفرقة من تلك المناطق لوضع الرقيق داخلها ووضع قوة من العصابات المسلحة لحراستهم حتى لا يستطيعوا الهروب وذلك ريثما ينقلون الى الاسواق التي قامت في عدة مدن بالسودان لهذه التجارة كالابيض وفشوده والقلابات والخرطوم والمسلمية وواد مدني وسنار والقضارف وكسلا وبربر وسندي حيث يجتمــع عمــلاء التجار الاوروبيين ومندوبي قناصل الدول الغربية فيشترون الرقيق ويبعثون به الى مواني ايطاليا وفرنسا واسبانيا والبرتغال والى ميناء لڤربول وبرستول بانجلترا •

واستمر انتشار هذه التجارة في كل ارجاء افريقيا واستمر نشاطهــا

ن السودان حتى بعد زيارة محمد علي باشا للسودان سنة ١٨٣٩ وقراره
الخديوي بالغاء هذه التجارة ذلـك القرار الذي أعلنه بنفسه في السودان
اثناء تلك الزيارة • غير أن النخاسين الاوروبيين لم يتخلوا عن زرائبهم الا
سنة ١٨٦٠ في عهد الحكمدار جعفر صادق الذي استولى على تلك الزرائب
وقصر عملها على تجارة العاج • ولما وقعت الدول الاوربية اتفاقية بروكسل
في سنة ١٨٩٠ — بابطال تجارة الرقيق شرع الاستعمار عقب ذلك مباشرة
في زحف على افريقيا في ثوب الشفقة والرحمة على البسطاء الذيـن
يستعبدهم تجار الرقيق • فجاء غوردون الى السودان بدعوى العمل على
ابادة تجارة الرقيق وتعقب فلول النخاسين • واستمر هو واعوانـه
يعملون فعلا لابطال تجارة الرقيق بالنسبة للافراد ولكنهم يعملون في نفس
الوقت ليمهدوا للاستعمار الذي هو في الواقع تجارة للرقيق بالجملة •

كان السودان ابان فترة التركية السابقة للمهدية على صلة بالعالـم
الاسلامي فهو جزء من الامبراطورية العثمانية الخاضعة لحكم خليفة المسلمين
في الاستانة فهو بالطبع وثيق الصلة بتركيا • كما انه فرع من خديوية مصر
فهو بالتالي وثيق الصلة بمصر وبأزهرها المعمور • كمـا أنه وثيق الصلة
بالحجاز مهبط الوحي ومنبع الاسلام • فوفد اليه الكثيرون من علماء
شتى الاقطار وانتشرت خلاوى تحفيظ القرآن كما انتشرت زوايا المتصوفة
للعبادة والذكر • ومنحت الدولة المساجد والخلاوى والزوايا المرتبات
التي ساعدتها على اداء رسالتها • ولـم تكتف الدولة بتشجيع التعليم
الديني الذي كان هدفه القرآن وسلوك طريق المتصوفة بل انشأت اول
مدرسة على النظام الحديث بالخرطوم • انشأها العالم المصري الشهير
رفاعة رافع الطهطاوي احد اعلام النهضة العلمية المصرية وهو الذي اختاره
الخديوي عباس ليكون على رأس نخبة من الاساتذة اعضاء البعوث
العلمية في عهد محمد علي فانشأ تلك المدرسة التي كانت في الواقع جزءا
من البرنامج التعليمي الذي أعد لتنفيذه بالسودان •

وامتازت تلك الحكومة ايضا بشروعها في اسناد بعض الوظائف الرئيسية ذات المسئولية لبعض السودانيين • فقد أسندت مشيخة مشايخ العتمور الى حسين خليفة ومشيخة عموم الجزيرة الى عبد القادرود الزين ومشيخة مشايخ جبال الفونج الى عدلان محمد وأسندت منصب الافتاء للشيخ ابراهيم عبد الرافع وأسندت منصب رئيس العلماء للشيخ الامير محمد الضرير وعينت الشيخ أحمد أبو سن مديرا للخرطوم وعينت عددا من كبار الشخصيات السودانية أعضاء في المحكمة العليا •

ولا بد للمؤرخ وهو يتعرض الى تاريخ تلك الفترة ان ينوه بالدور البطولي العظيم الذي قام به الزبير رحمة باشا الجميعابي الذي بدأ حياته تاجرا صغيرا مـع علي أبو عموري المصري أحد كبار تجار بحر الغزال • فقام باول رحلة له في تجارة ابي عموري سنة ١٨٥٦ لبلاد الجور ببحـر الغزال ثم شرع يجند الاقوياء من رجالات الجنوب حتى كان لـه جيش انتقل به الى هضبة الزاندي فاخضع تلك المنطقة لنفوذه • واستقر في قرية (باية) التي سميت أخيرا (ديم زبير) فجعلها عاصمة له • ثم اتجه بجيشه من بحر الغزال الى درافور فحارب عرب الرزيقات وانتصر عليهم فأخضع جزءا كبيرا من درافور • ومع أن كل فتوحاته هذه كانت باسم الخديوي وتحت طاعته وكان على اتصال مستمر معحكمدارية الخرطوم ومعالخديوي بمصر الا أندسائس غوردون وأعوانه منالاوروبيين والمصريينوالسودانيين لعبت دورا كبير في تشويه سمعة الزبير • فبعضهم كان يصفه بأنه من كبار النخاسين وبعضهم القى في روع الحكومة بالخرطوم وبالقاهرة انه يريـد الاستقلال بالبلاد التي استولى عليها وفصلها عن الخديوي • ولم يكن الزبير نخاسا ففرق عظيم بين من يستولي على الرجال بالقوة ويبيعهم عبيدا في الاسواق وبين من يجند الرجال لينضموا الى جيشه أو من يأخذ من يقع في اسره في حروبه فيجنده في جيشه • كما لم يفكر الزبير في الخروج عن طاعة الخديوي والاستقلال بالبلاد التي استولى عليها ولو فكر في ذلك لما

ـــتـع حتى ان يوقفه • بل كان شديد الولاء للخديوي معلنا ضم مـا سوى عنه من ارض الى ادارة حكمدار السودان وبالتالي الى امـلاك الخديوي بمصر •

كما لا بد من الاشادة بالقائد البطل رابح الزبير الذي اتجه بجيشه من بحر الغزال الى المستعمرات الفرنسية بافريقيا الوسطى واقليم تشاد فادخل فيها متسع الارجاء لحكمه وطرد المستعمرين الفرنسيين •

واذ كنا قد اشرنا الى بعض الاصلاحات التي تمت في ذلك العهد فلا بد من الاشارة الى المظالم التي عانى منها الشعب كل عبء وارهاق • فقد اثقلت الضرائب كاهل الشعب حتى هجر الكثيرون مزارعهم وارضهم ونزحوا بالمئات الى البوادي فرارا من الضرائب مما جعل تجار الرقيق من اوربيين ومصريين وشوام وسودانيين امثال بلزاك الفرنسي صاحب زرائب رمبيك واحمد العقاد ومحجوب البصيلي واحمد ابو عموري ومحمد خير ود ابراهيم وخليل الشامي وشنوده وغطاس يجوسون خلال تلك الديار يعيثون فسادا ويرهقون الشعب • ـ ويقودون المواطنين في ذلة وعنف الى اسواق الرقيق تنفيذا للتخطيط الذي يرسمه باستمرار ويسوقه قناصل انجلترا والنمسا وفرنسا والولايات المتحـدة المقيمون بالخرطوم تحت سمع وبصر الحكومة ـ وبذلك اصبحت البلاد البعيدة عن الخرطوم في عزلة وشبه فوضى • وانطلق تجار الرقيق وعملاء القناصل يذلون الشعب ففسدت الاخلاق وكثرت المؤمرات وانتشرت الوشايات وساعد على ذلك الظروف المحيطة بالامبراطورية العثمانية انذاك فقـد تألبت عليها الدول الاوروبية •

كما ان الخديوية بمصر كانت دائما في نزاع مع الباب العالي فـي الاستانة • وكانت الامتيازات الاجنبية تعطي الاجانب وعلى وجه الخصوص قناصل الدول في مصر والسودان سلطة واسعة ينفردون بها عن سلطـة الخديوية •

ولا ريب ان ضعف الحكم وتمزق البلاد نتيجة لاستبداد حكام الاقاليم وتجار الرقيق وقناصل الدول الاجنبية وسوء المواصلات بالاضافة الى سخط الشعب الذي كان نتيجة طبيعية للظلم والفساد وفداحة الضرائب كل هذا هيأ للسيد محمد احمد المهدي المناخ الملائم للقيام بدعوته .

الثورة المهديـــة

قام السيد محمد احمد بدعوته وابتدأت ثورته مسيرتها حينما هزم باتباعه القلائل في ذلك الوقت والمسلمين بالاسلحة البدائية من سيف وحربة اباد السعود بك نائب حكمدار السودان وهو يقود جيشا مدربا ومسلحا بالاسلحة الحديثة في ذلك العهد وهي المدافع والبنادق وذلك في يوم ١٢ اغسطس سنة ١٨٨١ في واقعة الجزيرة أبا . وواصلت الثورة مسيرتها الى أن أفل نجمها وراء جبال كرري في تلك الواقعة الفاصلة في سنة ١٨٩٨ . وفي كل هذه الفترة التي استمرت ستة عشر عاما لم تنطفيء نار الثورة ولم تهدأ ثائرتها ولم تستطع بالرغم من محاولاتها الكثيرة ـ ان تقيم نظامـا يمكن ان يقال انه شيئا من مقومات الدولة .

والسيد محمد احمد بن عبد الله من اسرة تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم . وقد تربى تربية دينية فحفظ القرآن بقرية كرري وانتقل الى عدد من العلماء المشهورين كالشيخ الامين الضويلح والشيخ محمد الخير عبد الله خوجلي وغيرهما فتلقى العلوم الشرعية من فقه وتفسيـر وحديث وغير ذلك . ثم انتظم في سلك المتصوفة فاطلع على كتب الصوفية وتراجم العباد والزهاد والاولياء والصالحين في عصور الاسلام الزاهية . واتجه بكل قلبه وجوارحه ومشاعره نحو العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فكان مثالا للمريد التقي الورع الزاهد الكثير الخشوع المتواصل الركوع والسجود الممتثل لاوامر الشيخ المربي في تواضع وسماحة نفس مما اكسبه احترام الجميع وتقدير الخواص والعوام . وما زال يترقى في مدارج التصوف وينتقل من مقام الى مقام ومن مرتبة الى مرتبة في مدارج التقوى

ﻭ تعبده حتى وصل ذلك المقام الذي زلت فيه اقدام الكثيرين من العباد والاولياء الصالحين وهو مقام يخيل لمن يصله انه تجاوز مقام الاولياء الى مقام لا يعلوه الا مقام الرسل والانبياء بل قد يخيل الى من يصل ذلك المقام في بعض حالات التجليات انه المهدي المنتظر الذي يجيء آخر الزمان على قدم رسول الله ينهج نهجه ويتلقى منه مباشرة ويقظة كل التعيينات والتوجيهات فيقوم بحركة اصلاحية تملاء الارض عدلا كما ملئت جورا • وان من يقف في طريقه يخرج من الاسلام بل بالغ بعض من وصل هذا المقام فاعتقد ان الله تعالى قد حل في برديه فقال قولته المشهورة (ما في الجبة الا الله) واعتقد بالحلول الذي ادعاه كثيرون من المتصوفة ومن الفلاسفة غير المسلمين وبالغ بعضهم فادعى ان الله يلقي في روعه الاحكام دون واسطة •

وقد تأثر السيد محمد احمد المهدي الى حد كبير بشطحات الشيخ محي الدين بن عربي واشاراته الغامضة وألفاظها التي يقف أمامها منطق اللغة بل ومنطق النصوص الشرعية الظاهرة حائرا حتى منع بعض العلماء قراءتها • ولا ريب ان السيد محمد احمد وصل هذا المقام فاعتقد انه ذلك المهدي المنتظر الذي اشارت اليه بعض الاحاديث الضعيفة التي تمسك بها كثيرون ممن سبقوه من العلماء المتصوفين فادعوا المهدية وقادوا الجماهير من اتباعهم الى خوض حروب طاحنة وثورات دامية أطاحت بالرؤوس ودكت العروش وقوضت دعائم المجتمع بعض الوقت • ثم اختفى أثرها حينما تنبهت الشعوب الى الاضرار الجسيمة التي لحقت بها بسبب هذه الدعوة الكاذبة واستأنفت الحياة سيرتها • حدث ذلك في مناطق كثيرة من العالم الاسلامي في المشرق والمغرب في اسيا وفي افريقيا •

ان دعوى المهدية من الوجهة الدينية استندت الى أحاديث ضعيفة ذات أسباب واهية • ومن الناحية السياسية كانت ثورة المهدية وبالا على الشعب السوداني لما نتج عنها من هلاك وخراب وتدمير — صحيح أن الثورة المهدية ازاحت الحكم الاجنبي من البلاد اثناء سيرها دون ان يكون ذلك

هو هدفها الذي قامت من اجله ولكنها مهدت لحكم اجنبي اشد ضراوة واكثر ضررا دون ان يكون ذلك عن قصد منها ايضا • وهي على أي حال لم تحقق استقلالا ولم تكون دولة بل ظلت البلاد تحترق في اتون الثورات وظل الشعب في قلق وارهاب طيلة الستة عشر عاما ــ ولا بد لي من التعرض لظاهرة بدأت في عهدنا وهي ضئيلة محدودة ولكنها الان اتسع نطاقها لجهل الكثيرين من المثقفين بحقيقة المهدية وابعاد ثورتها وما احدثته من نتائج ومن تأثيرات لا تزال حتى اليوم تحاول التخلص منها والتحرر من ربقتها :

وتلك الظاهرة هي اننا بدأنا نسمع في الايام الخيرة وبعد تكوين حزب الامة ان الزعيم الديني محمد احمد المهدي انما قام بثورته ليحقق استقلال السودان ولتخليصه من الاستعمار التركي وقد حقق اهدافه فاستطاعت ثورة المهدية أن تطرد الاستعمار التركي المصري وأن تحقق استقلال السودان لاول مرة في تاريخه كما يدعون وان يؤسس حكومة سوادنية قامت في البلاد نحو ١٦ سنة واستطاع حزب الامة ان ينشر هذه الفكرة حتى بدأ الكثيرون من المثقفين يؤكدونها في النوادي والمجتمعات ومن فوق منصات الخطابة والمحاضرات ويكررونها في ابحاثهم ومؤلفاتهم وقد كان حزب الامة بارعا في تعميق هذه الفكرة بما قام به من دعاية في اوساط المثقفين والطلبة واقتنع الكثيرون بها لاستنادهم الى الواقع الذي نشأت منه هذه النظرة السطحية فهم يعلمون ان السودان كان جزءا من الامبراطورية العثمانية على وجه العموم وجزءا من الخديوية المصرية على وجه الخصوص وان المهدي قام بثورته واستطاع ان ينتصر على جيوش الحكومة فأجلى جيوشها وطرد موظفيها وخلت البلاد من الحكم الاجنبي ولكن الحقيقة أن هذه النتيجة جاءت عفوا ولم يكن لها أثر في تفكير المهدي ولا مكان لها في رسالته واهدافه فالمهدي لم يكن زعيما سياسيا ولا قام بحركة تهدف الى استقلال السودان ولا حارب الاتراك والمصريين لانهم استعمروا السودان واستعبدوه واستحوذوا على خيراته ولكن

..ـه مهدي رسالة اوسع من السودان رقعة واشمل من الامبراطورية
عثمانية كيانا ومع ان المهدي قد فشل في رسالته ولم يستطع تحقيق
هدفه الا انه قد انتزع هو وخليفته من بعده الحكم من الامبراطورية
عثمانية والخديوية المصرية عفوا أثناء مسيرته للوصول الى أهدافه
و ولكن الذين يقولون انه قصد تحرير السودان من الحكم الاجنبي وثار
يحقق السودان استقلاله يظلمون المهدي وينتقضون رسالته ويخرجونه
من الهدف الاسلامي الواسع النطاق الذي كرس جهوده لتحقيقه وهو
عودة الاسلام الى عهده الاول وارجاع المسلمين الى تعاليمه السمحة والى
حياته المثالية لتمتلىء الارض عدلا كما امتلاءت جورا ومحاربة كل من يقف
في طريق هذه الرسالة سواء كان تركيا او مصريا او بريطانيا او سودانيا
وسواء كان يهوديا او مسيحيا او مسلما وانه تحرك بهذه الرسالة من وطنه
السودان ليواصل مسيرته مارا بمصر والمقدس والحجاز ليستقر بين الركن
والمقام ناشرا الدعوة في ارجاء العالم الاسلامي في افريقيا معتبرا كل منكر
و مناوىء لهذه الرسالة خارجا عن الاسلام مستباح العرض والمال وانتصر
في خطواته الاولى على الجيوش الاجنبية في السودان وعلى الافراد
والجماعات السودانية في الداخل ممن انكروا رسالته ويستوى عنده
الاجنبي والسوداني فكلهم كفار خارجون عن الاسلام ما داموا ينكرون
رسالته ولو استمر في انتصاراته وافتتح القطر المصري ثم استمر يفتتح
سوريا والاردن .. الخ . لما استطاع هؤلاء الذين يحورون رسالته الا
ان يعتبروه مستعمرا لم يكتف بتحرير السودان حتى سعى يبسط سلطانه
على الاقطار الاخرى ولكن المهدي قام برسالته الموجهة لكل العالم
الاسلامي وبدأ يزحف ليبسط جناحيه على الاقطار الاسلامية ليعيدها الى
الاسلام الصحيح ويرفع عن اعينها الغشاوة التي اعمت ابصار المسلمين
عن رؤية الاسلام الحقيقي والقت على اعينهم اسلاما يقوم على الظلم
والجور ويمكن قلة من المتحكمين باسم الدين من استغلال البسطاء

والجهلاء ويقيني انك لو ذهبت لاحد الانصار المؤمنين برسالة المهدية ايمان العجائز لتقول له ان المهدي كان رجلا وطنيا وسياسيا قام بثورته ليحرر السودان من الاستعمار الاجنبي وليحقق للسودان استقلاله التام وليحقق شعار السودان للسودانيين لانكر عليك هذا القول واعتبرك منكرا للمهدية اللهم الا اذا كان ذلك الانصاري يجهل رسالة المهدية او كان متأثرا بالاحوال العصرية فهو يحب ان ينسب للمهدي ان غرضه تحرير السودان وطرد الاستعمار وانه قد حقق رسالته فهو في نظر المواطنين بطلا سياسيا وخصوصا بعد سريان هذه الدعاية من منابر حزب الامة ومن افراد بيت المهدي فلا يسعه حينئذ الا ان يوافقك او يلوذ بالصمت •

والآن دعنا نوافق جدلا بأن تحرير السودان واستقلاله هو الهدف الذي ثار من اجله المهدي لان النتائج الواقعية لثورة المهدية حسب الظاهر كانت بحق جلاء القوات المحتلة من انجليزية ومصرية وتركية واستقلال السودان وقيام حكم سوداني ولنغض الطرف عن الحقيقة التاريخية التي حاول حزب الامة طمسها وهي ان المهدي انما هو زعيم ديني هدفه من ثورته الرجوع بالاسلام في كل العالم الى عهده الاول وارجاع المسلمين في كل الاقطار الاسلامية الى الدين الاسلامي الحق وما دامت الرسالة الحقيقية قد فشلت ـ ولكنها أثناء فشلها حققت تحرير السودان ـ فهل يمكننا ان نعتبر فترة المهدية فترة حكم وطني مع انها فترة ثورات واضطرابات وقلق وعدم استقرار وقد افتقد السودان في عهد المهدية جزءا كبيرا من سكانه كما افتقد السودان اجزاء واسعة من ارضه فاستولى الاحباش على مناطق فازوغلى وبني سنقول واستولى الفرنسيون على جزء من مديرية بحر الغزال واستولى البريطانيون على الجزء الجنوبي من مديرية خط الاستواء واضافوه ليوغنده واستولى البلجيك على اقليم اللادو وجزء من جنوب غرب الاستوائية واضافوه للكنغو ـ تلك هي

مهدية ـ ان اولئك الذين يعتبرون السودان في عهد المهدية كان خاضعا لحكومة بالمعنى المفهوم للحكومة التي تشرف على مصالح الشعب وتحوطه بسياج من وسائل الامن والاستقرار وتوفر له بعض الخدمات الضرورية يطلقون لانفسهم الخيال ويتوسعون في معنى كلمة حكومة او يعتقدون ان الجيش في ابان المعارك يمكن ان يسمى حكومة قبل ان تنتهي المعركة وتستقر الاحوال ويعيش المواطنون في شبه اطمئنان واستقرار والواقع ان الفترة التي بدأت بقيام الثورة المهدية سنة ١٨٨١ بانتصار المهدي على جيش الحكومة في واقعه ابي السعود بالجزيرة ابا وانتهت باخماد تلك الثورة باندحار جيش المهدية في واقعة كرري سنة ١٨٩٨ كانت كلها فترة ثورة وحروب متصلة يتخللها قلق واضطراب وسلب ونهب لم ير له السودان مثيلا منذ ان دخل العرب السودان في اول عهد الاسلام ـ وقبل ان تستقر الاحوال وتنتهي الاضطرابات زحف جيش الحكم الثنائي بقيادة اللورد كتشنر فاحتل السودان وقام الحكم الثنائي ـ المصري اسما والبريطاني فعلا ـ فكان عهد المهدية فترة مظلمة في تاريخ السودان مارس فيه الشعب كل انواع الاضطهاد والمرض والجهل والجوع وهبط عدد سكان السودان الى النصف ـ كان السودان قبل المهدية عشرة ملايين فاصبح بعد المهدية اربعة ملايين تقريبا ولا ريب ان المهدي نفسه توفى سنة ١٨٨٥ عقب فتح الخرطوم وقبل ان يشرع في تكوين أي نوع يمكن ان يسمى ادارة او حكومة ثم تولى الخليفة عبد الله الامر واستمر في عهده القتال في طول البلاد وعرضها واندلعت الثورات المضادة في بقاع متعددة وفي فترات متصلة وعمت الفوضى وانفرط عقد الامن وانتشر النهب والسلب ومع أن الخليفة عبدالله كان رجلا قوي الشخصية حاد الذكاء واسع الحيلة وغطت صفاته الممتازة هذه على أمنيته وعدم تعليمه فانه كان دكتاتورا جبارا فقد الشعب في سنى حكمه ثقته بنفسه واستولى عليه اليأس من أي اصلاح حتى صاح الشاعر القومي الحردلو « يا يابا

النفس وبالانجليز ألفونا » وبالطبع لم يقصد الحردلو أن يخضع السودان لحكم النفس (النجاشي) أو أن يطاطىء رأسه لذل الاستعمار الانجليزي ولكنه اراد ان يعبر عن حالة الضيق واليأس والقنوط التي يعانيها الشعب واراد ان يصور ان تلك الحالة جعلته يبحث عن طريق الخلاص منها ولو جاء الانقاذ من الد اعدائه الانجليز والاحباش الذين كان بالامس يقاتلهم اعنف القتال ـ غير ان حروب المهدية اظهرت ضروبا من البسالة والشجاعة وانواعا من البطولات التي لم يرها العالم الا من خلال الاساطير فالرجال الذين قادوا جيوش المهدية الاولى ضد الجيوش التركية والمصرية حتى أجلوها عن البلاد في معارك ضارية وحروب دامية والرجال الذين قادوا جيوش المهدية ضد الجيش الانجليزي والجيش المصري دفاعا عن البلاد كل هؤلاء قد أظهروا ضروبا من الشجاعة والبطولات ستظل فخرا للسودان وعنوانا لشجاعته وتضحياته يتنقلها الجيل تلو الجيل ولولا بروز هـذه الناحية لقلنا ان المهدية كانت شرا محضا ولكن كل شر لا بد ان يحمل بين طياته بعض عناصر الخير ولو استطاعت ثورة المهدية ان تفضي الى نوع من الحكم المستقر لما وقع السودان مرة اخرى تحت نير الحكم الاستعماري في هذه الفترة الوجيزة .

الحكم الثنائي :

لا اريد ان استطرد فادون تفاصيل الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي صحبت الفترة التي جثم فيها الحكم البريطاني على صدر السودان تحت عنوان الحكم الثنائي طيلة الخمسة والخمسين عاما «من سنة ١٨٩٨ الى ١٩٥٤» ذلك الحكم الذي انفرد به البريطانيون فحكموا السودان حكما استعماريا مباشرا ولم يكن لمصر فيه نصيب الا رفع العلم المصري بجوار العلم البريطاني ـ وقد مهدت بريطانيا للحصول على هذا الوضع واعطائه الصفة الشرعية حينما زحف المهدي بأتباعه من كردفان متجها نحو شاطىء النيل فقررت بريطانيا في ذلك الوقت اخلاء السودان

وتركه لقمة سائغة للثورة المهدية وتجاهلوا ان احتلالهم لمصر وسيطرتهم على شؤونها بحيث اصبح الخديوي خاضعا لنفوذهم منفذا لتعليماتهم تجعلهم ان هذا الاحتلال يفرض عليهم اخماد الثورة فقرروا اخلاء السودان وحملوا الخديو على رفض ارسال النجدات العسكرية التي الح بطلبها حكمدار السودان قبل فوات الاوان ، وعينوا غوردون حكمدارا للسودان وكانت مهمته التي الزم بها رسميا هي العمل على اخلاء السودان وسحب الجيش المصري والموظفين عن طريق سواكن ولما توقف الاخلاء على التضحية بغوردون نفسه ضحوا به وتباطئوا في ارسال النجدة التي ألح في طلبها وحتى الجيش البريطاني الذي ارسل بناء على ضغط الشعب البريطاني لانقاذه ظل يتلكأ في منطقة السبلوقه حتى سقطت الخرطوم فتم بذلك الاخلاء الذي خططوا له وبعد ذلك مباشرة تحركت بريطانيا لاستعادة السودان وحشدت جيوشها كما حشدت الجيش المصري تحت قيادتها فقضت على الثورة بعد عدة وقائع كانت واقعة كرري في سبتمبر سنة ١٨٩٨ هي الواقعة الفاصلة التي تم بعدها الاستيلاء على السودان فأصبح هناك حق شرعي لبريطانيا في حكم السودان لان جيشها اشترك مع الجيش المصري في القضاء على الثورة المهدية واستعادة السودان .

وإذا كان مجال هذا الكتاب لا يتسع لسرد تفصيلات الحوادث ومجريات الامور في هذه الفترة فلا اقل من ان نشير في شيء من الايجاز الى الحوادث الكبيرة والمعالم البارزة التي كان لها اثر واضح في حياة السودان وتطوراته السياسية وهي :حركة جمعية اللواء الابيض سنة ١٩٢٤ ــ مسألة الجنوب ــ المجلس الاستشاري ــ الجمعية التشريعية والادارة الاهلية ــ مشروع الجزيرة ــ مؤتمر الخريجين ونشأة الاحزاب السياسية ــ تطور الحركة الوطنية وحصول السودان على حق تقرير المصير ــ الحكم الذاتي الذي انتهى باعلان الاستقلال .

مسألة الجنوب

كان السودان منذ العهد التركي وحدة سياسية متماسكة شماله وجنوبه فلما استعاده الحكم الثنائي بعد ثورة المهدية سنة ١٨٩٨ وتسلم البريطانيون الامور بدأوا يفكرون في فصل المديريات الجنوبية الثلاث عن الشمال فتقرر سنة ١٩٠٤ منع الشماليين من دخول الجنوب بوضع العراقيل امام الراغبين في السفر للمديريات الجنوبية والايعاز للاداريين البريطانيين في تلك المناطق بالتضييق على القليليين الذين يتسللون من وقت لاخر ويدخلون الجنوب بغرض التجارة وافسحوا المجال لمختلف الجمعيات التبشيرية المسيحية في أوروبا وأمريكا واستراليا لاقامة مراكز في مختلف المناطق لنشر الدين المسيحي مع تنفيذ السياسة البريطانية الرامية الى خلق عداء مستحكم بين المواطنين الجنوبيين والشماليين فشرعت الارساليات تلقي في روع الوطنيين من أبناء الجنوب أن الشماليين أعداؤهم وانهم يحتقرونهم ولولا وجود الانجليز لساقوهم رقيقا يباع في الاسواق كما فعل اباؤهم من قبل وتخلت الحكومة عن واجبها في التعليم وتركته للارساليات وامدتها بالامكانيات المالية والتأييد الادبي والنفوذ السياسي فنشأت الطبقة المثقفة في المديريات الجنوبية وهي تحمل عداء مستحكما وحقدا ضاريا نحو المواطنين الشماليين واستمرت هذه السياسة التي تقررت سنة ١٩٠٤ تسير على هذا المنوال نحو ربع قرن ثم لاحظ البريطانيون ان ــ الشماليين من التجار « الجلابة » استطاعوا ان يقتحموا ابواب هذه السياسة ويتجولوا في ارجاء الجنوب ويقاوموا الى حد كبير ما تقوم به الارساليات من دعاية ضد العرب والمسلمين فاصدروا في

سنة ١٩٣٠ قانون المناطق المقفولة الذي حرم دخول المديريات الجنوبية
لا بتصريح فلا يستطيع المواطن السوداني دخول اية مديرية من المديريات
جنوبية الثلاث الا بتصريح رسمي من مدير تلك المديرية وللمدير الحق في
رفض اعطاء التصريح او الغائه بعد اصداره دون ذكر أي سبب فوضع
سكرتير الاداري آنذاك (سنة ١٩٣٠ م) المستر مايكل أسلوب التنفيذ
عنيف للسياسة القديمة فقرر طرد المسلمين من الشماليين ومن الفلاتـه
نيجريا ودارفور وكسلا • وقرر اخلاء مدينة كفيا كنجي وتعطيل مسجدها
لان هذه المدينة تقع في منتصف الطريق بين حـدود درافور والمنطقـة
سكونة من بحر الغزال وباخلائها واحراقها وازالتها انعزلت المنطقـة
سكونة ببحر الغزال عن دارفـور لان الطريق الـذي كانت تتوسطه
كنجي كنجي يسـير وسط الغابات المليئـة بذبابة « التسي تسي فـلاي »
والحيوانات المفترسة • كما عطل مسجد راجا واجبر المسلمين الوطنيين
على النزوح شمالا الى منطقة خورشمام مقر قبيلة الفروجيه المسلمة ـ
واستمر تنفيذ سياسة فصل الجنوب عن الشمال تسير على هذا المنهج الى
سنة ١٩٤٠ واشترك في تنفيذ هذه السياسة عدد من الموظفين الاداريين
سودانيين ـ وكانـوا بكل اسف بمثابـة السوط الـذي يلهب بـه
بريطانيون ظهور المسلمين والعرب الذين كانوا بالجنوب الى ان تم اخلاء
جنوب من كل أثر للشماليين وانعزل عـن الشمال انعزالا تاما ولم يبق
لا افراد قلائل من الموظفين والتجار والعمال من الشماليين الذين لا تأثير
لهم ومن الذين لا هم لهم الا مصلحتهم الشخصية وهي مع ذلك مصلحة
متدنية لا يرضى بها الا الذين مردوا على الذل والضعة • كما امر بالتزام
جنوبيين الذين أطلقت عليهم أسمـاء عربية أو اسلامية بتغيير أسمائهم
وتسميتهم بأسماء قبلية أو أسماء مسيحية • وتقرر في ذلـك الوقت العمل
على ضم جنوب السودان ليوغندا باعتبار ان سكانه من الزنوج الافريقيين
الذين يختلفون مع الشمال في العنصر والدين ونشطت الادارة البريطانية

في هذه الفترة لتعميق شعور العداء وعدم الثقة والتفرقة العنصرية والدينية في نفوس الشعب في الجنوب حتى تجاوزت الطبقة المسيحية المتأثرة بدعايات المبشرين الى طبقات السلاطين وصفوف الجماهير • واحتفظت الحكومة بعدد قليل من الموظفين الشماليين الذين لم تستطع الاستغناء عنهم وجندت الكثير من الموظفين المسيحيين والاجانب كما افسحت المجال للتجار الاجانب ليحلوا محل « الجلابة » •

ولما تطورت الاحوال السياسية في الشمال واشتد الضغط على الحكومة اضطرت لاتخاذ خطوة تطفىء الحماس الوطني الذي اوشك ان يتحول الى ثورة فأنشأت المجلس الاستشاري لشمال السودان فمن جهة ارادت ان توهم الشماليين انها لا تريد ان تحكم السودان بدون استشارتهم واخذ رأيهم • ومن جهة ارادت ان تخطو خطوة دستورية لفصل الجنوب عن الشمال بأن جعلت هذا المجلس قاصرا على شمال السودان لتنشيء بعده مجلسا آخر لجنوب السودان فتكون قد نفذت دستوريا فصل الشمال عن الجنوب • ولكن المجلس الاستشاري الذي أنشيء سنة ١٩٤٣ رفضه الوطنيون في الشمال فلم يستطع أن يحقق الغرض الذي انشيء من اجله واستمرت الحركة الوطنية تتصاعد والضغط السياسي يتزايد • واقتنع الوطنيون بعد انشاء المجلس الاستشاري ان مؤامرة فصل الجنوب تسير على قدم وساق وان لا بد للحركة الوطنية ان تقوى وتشتد لتحول دون تنفيذ تلك المؤامرة • فسارع البريطانيون الى اتخاذ خطوة اخرى تبدو في ظاهرها ـ استجابة لمطالب الوطنيين وهي في واقعها لتحطيم تلك المطالب فانشاوا الجمعية التشريعية وجعلوها شاملة لكل السودان شماله وجنوبه • ومما دفعهم ايضا لاتخاذ هذه الخطوة ان سياستهم نحو الجنوب قد اعادوا النظر فيها واقتنعوا ان ضم المديريات الجنوبية ليوغندا او لكينيا امر لا جدوى منه فسيكلفهم نفقات باهظة وسيكون الجنوب عبئا ثقيلا على يوغنده لا تستطيع حمله • كما اقتنعوا

ن فصل المديريات الجنوبية عن الشمال اقليما لتكون قائما بذاته سيكون
ايضا عبئا تنوء به الحكومة البريطانية فقرروا ضم الجنوب الى الشمال اذ لا
مناص من ذلك • وفكروا في وضع سياسة ترمي الى جعل الجنوب جزءا
من الشمال على ان يكون تحت اشراف الاداريين البريطانيين مدة لا تقل
عن خمسين سنة اشرافا مباشرا وأن تشمله الجمعية التشريعية على أن
يكون للحاكم العام حق دستوري يمكنه من حماية الجنوب والحيلولة
دون تغول الشماليين عليه •

وتعطيه حق اعلان الانهيار الدستور متى رأى أن هذه الحماية قد
اصبحت غير مستطاعة • وتقررت هذه السياسة في النصف الاول من
سنة ١٩٤٧ وارادوا ان يخرجوها الى حيز الوجود بطريقة توهم الشماليين
والجنوبيين معا انها نبعت من تفكيرهم وان ــ البريطانيين نفذوها استجابة
لمطلبهم الوطني فعقدوا مؤتمرا في جوبا سنة ١٩٤٧ ــ ضم عددا من
الجنوبيين المتعلمين والسلاطين وكبار الوطنيين • كما ضم عددا ممن
يدورون في فلك البريطانيين من الشماليين • وترأسه المستر جيمس
روبرتسون السكرتير الاداري لذلك المؤتمر • وحضره أيضا مديرو
المديريات الجنوبية الثلاث وعدد من كبار رجال الارساليات خصوصا
المشرفين على شؤون التعليم • وقرر المؤتمر تلك السياسة التي سبق ان
قررتها الحكومة البريطانية • ومنذ ذلك الوقت اصبح الجنوب جزءا لا
يتجزأ من الشمال وبرزت الجمعية التشريعية للوجود وايدها السيد عبد
الرحمن المهدي وأنصاره وحاربها السيد علي الميرغني وأتباعه فحاربها
الوطنيون من المثقفين والجماهير حربا لا هوادة فيها• وقام مؤتمر الخريجين
ومن حوله الجماهير الوطنية بحملة شعواء ومظاهرات صاخبة جعلت تلك
الجمعية أثرا بعد عين •

وبدأت ثورة الوطنيين تتبلور وتنتظم حينما فكر الوطنيون تحويل
مؤتمر الخريجين من مؤسسة تعليمية هدفها نشر التعليم والوعي بين

طبقات الشعب في جميع ارجاء السودان الى اداة سياسية تقود الحركة الوطنية لمكافحة الاستعمار والعمل لتحرير البلاد . فقام حزب الاشقاء ثم تلته الاحزاب الاتحادية الاخرى كحزب الاتحاديين وحزب الاحرار فأنشىء حزب الامة ليكون كما قال السكرتير الاداري المستر نيويولد ـ ترياقا ضد الحركة الوطنية ثم نجم نضال الاحزاب الاتحادية التـــي توحدت أخيرا في الحزب الوطني الاتحادي الاصيل أن أسفرت المفاوضات التـــي دارت بين الانجليز والمصريين عن صدور المعاهدة الانجليزية المصرية التي وقعها الطرفان في سنة ٥٢ والتي تضمنت موافقة طرفى الحكم الثنائي على اعطاء السودانيين حق تقرير مصيرهم ليختاروا احد امرين اما الاستقلال المرتبط بنوع من الرباط مع مصر او الاستقلال المنفصل كل الانفصال عن مصر ـ وجرت الانتخابات الاولى في مارس وابريل سنة ١٩٥٣ . واسفرت عن فوز الحزب الوطني الاتحادي بالاغلبية وانهزم حزب الامة بالرغم من جريان تلك الانتخابات أثناء سيطرة الانجليز على أجهزة الجيش والبوليس والخدمة المدنية ومساندتهم لذلك الحزب ماديا وادبيا . وهكذا تألفت اول حكومة وطنية في اول سنة ١٩٥٤ وقام اول برلمان وطني في السودان واستمرت البلاد تحت الحكم الذاتي سنتني ٥٤ ، ١٩٥٥ . واستطاعت تلك الحكومة مع حداثة عهدها وعدم خبرتها وقلة تجربتها ان تسودن الوظائف ذات النفوذ وان تحول دون الثورة التي اعدها الانجليز لتنفجر قبيلتها بعد رحيلهم مباشرة وفعلا قام التمرد في الاورطة الاستوائية التي كان كل جنودها من ابناء الجنوب وضباطها من ابناء الشمال كما تمرد البوليس والسجانة فوقفت الحكومة الوطنية موقفا حازما وحكيما فأخمدت الثورة التي بدا شررها يتطاير في الاستوائية وتحولت الى حرب عصابات لان المتمردين حملوا اسلحتهم ولجأوا الى الغابات والجبال والمستنقعات يقتلون الشماليين رجالا ونساء واطفالا . وما زالت الحكومة تتعقب اولئك المتمردين الى يومنا هذا ـ وكان رد الفعل الذي احدثه هذا التمرد وما قامت بـــه

حكومة من ضرب المتمردين لاحلال النظام والقانـون محـل الفوضى
و تخريب والغيظ والحنق والعداء الذي كان يملاء صدور المواطنين في
جنوب من جراء السياسة الاستعمارية التي أشرنا اليها آنفا • ومن جراء ما
قام به المبشرون الذين وضعوا انفسهم في خدمة الاستعمار وجعلوا تنفيذ
سياسته هي مهمتهم الاولى • ونشر المسيحية يجيء في المرتبة الثانية وقد
حاولت الحكومات السابقة محاولات كثيرة لحل المشكلة واعادة الثقة
بين المواطنين في الشمال والجنوب • فالوزارات السابقة لحكم عبود ورفاقه
سلكت طريقا وسطا بين الشدة واللين فابعدت القسس المبشرين الذين
ثبت انهم قاموا بنشاط ضد السودان اثناء وبعد حركة التمرد • او حامت
حولهم شبهات تدل على انهم كانوا يحرضون المتمردين في اعمالهم المخالفة
للقانون بل وللانسانية • كما استولت علـى التعليـم مـن الارساليات
تدريجيا وقصرت عمل الكنيسة على مهمتها الرئيسية وهي القيام بالطقوس
الدينية وبالتعليم اللاهوتي • وقامت باصلاحات كثيرة في نطاق الزراعة
والغابات وفي نطاق التعليم والمستشفيات • واخذت في نفس الوقت بالشدة
كل فئة أو جماعة تقوم بالسلب والنهب وتتعدى على الآمنين أو تحاول
قطع الطريق فلم تنجح هذه الوسائل في حل المشكلة • ونزحت اعداد
كبيرة من المتمردين الى الحبشة ويوغندة والكنغو وافريقيـا الوسطى
وتشاد • وظل المتمردون يترددون في السودان وتلك الاقاليم • يدخلون
السودان مسلحين ليقتلوا وينهبوا ثم يهربون امام الجيش السودانـي
لاجئين لتلك الاقطار • وكانت جميع هذه الاقطار ترحب بهم وتحميهم
وكانت تلك البلاد في ذلك العهد تحت الاستعمار الانجليزي والبلجيكي
والفرنسي •

ثم جاءت حكومة عبود فاستعملت الشدة وفتكت بالمتمردين ومن
يناصرهم من السكان في القرى النائية وأحدثت رهبة وفزعا واضطرابا في
نفوس الجنوبيين متمردين وغير متمردين • فازداد نزوح المواطنين للاقطار

المجاورة وهجر الكثيرون قراهم ولاذوا بالغابات خوفا من حكم الجيش .
ولكن هذه الوسيلة فشلت ايضا في حل المشكلة فلم تزدها الا تعقيدا .

ثم جاءت حكومة سر الختم الخليفة الثانية بعد ثورة أكتوبر سنة ١٩٦٤ وبعد استقالة حكومة الثورة فسلكت سياسة اللين المتناهي . واسندت وزارة الداخليةووزارة المواصلات لاثنين من ابناء الجنوب عرفا بمساندتهما وعطفهما على المتمردين فوجد المتمردون ومؤيدوهم فرصة ذهبية فعاثوا في الجنوب فسادا . وانتشر التحريض ضد الشمال واتخذ اسلوبا علنيا تحت سمع الداخلية وبصرها بل احيانا بايعاز من الداخلية وتخطيط من رؤسائها . واخذت وزارة المواصلات في ترحيل المتمردين من منطقة لاخرى ومن الشمال الى الجنوب .

وعندما تغيرت حكومة سر الختم هذه وجاءت الحكومة الائتلافية سنة ١٩٦٥ وكثر النقد واشتدت الحملة على الحكومة لتفريطها وتهاونها رأت حكومة الشعب ان لا بد من اتخاذ خطوة عملية لحل هذه المشكلة حلا ديمقراطيا يقوم على اساس الصراحة والتفاهم بين الطرفين . فدعوا جميع الاحزاب الشمالية والجنوبية الى عقد مؤتمر حول مائدة مستديرة للمناقشة وازالة سوء الفهم ووضع سياسة متفق عليها لحل هذه المشكلة حتى يتعاون المواطنون جميعا بروح طيبة لدفع عجلة التقدم ليسير السودان شماله وجنوبه للوصول الى الحياة الكريمة المستقرة التي تحقق للشعب جميعه الرفاهية والتقدم . فانعقد المؤتمر في مارس سنة ١٩٦٥ وحضره ممثلوا الاحزاب الشمالية وهي الوطني الاتحادي والشعب الديمقراطي والامة وجبهة الميثاق والحزب الشيوعي وجبهة الهيئات . وحضره من الاحزاب الجنوبية جبهة الجنوب وحزب سانو وحضره بعض زعماء المتمردين واللاجئين . واتفق على دعوة اعضاء مراقبين من الدول الشقيقة التي يهمها خير السودان وتقدمه . فحضره ممثل لكل من الجمهورية العربية المتحدة والجزائر ونيجيريا وكينيا وتنزانيا ويوغنده وغانا .

كما حضره بعض سلاطين الجنوب وزعماء بعض قبائله • وبعد النقاش
مستفيض داخل المؤتمر وفي الاجتماعات الجانبية تقدمت الاحزاب الشمالية
بمشروع اتفقت عليه جميعها ورأت انه مشروع عملي يعالج المشكلة ويضع
الحل الذي يحفظ وحدة البلاد ويرضى طموح الجنوبيين ويمكنهم من
تطوير مناطقهم واصلاح شئونهم •




مشروع اتفاق الاحزاب الشمالية لحل قضية الجنوب

القسم الأول

١ ـ السودان بحدوده الحالية قطر واحد له شخصيته الدولية وليس لاي جزء من اجزائه حق الانفصال • للسودان دستوره الواحد الذي يقره جميع مواطنيه عن طريق ممثليهم في الجمعية التأسيسية ولا يحق لاي جزء منه ان يعدل او يلغي هذا الدستور دون موافقة السودانيين جميعهم ممثلين في الجمعية التأسيسية •

٢ ـ نسبة للاختلافات الثقافية والاقتصادية والعنصرية بين الشمال والجنوب فانه من الضروري ان يكون للمديريات الجنوبية الثلاثة وضع خاص في اطار القطر الموحد •

٣ ـ الاسس التي يتقرر على ضوئها تحديد نوع العلاقة بين الشمال والجنوب لا بد ان تأخذ بعين الاعتبار •

(أ) الاماني الوطنية لسكان المديريات الجنوبية •

(ب) الكفاءة الادارية •

(جـ) الحلول العملية •

٤ ـ يكون للسودان جمعية برلمان مركزى واحد يباشر السلطات التي تحويها القائمة الاولى •

٥ ـ يكون للمديريات الجنوبية برلمان اقليمي يباشر السلطات التي ينظمها الدستور وهي السلطات التي تحويها القائمة التالية • كما يباشر بالاشتراك مع البرلمان المركزي السلطات التي تحويها القائمة الثالثة • اعضاء البرلمان الاقليمي ينتخبون بواسطة سكان المديريات الجنوبية على

نفس الاسس التي ينتخب بها اعضاء البرلمان المركزي ـ لا يعني هـذا انتفاء قيام مجالس للحكم المحلي في المديريات الجنوبية تباشر سلطـات الحكم المحلـي .

٦ ـ يكون للمديريات الجنوبية الثلاث مجلس للوزراء ينتخبهـم البرلمان الاقليمي .

٧ ـ يكون للمديريات الجنوبية الثلاث وضع خاص في رئاسـة الدولـة .

٨ ـ يكون للسودان جهاز تنظيم للخدمة المدنية مسؤول عن التعيين والترقي على ان يكون ـ للمديريات الجنوبية تمثيل خاص في هذا الجهاز .

٩ ـ يكون للجنوب جهاز خاص للخدمة المدنية اعضاؤه مـن الجنوبيين ويرأس هذا الجهاز المركزي للخدمة المدنية. هذا الجهاز مسؤول عن التعيين والترقي لفئات معينة من الوظائف في جنوب السودان .

القسم الثاني

١٠ ـ القائمة الاولى وهي التي تحوي سلطات الحكومة المركزية التي يباشرها البرلمان المركزي : السياسة الخارجية ـ الدفاع ـ القضاء ـ مؤسسات التمويل ـ الجمارك ـ امن الدولة (بوليس سري ـ بوليس حدود ـ مراقبة الاجانب ـ الرقابة العامة من حيث التدريب وتعيـين ضباط) ـ المواصلات ـ الارض ـ مناهج التعليم ـ ادارة وتنظيـم التعليم الثانوي والجامعي ـ تدريب المدرسين ـ تنظيم التبشير .

١١ ـ القائمة الثانية : وتحوي السلطات المحلية التي يباشرها البرلمان الاقليمي : الامن العادي ـ الطرق الفرعية ـ التصرف في اراضي المدن والقرى ـ تنفيذ التنظيم الزراعي ـ تنفيـذ قوانين الثروة الحيوانية ـ ادارة وتنظيم التعليم الاولى والاوسط ـ تعيين المدرسين للتعليم الاولى والاوسط .

١٢ ـ القائمة الثالثة : وتحوي السلطات التي يباشرها البرلمان المركزي

والبرلمان الاقليمي بالاشتراك والتصرف في الاراضي الزراعية، تنظيم الزراعة والغابات ـ والثروة الحيوانية .

القسم الثالث

١٣ ـ موضوع العلاقات المالية بين المديريات الشمالية والجنوبية بما في ذلك الضرائب والميزانية والمساعدات المركزية والرقابة على النشاط الاقتصادي والتجاري تحتاج الى دراسة من الاختصاصيين .

١٤ ـ تفاصيل النظام الدستوري وتنظيم التعليم الديني والتبشير واللغة تترك للمختصين للتقدم بتوصيات حولها .

١٥ ـ يعلن المؤتمرون بانهم يلتزمون بتنفيذ الاتفاق الذي يتوصلون اليه في بداية المؤتمر وتلتزم الاحزاب الشمالية التزاما ادبيا وسياسيا وشعبيا بأن تضمن هذه المبادىء في برامجها السياسية . كما يوافقون على وضعه في المحكمة العليا وان يقره مجلس السيادة .

١٦ ـ الى ان تقر الجمعية التأسيسية دستور السودان تعمل الاحزاب على حل المشاكل العاجلة الاتية :

١ ـ اللاجئون ورجوعهم للسودان .

٢ ـ الامن والمتمردين .

ولكن ممثلي حزبي جبهة الجنوب وسانو لم يقبلوا هذا الحل العادل الذي تقدم به ممثلو الاحزاب الشمالية بل طالبوا بتحقيق النقاط الاتية ليقوم على أساسها حل المشكلة :

١ ـ اجراء استفتاء عام في المديريات الجنوبية ليقرر المواطنون هناك مصيرهم .

٢ ـ رفع حالة الطوارىء في المديريات الجنوبية فورا .

٣ ـ سحب الجيش السوداني وجميع قوات الامن من كل ارجاء الجنوب .

٤ ـ تتعهد جبهة الجنوب وحزب سانو باذاعة نداء يوجه للمتردين

...ين بوضع السلاح وايقاف الارهاب والعنف لتستقر الاحوال هناك .

٥ ــ ارجاع الجيش الى ثكناته بالشمال .

٦ ــ نقل جميع الموظفين بالسلك الاداري والذين يعملون بالشمال ...حـمة بالمديريات الجنوبية .

٧ ــ قصر الوظائف التي في الجنوب على الجنوبيين الذين تمكنهم مؤهلاتهم للقيام بمهامها .

٨ ــ تنفيذ الاتفاقية المبرمة مع يوغنده لاعادة اللاجئين وذلك باعداد ...ـكن اللازمة لهم وايجاد العمل الذي يمكنهم من المعيشة .

وبالطبع لــم تقبل الاحزاب الشمالية هذه المطالب وكان ردها على هذه المقترحات في خطاب ألقي في المؤتمر في جلسته المنعقدة يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٦٥ هذا نصه :

سيدي الرئيس :

زملائي أعضاء الوفود ، ضيوفنا المراقبين السلام عليكم ،

ارجو ان يسمح لي جمعكم الموقر ان ادلي برأينـا نحـن اعضاء الوفود التي تمثل الاحزاب ــ والهيئات السودانية الممثلة في هذا المؤتمر وهي : الامة الوطني الاتحادي ، الشعب الديمقراطي ، الميثاق الاسلامي ، الحزب الشيوعي ، وجبهة الهيئات في مشروع الاستفتاء الذي تقدمت به جبهة الجنوب وحزب سانو .

اننا يا حضرة الرئيس وخاصة منذ ان اعدنا لبلادنا نظام الحكـم الدستوري وأقمنا حكما مدنيا ديمقراطيا يكفـل الحريات العامة ويأبى العنف كأسلوب للحكم او لحسم المنازعات جهدنا جهدا متواصلا لحـل مشكلة جنوب السودان حـلا سياسيا يقوم على اتفاق تبرمه الاطراف المعنية فادت مجهوداتنا الى تجاوب حميد في الرأي العـام الداخلـي والخارجي ، واقتنع ذلك الرأي العام بالآتي :

١ ـ ان السياسة التي طبقت في الجنوب في الماضي تعرضت لعدد من الاخطاء .

٢ ـ ان لمواطنينا من سكان الجنوب بعض المطالب العادلة .

٣ ـ ان الفوارق المختلفة المميزة لسكان الجنوب من سائر سكان السودان تبرر اعطاء الجنوب وضعا خاصا في الكيان السوداني العام .

وبناء على ذلك كان اتجاهنا نحو هذا المؤتمر جادا وصبرنا في سبيل عقده على كثير من العراقيل حتى تخطيناها بتوفيق الله وكنا نعلم يقينا ان عددا من المواطنين لا يتمنون لهذا المؤتمر نجاحا ولا ينتظرون من ورائه فلاحا ولكننا حرصنا عليه حتى قام وسنحرص عليه الان حتى ينجح لان انين الضحايا وصراخ الثكالى ، وبكاء اليتامى نداءات تقرع اذاننا وضمائرنا ، ولا نرى سبيلا حاسما لوقفها الا على اساس ما يسفر عنه هذا المؤتمر .

وبالرغم من تحفظاتنا بعدم توفر جميع وجهات النظر الجنوبية في هذا المؤتمر فاننا قبلنا شروع هذا المؤتمر في مهامه وهذا دليل على حسن النية وحرصنا على حل المشكلة فنرجو ألا يثير أعضاء وفدي سانو وجبهة الجنوب ما يضعف من تفويضهم في التعبير عن وجهة نظر احزابهم بطلبهم الرجوع الى أي جهة أخرى .

سيدي الرئيس ،

ليس هذا المؤتمر مؤتمرا بين فريق ظافر وفريق مهزوم يبحثان شروط الصلح كما يبدو من حديث بعض المؤتمرين انما هذا المؤتمر اجتماع يضم أبناء وطن واحد أدركوا أن هناك مشكلة هامة في جزء منه وأدركوا أن العنف لا يصلح لحلها فأقدموا يتفاكرون مستلهمين روح التسامح والوفاق مستوحين مصلحة بلادهم العليا حريصين على حل تلك المشكلة .

سيدي الرئيس ،

ان المشروع الذي قدمه حزب سانو وجبهة الجنوب لا يرقى الى

مستوى المسؤولية الملقاة على عواتقهم وذلك للاسباب الآتية :

١ — لقد تم هذا الاجتماع بفهم واضح هو السعي للوصول الى تفاق تلتزم به الاحزاب والهيئات المشتركة في المؤتمر ويقدم للجمعية تأسيسية • فأين مكان الاستفتاء بمعنى تقرير المصير في هذا ؟

٢ — كيف يمكن رفع حالة الطوارىء في الجنوب فورا وهناك جماعات مسلحة خارجة على القانون تعيث فسادا وتنهب وتسلب المواطنين لجنوبيين والشماليين على السواء وتحرمهم من حرية التصرف والتعبير • وحتى اليوم لا يعرف من يقودها ولا تعرف اهدافها ؟

٣ — كيف يمكن سحب الجيش من الجنوب وازالة قوات الامن من المنطقة ولم يحدد ما هي القوات البديلة التي ستولى المسؤولية عن ارواح المواطنين وممتلكاتهم ؟•

٤ — كيف نصدق أن سانو وجبهة الجنوب يمكنهما ايقاف حركات الارهاب في الجنوب وقد أذاعا بيانا في الاسبوع الاول من فبراير الماضي طالبا فيه بوضع السلاح وايقاف الارهاب وقد أكدا قبل اذاعة البيان أن صدوره منهما سيؤدي لايقاف حركات العنف والارهاب ولكن ذلك البيان لم يزد حالة الامن في الجنوب الا سوءا ؟

ان النص على اذاعة بيان جديد دليل على ان (١) البيان السابق كان غير مجديا و (٢) ان ليس لسانو وجبهة الجنوب كلمة مسموعة هناك •

٥ — كيف يستطيع شخص ذو علم باحوال الجنوب الجغرافية ان يقول ان اجراء استفتاء في الجنوب بعد شهرين امرا مستطاعا ؟

ان هطول الامطار بعد شهرين من يومنا هذا سيحول عمليا دون تنفيذ هذا المطلب في قسم كبير من جنوب السودان •

٦ — الزعم بان الحكومة لا تملك زمام الامر وانها لا تسيطر على الجيش قول لا يصح ان يصدر عفو الخاطر من هيئة ممثلة في الحكومة

بثلاثة مقاعد في مجلس الوزراء •

٧ ـــ الاشارة على المطالبة برجوع الجيش الى ثكناته بالشمال اشارة غير كريمة ذلك لان للجيش ثكنات في انحاء السودان وليس في الشمال فقط وواجبه ان يحافظ على الامن والنظام في كل انحاء السودان ولـه ان يتنقل في جميع انحائه حسب مقتضيات الامن •

سيدي الرئيس ،

ان المشروع الذي قدمه اخواننا الجنوبيون وطالبوا فيه بتقرير المصير عن طريق استفتاء امر لا نقبله ولا نقره لانه يؤدي الى حركـة تفتيت لبلادنا وسيكون قدوة سيئة يمزق صداها بعض اقطار افريقيـا وربما انتشر داؤه فعم القارة الافريقية كلها وجعل حدود أقطارها مهزوزة تتغير في كل قطر كلما نشأت مشكلة بسبب سوء الادارة أو بسبب التباين القبلي ، أو بسبب التخلف الاقتصادي ••• الخ •

ان الاستجابة لهذا المطلب هزيمة للحركة السياسية في السودان لا يغفرها لنا الرأي العام الافريقي ولا تغفرها لنا اجيال السودان المقبلة ، كما انها هزيمة تتبعها هزائم محتومة فان صح ان انال الاقاليم ذات الصفات المميزة تقرير المصير فما المانع ان تناله القبائل والطوائف ؟ وبهذه المعارك نهدم الدولة الحديثة ونرجع بافريقيا القهقرى •

اننا نرفض مطلب الاستفتاء لتقرير المصير للجنوب للاسباب الآتية :

١ ـــ لأن تقرير المصير حق للامة وليس لجزء منها •

٢ ـــ ان احالة الامر للاستفتاء اعلان برفض هذا المؤتمر وهو لم يبدأ بعد في بحث موضوعاته ، وهو دلالة على أن الوفود الجالسة هنا لا تود أن تتحمل مسئوليتها القيادية في تحديد ما تراه حلا للمشكلة وحمل الناس عليه لأن القيادة السياسية أدرى بالمصلحة العامة من غيرها •

٣ ـــ لأن البرلمان السوداني الذي انتخب عـام ١٩٥٣ كان ممثـلا للشعب السوداني تمثيلا صادقا اذ أشرفت على انتخابه هيئة دولية محترمة

فقرر مصير السودان وأعلنه دولة حرة مستقلة ذات سيادة على كل رقعة السودان بحدوده الجغرافية المعروفة وبذلك اعترفت الدول به •

فتقرير المصير للامة السودانية قد تم في ديسمبر ١٩٥٥ •

سيدي الرئيس ،

ان من بين النقاط الواردة في المشروع الذي قدمه حزب سانو وجبهة الجنوب نقاط نوافق عليها وهي واردة في المشروع المفصل الذي قدمناه وهي :

١ ـ المطالبة برفع حالة الطوارىء ووضع الامر بأيدي السلطات المدنية وهذا اجراء لازم على أن يسبقه تسليم الاسلحة غير المصرحة ، وايقاف حركات الارهاب واستتباب الامن •

٢ ـ طالب المشروع بنقل الجنوبيين العاملين بالسلك الاداري من الشمال الى الجنوب وقد أوضحنا كيفية الاستجابة لذلك في المشروع الذي تقدمنا به لحل المشكلة برمتها •

٣ ـ لقد كفل مشروعنا اقامة لجنة خدمة عامة فرعية وهي التي ستتولى مهمة الخدمة المدنية في الجنوب وتنظر في استخدام الشماليين بالجنوب •

٤ ـ اننا نضيف صوتنا الى صوتهم في المطالبة بتنفيذ الاتفاقية المبرمة مع حكومة يوغندا بشأن اللاجئين •

٥ ـ اننا نرحب بزيارة أشقائنا المراقبين للجنوب • ونعتقد أن عقيدتهم في ضرورة حمل هذا المؤتمر للوصول الى حل مرضي وسريع سوف تزداد قوة بتلك الزيارة وسيشهدون كيف أن قوات الامن هناك صابرة على مشاهدة الخوارج على القانون ممتنعة عن تعقبهم ورفع خطرهم انتظارا لنتائج هذا المؤتمر لاقتناع الشعب السوداني ان الحل السياسي الديمقراطي للمشكلة هو المسلك القويم •

سيدي الرئيس ،

انا قد اتفقنا بحضور جبهة الجنوب ويمثلها السيد غوردن أبيي وحزب سانو ويمثله السيد وليم دينق على أن تكون صلاحيات المؤتمر كما في الفقرة الثالثة من لوائح الاجراءات • ولكن هذا الوضع تعثر في بداية المؤتمر ثم اتفقنا على بيان (مشترك) لاهدافنا بصفة عامة وصدر البيان المتفق عليه من هذا المؤتمر يوم السبت ٢٠/٣/١٩٦٥ فما كان صدى ذلك البيان يتلاشى من هـذه القاعة حتى واجهنا مشروع الاستفتاء مواجهة تناقض تلك الاتفاقات وتناقض المشاعر التي أيدناها في ذلك البيان وتذهل كل حريص على مصلحة هذه البلاد ونجاح هذا المؤتمر •

سيدي الرئيس ،

ان الاحزاب والهيئات السودانية الممثلة في هذا المؤتمر المذكورة في صدر هذا الخطاب تطالب حزب سانو وجبهة الجنوب بسحب مشروع الاستفتاء الذي قدمـاه سحبا نهائيـا وتطالب باسم حاضر هـذه البلاد ومستقبلها بأن يعكف المؤتمرون على دراسة المشروع المفصل الذي تقدمت به لحل مشكلة الجنوب •

ان ما تقدمنا به من مشروع يعالج مشكلة الجنوب على ضوء أخطاء الماضي ومطالب الحاضر وآمال المستقبل ونطالب رجال حزب سانو وجبهة الجنوب أن يكونوا عمليين ويناقشوا مشروعنا نقاشا بنـاء هادفا ، واذا وجدوا الحاجة لتقديم مشروع مستقل فلهم ان يقدموا مشروعا مفصلا يمكن هذا المؤتمر من ايجاد حل يحقق مصلحة الجنوب الاقليمية ويكفل صالح السوداني العام •

بغير هذا الاسلوب فاننا سندور في حلقات مفرغة وستكون مداولاتنا مظاهرات عاطفية تثير ضجة ولا تضيء سبيلا والسلام عليكم •

الخرطوم في ٢٣ مارس ١٩٦٥

وبعد نقاش مستفيض حول اقتراح الاحزاب الشمالية واقتراح حزبي سانو وجبهة الجنوب ورد الاحزاب الشمالية والاستماع الى بعض الخطابات الشاذة التي ألقاها بعض زعماء الجنوب الذين أعلنوا أنهم لا يقبلون أي حل سوى فصل الجنوب عن الشمال كالخطاب الذي القاه (اقرى جادين) أحد زعماء التمرد وانسحب على أثره من المؤتمر وبارح السودان ليستمر في عمله العدائي ضد النظام والقانون مع زملائه المتمردين الذين تخطوا الحدود ولجأوا الى اراضي يوغنده وكينيا والحبشة وافريقيا الوسطى بعد النقاش المستفيض الذي اتضح انه غير مجدى ولن يصل الى نتيجة وبعد المساعي المشكورة التي قام بها بعض أشقائنا المراقبين من البلاد الشقيقة والتي لم تأت بنتيجة بعد ذلك قدم الاقتراح الاتي واقره المؤتمر وختم به اعماله وهو :

— الاقتراح المقدم يوم الخميس ٢٥ مارس سنة ١٩٦٥ ٠

هذا المؤتمر يقر ما يلي :

١ — ان تتخذ الخطوات التالية لاعادة الحالة في الجنوب الى الاوضاع العادية :

أ — ارجاع وكفالة استقرار اللاجئين اولئك الذين فقدوا ديارهم وممتلكاتهم من المواطنين الموجودين داخل البلاد ٠ اعادة نقل المعاهد العلمية ٠٠ جمع الاسلحة غير المرخصة ٠٠ حل المنظمات العسكرية وشبه العسكرية غير القانونية ٠

ب — رفع حالة الطواريء ٠ وهذا يعني تولي السلطات المدنية لزمام الامور ونقل مسؤولية الحفاظ على الامن وتطبيق القانون الى البوليس ٠

جـ — محاربة المجاعة في المناطق المتأثرة بها في الجنوب ٠

٢ — تجنيد وتدريب الجنوبيين لملء الوظائف ذات المسؤولية مثل :

أ — ضباط البوليس

ب ـ الاداريين

ج ـ ضباط الجيش

د ـ ضباط الصحة

هـ ـ ضباط الغبات •

٣ ـ ايجاد عمل للعاطلين •

٤ ـ تقوية اجهزة الاعلام بالجنوب وتجنيد جنوبيين اكفاء لادارتها •

٥ ـ تبني الخطوط السياسية التالية :

أ ـ حرية الدين وحرية التبشير للمواطنين السودانيين •

ب ـ المساواة في فرص العمل والمساواة في الاجور وعدم التمييز بسبب المعتقدات الدينية او اللغة او العنصر فقط •

ج ـ حرية التنقل •

٦ ـ اقامة المنشئات العلمية الاتية :

أ ـ جامعة في الجنوب

ب ـ فتح مدارس ثانوية للبنات • فتح مدرسة زراعية في ملكال • اعادة فتح مدرسة يامبيو الزراعية ومركز التدريب بجوبا • والمركز البيطري بملكال •

٧ ـ السماح للاشخاص والمؤسسات بفتح المدارس في نطاق قانون البلاد •

٨ ـ تكوين مجلس اقتصادي قومي للتنمية تتبعه وكالة فرعية في الجنوب ومهمة هذه ان تدرس من جميع النواحي المشاريع المفصلة التي تقدم بها فريق البحوث عام ١٩٥٤ بغرض وضع الخطط لتنفيذها •

٩ ـ تكوين لجنة فرعية اعضاؤها جنوبيون متفرعة من لجنة الخدمة العامة تكون مهمتها وضع المبادىء واسس الكفاءة للخدمة العامة •

١٠ ـ تبني سياسة تعطي الاولوية في احتلال الارض للسكان المحليين •

١١ ـ ملء الوظائف الادارية بالجنوبيين متى توفرت الكفاءة لذلك.

ان الاعضاء الموفدين المشتركين في هذا المؤتمر مصرون على ازالة اسباب الشكوى بتنفيذ الخطوط السياسية المذكورة وهم مستعدون للسفر في حملة من أجل السلام والاستقرار ويؤكدون أنهم سيبذلون كل ما في وسعهم من جهد لانهاء اعمال العنف خلال شهرين .

د ـ ان المؤتمر قد نظر في اشكال الحكم المختلفة التي يمكن ان تطبق في السودان ولكنه فشل في الوصول الى قرار اجماعي كما تتطلب قواعد اجراءات المؤتمر لذلك فقد عين لجنة تتولى ـ مستبعدة مبدأ الانفصال ـ بحث الوضع الدستوري والاداري للجنوب . وان تعرض النتائج التي تتوصل اليها تلك اللجنة على المؤتمر في ميعاد يحدد فيما بعد .

وبناء على هذه التوصيات تكونت لجنة الـ ١٢ وبعد ان عقدت عدة اجتماعات للدراسة والمناقشة قررت اعطاء الجنوب الحكم الذاتي ووضعت التخطيط لذلك الحكم ووافق اغلب المسؤلين من قادة الاحزاب الجنوبية على ذلك القرار وذلك التخطيط ولم يحصل الاختلاف الا على امرين :

١ ـ يرى الشماليون ان تكون كل مديرية وحدة قائمة بذاتها لها برلمانها ووزارتها .

ويرى الجنوبيون ان تكون المديريات الجنوبية الثلاث وحدة واحدة.

٢ ـ أن يكون حاكم كل اقليم من أقاليم الجنوب الثلاثة من أبناء الجنوب يختاره برلمان الاقليم ممن ترشحهم الحكومة المركزية . ويرى الجنوبيون أن تعينه الحكومة المركزية ممن يرشحهم برلمان الاقليم .

فلما قامت الثورة حسمت الامر وقررت اعتبار المديريات الجنوبية اقليما واحدا واسندت امر تلك الوحدة الى وزير من ابناء الجنوب يعاونه مجلس من الجنوبيين والشماليين لوضع كل التفصيلات المتعلقة بادارة

الاقليم الجنوبي ـ ولا شك ان هذا الحسم عمل جليل ويعتبر من اهم ما قامت به الثورة من الخطوات الرئيسية في حل مشكلة الجنوب ـ ولكن هناك ملاحظة لا بـد من ايضاحها وهو أن الاقليم الجنوبي تهيمن عليه الارساليات المسيحية كما تهيمن ايضا على البلاد المجاورة لذلك الاقليم وهـي يوغنده وكينيا والكنغو وافريقيا الوسطى وأثيوبيا وجميع قادة الجنوب المثقفين من خريجي تلك الارساليات وهذا الوضع يجعل الجنوب نافرا من الشيوعية واسناد اول خطوات ارساء الحكم الذاتي لوزير او وزراء معروفين بانتمائهم الى الحزب الشيوعي لا بد ان يحفز اولئك النافرين الى وضع العراقيل امام ذلك الاصلاح كما لا بد ان يثير اعداء الشيوعية في البلاد المجاورة لمساندة المتمردين والمخربين فكانت الحكمة تقضي بوضع هذه المهمة في اول الامر في ايدي رجال تثق فيهم الثورة ممن لا علاقة لهم بالشيوعية .

قد يقال ان الحركات التقدمية في الجنوب سائرة على قدم وساق وان العمال هناك متحمسون لتلك الحركات التقدمية ولا يمكن للعناصر الاخرى ان تقف في الطريق وان الكنغو تعطينا المثال الذي ينبغي ان نحتذيه فبالرغم من انتشار المسيحية وهيمنتها علـى التعليم هناك فقد استطاعت الكنغو ان تسير في طريق التقدم بل بلغ الامر الى درجة انتقال الكنغو الى الحكم الشيوعي وقبول المواطنين هناك به قد يقال ذلك ولكني مع ذلك اشك في ان سلوك هذا الطريق سيساعد على ارساء قواعد الحكم الذاتي في الجنوب وكان الاسلم أن نسلك الطريق الآخر فهو أقل عقبات واسهل مسلكا والى الان ـ لا يزال الامر في يد الثورة ويمكنها تذليل العقبات اذا اتضح لنا ان هناك عقبات .

الحكم الاقليمي

يجرنا الحديث عن اختلاف مناطق السودان وعدم ربطها بالمواصلات
مما جعل سكان كل منطقة في عزلة عن المناطق الاخرى ـ يجرنا هـذا
الحديث الى موضوع هام خاض فيه المواطنون المهتمون بمستقبل السودان
وبحثته لجان كثيرة ووضعت عنه تقارير متعددة ، وهو موضوع الحكم
الاقليمي . فقـد رأى البعض أن من بـين العقبات التي وقفت في طريق
الاصلاح وجعلت الحكومات المختلفة تهتم ببعض المناطق القريبة مـن
العاصمة والمدن الكبيرة ، فتخصها بقدر كبير من الخدمات وتهمل المناطق
الريفية النائية فلا يمسها الاصلاح الا بقدر ضئيل ، رأى هؤلاء أن مـن
بين المضار التي نجمت عن هذا الوضع السيء مركزية الحكم فرجوع
المسؤولين في المناطق الريفية البعيدة الـى الحكومة المركزية في الخرطوم
للحصول على موافقتها في كل الشؤون ، وجهل الكثيرين من المسؤولين في
الخرطوم لحقيقة الاوضاع في المناطق النائية جعل الاصلاح يسير ببطء
شديد وجعل موافقة الحكومة عليه امر صعب المنال او على الاقـل لا
تحصل الموافقة الا بعد مضي زمن طويل فقد تمضي السنة المالية والمكاتبات
دائرة بين الحكومة المركزية وتلك الجهة النائية بل قد تنتهي تلك المكاتبات
الى رفض المشروع لان حقيقة المشروع وتفاصيله والظروف المحيطة به
قد لا تجد عند المسؤول الذي لم يفارق الخرطوم ـ سبيلا الى ادراكه ـ
فنادوا بضرورة حكم السودان حكما اقليميا بمعنى ان يكون لكل اقليم
لكل مديرية مثلا ـ حكومة ذاتية لها برلمانها ووزراءها ولها اختصاصات

كبيرة وصلاحيات تجعل كلمتها في نطاق تلك الاختصاصات نهائية. وتقتصر الحكومة المركزية على وضع السياسة العامة وخطوطها العريضة . ومباشرة الشؤون الخارجية وشؤون التجارة الخارجية ايرادا وتصديرا وكلما يتصل بتلك التجارة ، والاشراف على المواصلات الرابطة بين الاقاليم المختلفة وبين السودان والخارج سواء كانت تلك المواصلات سلكية او لاسلكية وسواء كانت نهرية أو بحرية أو جوية . كما لهـا الاشراف على شؤون الجيش والامن العام الى غير ذلك من الامور الكبيرة التي تهم السودان ككل ولا تقبل التجزئة . وقد ظهرت هذه المشكلة باديء ذي بدء في عهد الحكم الثنائي وضاق بها ذرعا الاداريون الانجليز في المناطق النائيـة . وأذكر أنني سمعت مرارا من بعض كبار الاداريين كالميجر وايلد في اقليم الزاندي والمستر كمنج في مركز بور والمستر درويك في مركز كبويتا والمستر ايفنسي في مركز الجنينة توجيه الانتقاد الشديد لحكومة الخرطوم التي تجعل الفرد منهم وهو على بعد مئات الاميال من الخرطوم ومـع صعوبة المواصلات لا يستطيع ان يفعل ما يـراه ضروريـا الا اذا كتب للخرطوم وانتظر الزمن الطويل ليصله الرد بالموافقة فتفوت الفرصة وبهذه الطريقة تموت بعض المشاريع الحيوية .

وقد عالج الحكم الثنائي هذه المشكلة بتوسيع اختصاصات مفتش المركز بحيث لا يرجع الى المديرية الا في مسائل معينة وبتوسيع اختصاصات مدير المديرية بحيث اصبح شبيها بحاكم الاقليم المستقل فلا يرجع للخرطوم الا في المشاكل الخطيرة وبوضع نظام الحكومات المحلية وباعطاء النظار والعمد والسلاطين والملوك في المناطق البعيدة سلطات قضائية وقـد بدأ نظام الحكومات المحلية اول الامر بداية اعتمدت كل الاعتماد على تصرفات مفتشي المركز — بأن ركزت سلطات الحكم المحلي في يد المفتش ، واعطى الحق في نقل تلك السلطة كليا او جزئيا للمجلس المحلي الذي — يكونه بمعرفته ويشرف عليه وهو يمارس ما القاه على عاتقه من سلطات . ثـم

بوسع اختصاصات المجلس تدريجيا كلما أظهر المجلس استعدادا لذلك • فلما استقلت البلاد بدأت الحكومات الوطنية المتعاقبة تسير على نفس الخط واعطت المفتش الوطني سلطات واسعة لتأسيس مجالس بلدية او ريفية • والاشراف على المجالس القائمة وزيادة سلطاتها من عام لآخر • وفجأة ظهرت اثناء الحكومة الائتلافية فكرة الحكم الاقليمي بأن يقسم السودان الى اقاليم واعتبروا كل واحدة من المديريات التسع الحالية اقليما ــ وان يعطي كل اقليم حكما ذاتيا فيكون له برلمانه ومجلس وزرائه ويبدو لي ان السبب في ظهور هذه الفكرة المفاجئة وحماس الكثيرين من المثقفين لها هو مشكلة الجنوب واهتمام الجميع بها والبحث المتواصل لايجاد طريق لحلها فاعتقدوا ان قيام الحكم الاقليمي في كل انحاء السودان يتناول حل مشكلة الجنوب تلقائيا ــ فيكون لكل من بحر الغزال والاستوائية واعالي النيل بمقتضى سياسة الحكم الاقليمي حكما ذاتيا يحكم الجنوبيون فيه مناطقهم بأنفسهم ويتمكنون من تطوير مناطقهم كما يشاؤون •

واني مع اقتناعي التام بأن هناك اختلافات جوهرية بين شمال السودان وجنوبه في شتى الميادين • وان الاستعمار من جهة وجمعيات التبشير المسيحية من جهة أخرى عمقت هذه الاختلافات حتى خلقت على اساسها عداوة وبغضاء بين المواطنين في الجنوب والمواطنين في الشمال • وتعاون الاستعمار والتبشير المسيحي في تعبئة شعور الحقد والعداء في نفوس الجنوبيين حتى صنعوا من تلك التعبئة قنبلة زمنية جاء توقيت انفجارها بمجرد خروج الانجليز سنة ١٩٥٥ بعد قيام الحكم الذاتي ونجاحه في سودنة وظائف الجيش والبوليس والوظائف ذات النفوذ في الخدمة المدنية فانفجرت تلك القنبلة وحصل التمرد في الاورطة الاستوائية • ولحقه التمرد في قوة البوليس والسجانة فقد كان التنظيم لهذه الثورة محكما بأن كان جميع جنود الاورطة الاستوائية وجنود

البوليس والسجانة في المديريات الجنوبية من ابناء الجنوب تحت قيادة ضباط من ابناء الشمال مما جعل التمرد سهلا فقد قتل الجنود ضباطهم واستولوا على الاسلحة وكادت الثورة ان تلتهم الجنوب لولا التصرف الحكيم الذي استطاعت الحكومة الوطنية الاولى مع قلة تجاربها ان تتصرفه في حزم وشجاعة ومقدرة فانهت الثورة سريعا . غير ان الجنود الجنوبيين المسلحين انتشروا في الاحراش والغابات وبدأت حرب العصابات التي لا تزال اثارها باقية الى اليوم .

وواضح أن اندماج الجنوب والشمال في حكومة واحدة وادارة متحدة بعد هذا التاريخ المليء بعدم الثقة وسوء الظن وما لحق تلك الاحداث في عهود الحكومات الوطنية المتعاقبة مدنية كانت ام عسكرية ــ من قتل شمل الجنوبيين والشماليين على السواء ، واضح أن توحيد الجزئين في حكومة واحدة أمر غير مستطاع وحتى لو امكن ذلك فسيكون مبنيا على القوة والتفرقة في المعاملة الامر الذي لا يمكن أن يستمر . فلا حل لهذه المشكلة بحيث يعيش السودانيون جميعا شماليين وجنوبيين في سلام ورخاء وازدهار الا اذا اعطى الجنوب حكما ذاتيا يمكن الجنوبيين من حكم اقليمهم بأنفسهم والعمل على تطوير مناطقهم داخل اطار السودان الموحد. فكان الواجب علينا أن نخطو هذه الخطوة ولا نقحم وحدة المناطق الاخرى فيهذه المشكلة اقحاما حتىلا ندمر علاقات الصفاء والوحدة القائمة بين المواطنين في المديريات الست الشمالية . فان توسيع الحكم الاقليمي اللازم لمناطق الجنوب ليشمل المديريات الست الشمالية سياسة قصيرة النظر لانك تريد ان تعالج مشكله عن طريق خلق مشاكل اخرى مماثلة وقد اتضح الآن خطورة هذه السياسة فبمجرد الحوار حول الحكم الاقليمي الشامل لكل المديريات كوسيلة لحل مشكلة الجنوب ، ظهرت منظمات اقليمية تدعو الى تمزيق وحدة البلاد . فظهرت جبهة دارفور وجبهة جبال النوبة وجبهة مؤتمر البجة .

ومع ان فكرة اعطاء الجنوب الحكم الذاتي فكرة قديمة فعندما
قنع البريطانيون عن فكرة فصل الجنوب وضمه ليوغنده واضطروا الى
موافقة على الاعتراف بأن الجنوب جزء من السودان لا يمكن فصله عنه
فكروا في اعطائه الحكم الذاتي تحت اشرافهم بان يكون لهم الحق
الدستوري في حماية الجنوب من تغول الشمال ــ ثم استقل السودان
وحالت ظروف التمرد وحرب العصابات دون اتخاذ أي خطوة في موقف
الجنوب الى ان انعقد مؤتمر المائدة المستديرة ــ فقدم الشماليون على
اختلاف أحزابهم مشروعا موحدا يهدف الى اعطاء الجنوب الحكم الذاتي
متدرجا بحيث يصل الى الحكم الكامل بعد أن ينتج التعليم الكادر
الذي يستطيع ادارة الحكم الذاتي • وبعد ان يرتفع المستوى الاقتصادي
بحيث يجد الجنوب الامكانيات الاقتصادية التي يمكن ان يقوم عليها
الحكم الذاتي ، فرفض الجنوبيون في المائدة المستديرة مشروع الشماليين
وأصروا على الانفصال أو على الاقل على اجراء استفتاء في المديريات الجنوبية
ورفض الشماليون هذا المطلب فتوقف الامر عند هذا الحد الى ان جاءت
ثورة ٢٥ مايو فسارعت في جرأة اعطاء الجنوب الحكم الذاتي • وانني
لأرجو مخلصا أن يستطيع الجنوبيون القيام بمسؤوليات الحكم الذاتي
وبذلك تنهي هذه المشكلة فليست هناك فرصة أعظم من هذه الفرصة
التي هيأتها الثورة امام الجنوبيين بل ولا امام الشماليين للخلاص من
هذه المشكلة التي ظلت تعرض صلات المواطنين الى هزات عنيفة من
الخصومة وسوء الظن وعدم الثقة فعلى الجنوبيين أن ينتهزوا هذه الفرصة
العظيمة • وعلى الشماليين ان يستجيبوا لنداء الثورة بمساعدة الجنوب
والاخذ بيده حتى يصبح الحكم الذاتي حقيقه بارزه وبديهى ان الجنوب
يحتاج الى مساندة مالية من الشمال كما يحتاج الى موظفين وخبراء وفنيين
من الشمال حتى يمكن قيام الحكم الذاتي فعلى الشمال ان يتحمل كل
ذلك بسخاء •

واني ارى وقد وضع الحل النهائي لمشكلة الجنوب التي يعترف جمعينا بانها مشكلة اساسية ان نصرف النظر عن الحكم الاقليمي وان نعمل علـى اللامركزية في نطاق الادارة المحليـة فنعطي المجالس البلدية والريفية سلطات اوسع كلما برهنت على الكفاءة لتحمل تلك السلطات وفرق كبير بين حكم محلي له برلمانه ووزارته ، وادارة محلية يديرهـا مجلس من المواطنين المحليين وتعطيه الحكومة المركزية السلطات بالتدريج محتفظة دائما بحقها في منح تلك السلطات بالقدر الذي تراه بل وفي سلب بعض تلك السلطات اذا أسيء استعمالها .

واني اعتقد أننا لا نزال في حاجة الى حكم مركزي قوي يعمل على تيسير المواصلات وتلاحم الشعب في كل المناطق وتوحيده حتى تصبح بالفعل امة واحدة في احساساتها ومشاعرها وبعـد الوصول الى هـذا التلاحم والتوحيد يمكن النظر في الحكم الاقليمي لانه حينذاك لا يهدد بتمزيق الامة وتعريض وحدة الوطن للانقسامات .

جمعية اللواء الابيض

لقد كان للثورة التي قامت بها العناصر الوطنية بمصر سنة ١٩١٩ ضد الاحتلال البريطاني رد فعل قوي في السودان تردد صداه في مناطق نوعي كالعاصمة المثلثة ومدني وعطبره وبور سودان وغيرها فبدأ الشبان الوطنيون يتجمعون ويعملون سرا استعدادا للثورة لرفع نير الاستعمار البريطاني عن كاهل الشعب وكان من بين اولئك الشبان المتحمسين الذين لم يستطيعوا كبح جاح نفوسهم الثائرة الملازم اول علي عبد اللطيف الذي كان ضابطا في الوحدات السودانية التابعة للجيش المصري المعسكرة بالسودان مما ادى الى ابعاده من الجيش ثم الى زجه في غياهب السجن عدة اشهر خرج بعدها ليضاعف جهوده مع زملائه الاحرار . فلما ازدادا عدد المناضلين المستعدين لاشعال نار الثورة واتسع نطاق المؤيدين لهم الفوا « جمعية اللواء الابيض » برئاسة المناضل البطل علي عبد اللطيف وذلك في مارس سنة ١٩٢٤ وكان هدفها الذي اقسم اعضاؤها على تنفيذه او الاستشهاد دونه هو (تحرير السودان من الاستعمار وتحقيق وحدة وادي النيل) .

وما ان بدأت الجمعية تمارس نشاطها حتى سمع المواطنون في السودان ولاول مرة الهتافات الداويه يرددها الوطنيون الاحرار كما شاهدوا لاول مرة ايضا المظاهرات الصاخبة يقودها الثائرون الابرار وجرت عدة مصادمات واشتباكات بين المستعمرين والمتظاهرين في الخرطوم وفي غيرها وسيق بسببها عدد من المناضلين السجن كوبر فلم تزداد نار الثورة الا اشتعالا ثم قرر طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم أن

يخرجوا في مظاهرة تأييدا لقادة جمعية اللواء الابيض وخرجوا يوم ٨ اغسطس سنة ١٩٢٤ يجوبون شوارع الخرطوم يقودهم ضابطهم المقدام اليوزباشي احمد رفعت وعبرت المظاهرة الكبرى النيل الازرق واتجهت نحو سجن كوبر لتحية البطل عبد اللطيف، وزملائه قادة جمعية اللواء الابيض المعتقلين هناك ثم قفلت المظاهرة راجعة الى المدرسة الحربية ودخل الطلبة مدرستهم ولكنهم طوقوا بقوة من الجيش البريطاني ثم جرت محاولات ماكره سلم بموجبها الطلبه سلاحهم للجيش المصري فقبض عليهم بعد ذلك وسجنوا على ظهر باخرة حربية صغيرة ألقت مراسيها وسط نهر النيل الازرق واحيطت بالجنود من شاطىء النيل عدة اشهر ثم شكلت لهم محكمة حكمت على كل واحد منهم بثمان سنوات سجن نقلوا على اثر صدور الحكم الى سجن كوبر — وقد حدثت بعد ثلاثة أشهر من ثورة اللواء الابيض سنة ١٩٢٤ تلك المعركة الدامية التي دارت رحاها في الخرطوم يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ بين الجيش البريطاني والوحدات السودانية التابعة للجيش المصري — وذلك يرجع سببه الرئيسي الى حادث مقتل السير لي استاك سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام في شوارع القاهرة اثناء وزارة الزعيم سعد زغلول باشا فاستغل الاستعمار البريطاني الحادث وطلب من الحكومة المصرية عدة مطالب لاصلة لها بالحادث ومن بين تلك المطالب ضرورة سحب الجيش المصري من السودان في الحال فرفض سعد باشا تلك المطالب الظالمة ولكن البريطانيين جاءوا بزيور باشا رئيسا للحكومة بدل سعد بناء على اوامر الخديوي الذي كان في ذلك الوقت دمية في يد قوات الاحتلال البريطاني وأصدر زيور باشا أوامر بسحب الجيش المصري بجميع وحداته المصرية والسودانية من السودان واستجاب قادة الوحدات بالسودان لتلك الاوامر غير ان ليوزباشي احمد رفعت قائد سلاح المدفعية رفض الرحيل الا اذا تلقى الاوامر من احد القادة المصريين مباشرة وقد

حصل ذلك فيما بعد ولما بدأت الواحدات المصرية ترحل من السودان تحركت الوحدات السودانية من ثكناتها بالخرطوم متجهة نحو كوبري النيل الازرق لتعبره وتنضم لقوات المدفعية التي رفضت الرحيل ولما وصلت الكبرى وجدت أن البريطانيين قد فتحوه لئلا تتمكن من عبوره وقابلهم القائد البريطاني هدلستون وامرهم بالرجوع لثكناتهم ليرحلوا منها لمصر أو يتخلوا عن الجيش المصري فرفضوا ودارت بين هذا القائد والضباط السودانين مناقشة حادة فاصدر القائد البريطاني اوامره للجيش البريطاني الرابض في ثكناته بالقرب من الكبرى من جهة الخرطوم ودارت المعركة ليل ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وجزءا كبيرا من نهار ٢٧ نوفمبر مات فيها مئات من الجنود البريطانيين وعشرات من الجنود السودانيين كما دارت في صباح ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ معركة في مستشفى النهر حينما ضرب أحد الضباط البريطانيين الملازم أول عبد الفضيل ألماظ الذي كان طريح الفراش يعاني من جرح اصابه اثناء المعركة فاشتبك الجرحى بالبريطانيين من ضباط وأطباء فوجه البريطانيون مدافعهم نحو المستشفى فانهارت بعض مبانيه على الجرحى وماتوا جميعا ـ وانتهت المعركة لان الوحدة السودانية استنفذت ما بيدها من ذخيرة فاستسلمت مضطرة وقبض على أربعة من الضباط الذين كانوا يديرون المعركة وحكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم في الحال على ثلاثة منهم رميا بالرصاص وهم الملازم اول سليمام محمد والملازم ثاني حسن فضل المولى والملازم ثاني ثابت عبد الرحيم اما الرابع فقد عدل الحكم عليه في اللحظات الاخيرة الى السجن ١٥ سنة .

ثم شكلت محاكمة بعضها انعقد داخل سجن كوبر وبعضها خارجه وقدم اعضاء جمعية اللواء الابيض وتلامذة المدرسة الحربية واولئك الذين اشتركوا في معركة ٢٧ نوفمبر ضد القوات البريطانية وصدرت الاحكام بالسجن لمدة تتراوح ما بين ٩ شهور و ١٥ سنة سجن ما عدا اربعة في

مقدمتهم علي عبداللطيف وعبيد حاج الامين فقد تقرر سجنهم بمدينة واو ببحر الغزال وظلوا في السجن يقاسون آلام الرطوبة وسوء التغذية والامراض حتى مات احدهم بالحمى السوداء وحتى اصيب علي عبد اللطيف بنوبة حادة من الامراض العصبية ارسل بسببها الى مستشفى الامراض العقلية بالقاهرة حيث توفي هناك يوم ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٨ وظل عبيد حاج الامين يصارع الالام والتعذيب الى ان مات في المنفى في يوليو سنة ١٩٣٢ وابعد اكثر من عشرة من الضباط بعد قضاء فترة في السجن الى مصر ونفي أمام جامع الخرطوم الشيخ الحسن الامين الضرير بعد قضاء فترة في سجن كوبر الى الحصاحيصا فقضى عدة سنوات هناك وخرج اولئك السجناء الذين اتموا مدتهم في سجن كوبر ليقضوا بقية ايامهم في اهمال واضطهاد وما زال ابطال سنة ١٩٢٤ الاحياء سواء المقيمين بالسودان او المقيمين بمصر بعد هذه التضحيات الجسيمة وما زال اولاد من قتل او توفي منهم يقاسون الم الاهمال من جميع الحكومات الوطنية مدنية او عسكرية ويكاد الجيل الحالي يجهل ما قاموا به من عمل مجيد اذ كانوا هم الرواد الذين اشعلوا اول شرارة من الثقاب في وقت خيم عليه الظلام فما زالت تلك الشرارة تومض حينا وتختفي أحيانا حتى نفخ فيهـا مؤتمر الخريجين سنة ١٩٤٢ فأزاح عنهـا الركام والرماد فاشتعلت تضيء الطريق وتقدم الشعب في ضوئها يسير بخطى تضطرب أحيانا وتتعثر أحيانا وتتقدم أحيانا والرواد الاوائل الذيـن أشعلوا ذلـك الضياء يقيم الاحياء منهم الآن في أوكار مظلمة في مصر والسودان تتخطاهم العيون حتى كانهم لا يزالون الى اليوم في غياهب السجون •

مشروع الجزيرة

حينما نستعرض التطورات التي حدثت في السودان اثناء فترة الحكم الثنائي نجد ان حكومة السودان كانت تعمل بكل ما اوتيت من مقدرة وامكانيات على سد الطريق امام الشعب والحيلولة بينه وبين الاخذ باسباب التقدم ليس ذلك في المجال السياسي فقط بل يبدو ذلك واضحا في المجالات الاخرى وقد يقول من يأخذ الامور بحسب مظهرها ان حكومة السودان طورت البلاد في شتى الميادين ففي ميدان التعليم حصل تطور من مدارس ابتدائية محدودة ومدرسة ثانوية واحدة الى جامعة وعدد كبير من المدارس الثانوية وفي الميدان السياسي والدستوري حصل تطور فأنشىء مجلس استشاري ثم مجلس تشريعي وفي ميدان الزراعة انشئت المشاريع الزراعية في النيلين الازرق والابيض وهكذا في الميادين الاخرى، ولكن الذي ينظر بعين فاحصة يجد أن هذا التطور والتقدم الذي حصل بالفعل في عدة ميادين مرده الى عدة امور منها مطالبة الشعب وضغطه وخوف الحكومة من انفجاره وثورته كما اتضح ذلك من كلامنا على المجلس الاستشاري والجمعية التشريعية والعدول عن فصل الجنوب عن الشمال — ومنها العمل على ايجاد اقطاعيين يسيطرون على الشعب ويخضعون للحكومة فيجرون الشعب الى الخضوع التام للحكومة كما حصل في اعطاء الافراد المشروعات الزراعية الكبيرة وتمويلها بواسطة الشركات البريطانية والبنوك الاستعمارية — ومنها ضغط المؤتمر في ميدان التعليم ووضع الحكومة في موضع المسابقة والمنافسة حينما أنشأ

المؤتمر شبكة من المدارس بلغ عددها في خمس سنوات ما يقارب عدد ما انشأه الحكم الثنائي في مدى خمسين عاما وذلك من تبرعات الشعب ومجهوده الذاتي فاضطرت الحكومة الى توسيع نطاق التعليم وتكوين جامعة الخرطوم ــ وقد اشرت الى هذه المعاني توطئة للكلام عن مشروع الجزيرة فانك اذا تتبعت هذا المشروع ونظرت اليه من الزوايا المختلفة لما أمكنك الا الثناء على الحكم الثنائي في ابراز هذا المشروع العظيم وبهذا الوضع الذي نال اعجاب كل منصف من المواطنين والاجانب وميزة هذا المشروع تظهر اولا في ضم الاراضي الزراعية في الجزيرة الى بعضها ودمجها كلها وازالة الحواجز والفواصل فاصبحت مزرعة واحدة بحيث لا يستطيع أي فرد ممن يأخذون الاجرة سنويا ان يعرف حدود ارضه أو يتبين مواقع مزرعته القديمة واشترت الحكومة من الافراد والجماعات اراضي كثيرة كما اصدرت قانونا بضم الحصص الصغرى لبعضها واضافتها للحكومة وتسجيلها باسمها حينما يتعذر الضم ثم شقت الترع والقنوات مستمدة الماء من الترعة الرئيسية الضخمة التي ينساب اليها الماء المحجوز وراء خزان سنار بنظام وحساب دقيق وقسمت جميع أراضي الجزيرة المنضوية تحت المشروع الى مزارع صغيرة مساحة المزرعة عشرة فدادين او خمسة واعطى كل فلاح من سكان الجزيرة او من خارج سكان الجزيرة من الفلاحين مزرعة وخصص هذا المشروع اساسا لزراعة القطن الطويل التيلة الا أن النظام الدوري للزراعة سمح بزراعة الذرة واللوبيا وغيرهما حسبما تقضي به الاحوال الفنية ووضع المشروع جميعه تحت ادارة محكمة وأبحاث زراعية لمكافحة الآفات واجراء التجارب اللازمة للمشروعات الى غير ذلك مما جعل المشروع عظيما من كل النواحي • وهو مشروع اشتراكي بكل معنى الكلمة فالمزارع الجماعية والكميونات الزراعية في كثير من البلاد الاشتراكية لا يختلف مشروع الجزيرة في جوهره عنها الا بالقدر الذي يتمشى مع اوضاع السودان وان الانسان لتصيبه

الدهشة وهو يشاهد مشروعا يقوم على الاسس الاشتراكية ويحول دون الاقطاعية وينمي في الفلاحين الشعور بضرورة تنمية الانتاج ويفتح الباب لمساهمة افراد عائلة الفلاح من نساء واولاد وبنات للمساهمة في الزراعة بالطرق الحديثة ويرفع من مستوى الفلاحين بحيث اصبحت قرى الجزيرة قرى مزودة بالمياه النظيفة والوسائل الصحية والخدمات الاجتماعية وانتشرت في ارجائها المدارس والمعاهد التعليمية ـ ان الانسان تصيبه الدهشة ان كان الاستعمار هو صاحب الفضل في هذا المشروع الاشتراكي العظيم ولكن تخف الدهشة عندما يعلم الانسان ان مشروع الجزيرة هو في الواقع مزرعة لمعامل لانكشير يزودها بالقطن ـ وهذا هو السر في اهتمام الانجليز وعنايتهم بالمشروع ولكن مع ذلك تظل بعض اثار الدهشة عالقة بالذهن لان هذا التفكير الاشتراكي لا ينسجم مع التفكير الرأسمالي فلو قسم هذا المشروع الى اقطاعيات زراعية على غرار المشاريع الزراعية الخصوصية لامكن الاشراف عليه من ناحية الري ورعاية القطن وجنيه وتسويقه الى جنب تنمية النظام الاقطاعي الذي يمهد للاستعمار السيطرة الاستعمارية ـ وعلى أي حال فاذا كان للاستعمار حسنات جاءت في طيات ما له من سيئات فان اعداد وتخطيط مشروع الجزيرة يأتي في مقدمة هذه الحسنات وقد استفادت منه البلاد فائدة عظيمة واستطاع الوطنيون سواء كانوا مزارعين او اداريين او فنيين ان يضطلعوا بمهام هذا المشروع بكفاءة تامة ولا ريب أن هذه الحسنة لم تكن خالصة لوجه السودان فقد اعد الانجليز مشروع الجزيرة هذا ليكون مزرعة للانكشير تمدها بالقطن كما ذكرنا انفا ولكن مع ذلك تبقى اثار الدهشة عالقة بالذهن ايضا فان هذا الاسلوب الاشتراكي في ضم المزارع الصغيرة الى بعضها لانشاء مزرعة متسعة الارجاء ومحو اثار تقسيماتها وعدم الالتزام باعطاء المزارع صاحب الارض نفس ارضه او جزءا منها بل يعطي كل مزارع المزرعة التي تخصص له بقطع النظر عما اذا كان ذلك المزارع من

ملاك الارض بالمشروع أو ملك لـه . واعطاء مالك الارض المخصصة له بقطع النظر عما كانت في منطقة أرضه المملوكة أو أية بقعة أخرى ـ هذا النظام الذي جعل المشروع شبيه بالاراضي الجماعية الروسية والكيمنات الصينية هذا من جهة ومن جهة اخرى لا يسمح للمزارع ان يزرع كما يشاء بل لان من خضوعه للنظام المرسوم فعليه أن يزرع هذا الجزء من المزرعة قطنا وذاك ذرة مثلا وعليه ان يزرع القطن في المواعيد المقررة ويجنيه في المواعيد المقررة ويسلمه لادارة المشروع لتتولى حلجـه وترحيله لميناء بور سودان وتصديره للخارج للانكشير في ابان الحكم الثنائي ـ ثم بعد أن استقلت البلاد وورثت الحكومة الوطنية هذا المشروع العظيم أمكن للسودانيين المؤهلين للناحية الادارية والنواحي الفنية أن يسيروا دولاب العمل بنفس المستوى الذي كان يسير عليه أثناء قيام البريطانيين بادارته والاشراف عليه ثم عملت الحكومة الوطنية على زيادة الرقعة المزروعة فاقتطعت من الاراضي الصالحة للزراعة من مركز الناقل نحو ٩٠٠ الف فدانا وهيأتها للزراعة بنفس الاسلوب الذي اعد به مشروع الجزيرة فشقت الترع وقسمت الارض الى مزارع صغيرة مساحة المزرعة خمسة افدنة . ووزعت على المزارعين وجرى العمل بها متمشيا مع مشروع الجزيرة القديم وحررت محصول القطن من احتكار بريطانيا له . وعقدت له السوق العالمية داخل السودان . وتنافس وكلاء الشركات والمصانع والحكومات في شرائه . وكان قطن الجزيرة في زمن الحكم الثنائي ومـا يزال الى يومنا هذا العمود الفقري في ايرادات الحكومـة ـ والتطور الوحيد الذي حصل بعد الاستقلال هو اشتراك مزارعي مشروع الجزيرة في مجلس ادارة المشروع وخضوع ما يحجز من كل مزارع من ثمن محصوله في صندوق الخدمات العامة لتصرف اتحاد المزارعين . فهم الذين ينفقون ذلك المال في الخدمات اللازمة كالتعليم والصحة وتنقية ماء الشرب واقامة المساجد وغير ذلك دون أي تدخل من جانب الحكومة

الامر الذي لم يكن يسمح به أثناء الحكم الثنائي •

ولا بد لي وانا اتكلم عن مشروع الجزيرة ان اشير الى ان الحكم الثنائي شرع في الماضي في تكوين الطبقة الاقطاعية فاعطى بعض الافراد أراضي واسعة على شاطىء النيل • وقامت البنوك الاجنبية والشركات الاحتكارية بتمويل زراعة تلك الاراضي وتزويدها بالآلات الرافعة والجرارات اللازمة لحرث الارض واعدادها والمال اللازم لشراء البذور واداء الاجور للعمال الزراعيين • فقامت هذه المشاريع وازدهرت واغدقت على اصحابها دخلا وفيرا وهم في الواقع ليسوا مزارعين ولكنهم جندوا الفلاحين الذين يمدون صاحب المشروع بالجزء الاكبر من ثمرة كدهم وجهدهم ولا شك أن هذه خطوة استعمارية كبيرة في الطريق الاقطاعي •

فلما جاءت الحكومة الوطنية قررت عدم تجديد رخصة أي مشروع حينما ينتهي امدها والسماح فقط للجمعيات التعاونية بامتلاك وادارة المشاريع الخصوصية وبذلك اوقفت تيار الاقطاع الذي بدأ الاستعمار في تأسيسه • الى ان جاءت الثورة الاشتراكية فاهتمت كل الاهتمام بالجمعيات التعاونية واصبحت هي صاحبة الحق الاول في المشاريع الزراعية الواقعة في شواطىء النيل بل والواقعة في مساقط الامطار • وانتشرت الجمعيات التعاونية في الميادين الانتاجية الاخرى صناعية كانت او تجارية في مجال القطاع الخاص •

الادارة الاهلية

أشرنا عند الكلام على تركيب الشعب السوداني الى أن مجتمع القبيلة والعشيرة لا يزال قويا في السودان فالقبائل العربية التي دخلت السودان ظلت محتفظة بكينونتها متمسكة بتقاليدها وتفرعت منها قبائل كثيرة وأصبحت تلك الفروع قبائل قائمة بذاتها كما أن القبائل في مناطق البجة والفور والنوبة والمديريات الجنوبية لا تزال قوية لها شخصيتها وتقاليدها وهي مبنية على العنصرية وكانت السلطنة الزرقاء قائمة على النظام القبلي وكذلك سلطنة دارفور ففي كليهما كان شيخ القبيلة هو رئيس الادارة وهو السلطة القضائية التي تفصل في النزاع وهو السلطة التنفيذية التي تنوب عن السلطان في ادارة شئون القبيلة ولما جاء الحكم التركي المصري (التركية السابقة للمهدية) كان الحكم النظامي المركزي في دائرة ضيقة حول العاصمة وفي المدن الكبيرة وأما الجهات الشاسعة التي يقطنها الرعاة والزراع فكان مشايخ القبائل هم القائمون بكل الشؤون مستمدين سلطاتهم من الحكمداريين بالخرطوم ولما نشبت الثورة المهدية لم تجد البلاد الامن والاستقرار حتى تقوم فيها ادارة منظمة مركزية أو قبلية بل كانت كل سني المهدي وخليفته ثورات متتابعة لا تهدأ الثورة في ركن من أركان البلاد الا وتقوم ثورات أخرى في غيره من الاركان ومع ذلك كان النظام الحربي ابان الثورة مبنيا على القبلية فالامير الكبير الذي يقود الجيش تحت الراية الزرقاء مثلا تنضوي تحت لوائه فرق كثيرة كل فرقة من قبيلة من قبائل السودان • ثم جاء الحكم الثنائي فنظم الادارة ونظم القضاء وأصبح السودان يسير على نظام حديث بل كانت ادارة

سودان مضرب المثل في تنسيقها وكفاءتها وحسن اشرافها علــى مرافق
البلاد ومع ذلك ظلت مناطق كثيرة خصوصا في الجهات التي يقطنها العرب
الرحل ويجوبونها جيئة وذهابا يسودها النظام القبلي ويدير دفتها زعيــم
القبيلة وأعوانه من مشايخ تلك القبيلة وتشرف الادارة المركزية في الخرطوم
عليها اشرافا عاما يقوم بالتوجيه والنصح وتصحيح الاخطاء الكبيرة وظل
القضاء في تلك المناطق في أيدي زعماء العشائر الذين يفصلون في كثير من
القضايا بناء على العرف والتقاليد التي تختلف من قبيلة لاخرى .

ولما قام المستر لوجارد أحد المفكرين الاداريين من حكام المستعمرات
بانشاء نظام الادارة الاهلية في نيجريا الشمالية بوضع ادارة البلاد العامة
تحت سلطان أو ملك وطني يتبعه سلاطين متعددين كل سلطان يقوم بادارة
قبيلته الكبيرة ويساعده مشايخ القبائل الصغيرة المنضوية تحت القبيلـة
الكبيرة ويشرف علـى الجميع الاداريون والقضاة البريطانيون الذيـن
يقومون بالتوجيه والنصح ويسنون من وقت لآخر القوانين التي تتمشى
مع عرف وتقاليد القبائل ــ لما قام لوجارد بوضع هذا الاسلوب من الحكم
ونجحت تجربته أرادت حكومة السودان أن تطبق تلك السياسة فصدر
قانون الادارة الاهلية سنة ١٩٢١ وبدأت حكومة السودان تنمي الشعور
القبلي وتصدر القوانين التي تعطي زعماء العشائر سلطات ادارية وسلطات
قضائية غير ملتفتة الى المؤهلات التعليمية فالناظر الامي يفصل في كل أنواع
الخصومات برأيه مستندا الــى عرف قبيلته وعاداتها وتقاليدها ويقــوم
بالادارة وكل شئون القبيلة مستندا أيضا علــى العرف والتقاليد . ثــم
شرعت في وضع الاسس التــي تقوم عليها السلطنات المتعددة في الاطار
القبلي فبــرز زعماء القبائل الكبيرة أو الزعماء الذين تثــق فيهم حكومة
السودان أكثر من غيرهم وبدأت الحكومة تضم القبائل الصغيرة لقبائل
أولئك الزعماء لتوسيع قاعدة حكمهم الشعبية فتألق منذ سنة ١٩٢٨ نجم
الشيخ علــي التوم ناظر الكبابيش والشيخ ابراهيم موسى مادبو ناظــر

الرزيقات والشيخ محمد الامين ترك ناظر الهدنة والشيخ الزبير حمد المدك ناظر الدناقلة والشيخ ادريس هباني ناظر الحسانية والشيخ عوض الكريم أبو سن ناظر الشكرية والشيخ منعم منصور ناظر الحمر وغير هؤلاء من زعماء العشائر في المناطق البعيدة عن العاصمة وصدرت قوانين ادارية ربطت سلطات هؤلاء النظار مع عديد من القبائل الصغيرة المجاورة لقبائلهم وصدرت التعليمات للمديرين والمفتشين ليقوموا بتقوية هؤلاء النظار وتدعيم مراكزهم توطئة لرفعهم تدريجيا حتى يصبح كل منهم سلطانا على منطقته وبذلك يضمن المستعمرون ولاء كل سلطان واعتماده عليهم في منافسة الآخرين وفي حمايته من تغولهم عليه وعلى قبيلته ويضمن المستعمرون أيضا بقاء السودان في جهالة عمياء أطول مدة ممكنة لان أمثال هؤلاء السلاطين يشعرون دائما أن التعليم سيقضي على سلطانهم فلا بد أن يحاربوه ويبعدوا قبائلهم عن الاستضاءة بنوره ويضمن المستعمرون أيضا حكم السودان بأقل تكاليف فمثل هذا النظام لا يحتاج الى ميزانية ضخمة ولا الى موظفين عديدين ـ وقد لطف الله بهذه البلاد بفضل يقظة شعبها واستعداده العظيم الذي استمده من تاريخه المجيد وتراثه الثري فقد ارتفع صوت الطبقة المثقفة وتجاوبت معه أصوات الطبقات الواعية تندد وتحذر من مغبة حكم الادارة الاهلية وأخطاره وما يتضمنه من ظلم واستبداد فأفزع ذلك الصوت المستعمرين فأخذت حركة الادارة الاهلية تتقلص ويصيبها الشلل شيئا فشيئا الى أن وصلت الحركة الوطنية ذروتها ورفع مؤتمر الخريجين راية النضال ضد المستعمرين وبرزت الاحزاب الوطنية وتمخض الكفاح عن انتزاع حق تقرير المصير الذي كان للثورة المصرية فيه الفضل العظيم الذي يستحق من كل مخلص كل اكبار وتقدير فانهارت تلك السياسة الاستعمارية بل وانهار الحكم الثنائي واستقلت البلاد . ولو تأخر الاستقلال بضع سنوات لوجدنا أنفسنا في قبضة ذلك النظام السيء ولكلفنا الخلاص منه الكثير من الجهد ولكن الله سلم . ولما

ستقلت البلاد وجدت الادارة الاهلية قوية الاركان كنتيجة للجهود التي بذلها الحكم الثنائي لتقويتها وتنميتها وارتفعت صيحات المواطنين هنا وهناك تشكو من ظلمها وارهاقها تلك الصيحات التي كانت مكبوتة تحت ضغط الاستعمار فقامت الحكومات الوطنية المتعاقبة بمحاولات جادة لازالة ذلك الكابوس فألفت لجان اتصلت بكل مناطق السودان ودرست أوضاع الادارة وأحوال القبائل واستمعت الى شكاوى المواطنين وقررت أن لا بد من ازالة الادارة الاهلية في المناطق الواعية وابدالها بادارة نظامية قوامها الموظفون المثقفون ورجال القانون والاداريون الذين مارسوا الادارة واكتسبوا خبرة واسعة • وفصل القضاء عن الادارة في بعض المناطق التي لم يكتمل وعيها بعد بانشاء محاكم قضائية تسند الى القائمين المؤهلين وترك الادارة في أيدي زعماء العشائر لتصفيتها تدريجيا بأن أي ناظر قبيلة أو شيخ حط نجلس مكانه بالموت أو بالمرض أو بارتكابه أي جرم لا يعين له خلف أو تعين عن طريق الانتخاب لا عن طريق الوراثة اذا اضطرت الحكومة على استمرار منصبه هذا مع الاسراع في التعليم والارشاد ليكتمل الوعي كما قررت ترك كل الشئون الادارية والقضائية في بعض المناطق في أيدي زعماء العشائر وذلك في مناطق البوادي حيث العرب الرحل وفي مناطق الجبال والغابات والمستنقعات حيث لا يزال الناس على الفطرة • وفي عهد حكومات الاحزاب التي قررت هذه السياسة بناء على توصيات اللجان التي درست هذه المشكلة على الطبيعة لم يتم التنفيذ بالسرعة الواجبة بل ظل يتلكأ كما هو الحال في كثير من الامور في ذلك العهد كنتيجة حتمية للصراعات والمناورات التي كانت العامل الرئيسي لتعطيل الكثير من القرارات الهامة وابطاء خطوات الاصلاح في كثير من الشئون والآن وقد قامت الثورة الاشتراكية وأعلنت القضاء على الادارة الاهلية بل شرع رئيسها بالفعل في تنفيذ هذه السياسة التي أعلنها في بعض المناطق التي زارها خصوصا في المديرية الشمالية ومديرية الخرطوم وهي المناطق

التي قررت اللجان من قبل أن وعيها قد اكتمل • الآن وقد أعلنت الثورة القضاء على الادارة الاهلية فاننا ننتظر السرعة في تنفيذ تلـك السياسة القديمة التي يبدو لي أن لا وسيلة لتغييرها فبعض الجهات وخصوصا التي يقطنها العـرب الرحل في فيافي كردفان وسهول درافور ومرتفعات البحر الاحمر لا يمكن القضاء على الادارة الاهلية بين عشية وضحاها فلا بد من الانتظار عـدة سنوات تقوم الحكومة في أثنائها بنشر التعليم والوعي في تلك المناطق حتى يرتفع مستواها ويمكن ادارتها ادارة مباشرة وحتى تجد الحكومة العدد الكافي من رجال القانون والميزانية الضخمة اللازمة لاقامة المحاكم النظامية في تلك المناطق الواسعة • أما قبل ذلك فليس في استطاعة أيةحكومة مهما كانت ثورية أن تلغي سلطات زعماء تلك العشائر ومساعدتهم أو تلغي سلطاتهم القضائية فلا تزال قبائل الكبابيش والهواوير والرزيقات مثلا مغلقة أمام جباة الضرائب ورجال البوليس وستظل مغلقة لعدة سنوات ولا بد من الاعتراف بالواقع ومعالجته بنشر التعليم في تلك الارجاء وبث الوعي في صفوف تلك القبائل هذا من جهة ومن جهة أخرى اعداد الكادر الذي يقوم بالادارة والقضاء وأعمال البوليس وجباية أموال الحكومة •

المجلس الاستشاري

في عامي ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ازداد ضغط المؤتمر على الاستعمار
البريطاني بعد أن تحول الى ادارة سياسية وارتفع صوته وأخذت جماهير
الشعب تلتف حوله فقد وضعت الحرب التي ساهم فيها السودان مساهمة
كبيرة أوزارها ولم يجن السودان ثمرة كفاحه وتنكر الاستعمار لوعوده
وهبت الشعوب المستعمرة في كل أنحاء العالم تطالب بالحرية وكانت
شعوب وادي النيل في مقدمة المناضلين الافريقيين فكان من الطبيعي أن
تقود الطبقة المثقفة نضال الجماهير ضد المستعمرين توطئة لاشعال الثورة
الجامحة التي تطهر السودان من ادارتهم ففكر البريطانيون أن يخطو خطوة
تطفىء هذه الشرارة الوطنية قبل أن يستفحل أمرها ويتصاعد لهيبها
فأنشأوا المجلس الاستشاري لشمال السودان ورموا من ورائه لتحقيق
أمرين : الاول ايهام السودانيين في الشمال حيث انتشر الوعي واستيقظ
الشعب أن الحكومة تستشيرهم في الخطوات الاصلاحية لتطوير بلادهم
وتستمع لآرائهم وتأخذ بها في شئون بلادهم وسيكون ذلك المجلس هو
الأداة المعبرة عن رأيهم فلا محل للمؤتمر بعد ذلك، ولا مجال للتذمر
والشكوى — والثاني — جعل هذا المجلس الاستشاري مختصا بشمال
السودان لينشئوا بعد قليل مجلسا استشاريا آخر لجنوب السودان وبذلك
يضعون الاساس الدستوري لفصل جنوب السودان عن شماله تنفيذا
للسياسة التي وضعتها الحكومة البريطانية منذ سنة ١٩٠٤ ونفذها بعنف
شديدا يتنافى مع أبسط قواعد الاخلاق الانسانية وتقدير المسئولية

السكرتير الاداري المستر ماكمايكل منذ سنة ١٩٣٠ حينما قفل الجنوب في وجه الشماليين وأجرى تصفية شاملة للعناصر العربية والاسلامية التي سبق أن استقرت في عدة مناطق في المديريات الجنوبية حتى أصبح الجنوب في نظر السياسة البريطانية صالحا لفصله دستوريا عن الشمال وضمه لمستعمراتهم في شرق افريقيا أو جعله مستعمرة بريطانية قائمة بذاتها فأراد السكرتير الاداري المستر نيوبولد بانشاء المجلس الاستشاري لشمال السودان تنفيذ الخطوة الدستورية ومع أن الصرف على ادارة المديريات الجنوبية وخدماتها يقتطع باستمرار من الميزانية العامة للسودان التي يمولها الشمال فقد حرم على المجلس الاستشاري أن يشير عن قرب أو عن بعد الى الجنوب ونفقاته أو مجرد السؤال عما يسلم للارساليات التبشيرية من أموال الدولة مع علم الشماليين أن الارساليات تنفق ذلك المال في محاربة الشماليين وتنمية روح الخصومة والعداء بين المواطنين في الشمال وفي الجنوب • ولكن المؤتمر قاد الجماهير الوطنية ضد المجلس الاستشاري فلم يكد يقف على رجليه حتى خارت قواه وانهار واستمر المؤتمر ومن حوله جماهير الشعب في كفاحه وحث الجماهير على مواصلة النضال • وفي هذه الاثناء تبين للحكومة البريطانية أن حكومات يوغنده وكينيا ترفضان ضم جنوب السودان الى أية واحدة منهما لانه سيكون عبئا لا تقوى على حمله كما رأت الحكومة البريطانية أن جعل جنوب السودان مستعمرة قائمة بذاتها سيكلف الخزينة البريطانية نفقات باهظة ويكلف الادارة البريطانية جهدا شاقا وان ذلك لا يتناسب مع الفائدة المرجوة من استعماره وفي يونيو سنة ١٩٤٧ تقرر العدول عن السياسة القديمة وضرورة وضع سياسة جديدة ترمي الى ضم جنوب السودان الى شماله على أن تكون ادارة الجزء الجنوبي تحت المديرين والمفتشين البريطانيين لمدة لا تقل عن خمسين سنة ليؤهلوا الجنوب الى الحكم الذاتي في المستقبل وسنوضح ذلك بجلاء عند الحديث عن مشكلة الجنوب • وبناء على هذه السياسة الجديدة تلاشى المجلس الاستشاري وأصبح غير ذي موضوع •

عندما تقرر ضم الجنوب الى الشمال أو بعبارة أصح عندما تقرر
رجوع الى الوضع الطبيعي وهو أن السودان وحدة متماسكة شماله
وجنوبه وشرقه وغربه وعدل البريطانيون عن الوضع الشاذ الذي كانوا
يحاولون فرضه وهو فصل الجنوب عن الشمال دستوريا فكروا في انشاء
جمعية التشريعية وأن تكون شاملة لكل القطر واعتقدوا أن هذه الخطوة
ستقضي على ثورة الشعب وتهديء من قلقه على مستقبله وتقنعه أيضا أن
بريطانيا استجابت الى رغبة الشعب شماله وجنوبه في وحدة السودان وعدم
تجزئته لان هذه الجمعية ستشمل الجنوب وسيجلس أعضاؤها من المواطنين
القاطنين في الشمال مع أشقائهم القاطنين في الجنوب • ولكنهم حينما
أصدروا قوانين تلك الجمعية أعطوا الحاكم العام الحق في حماية الجنوبيين
مما أسموه تغول الشماليين عليهم بحيث يستطيع أن يعلن الانهيار
الدستوري متى شاء بحجة أن الجنوبيين قد أضيروا كما قرروا أن يكون
الجنوب تحت ادارة المديرين والمفتشين البريطانيين مع مساعدين من أبناء
الشمال ممن يختارونهم ولكن المؤتمر ومن حوله المثقفون والجماهير
الوطنية رفضوا الجمعية التشريعية فلم يدخلها الا حزب الامة والحزب
الجمهوري والاحزاب الجنوبية وبعض الشخصيات من الشماليين الذين
يدورون في فلك السياسة الاستعمارية أو يدورون حول منافعهم
الشخصية • واعتبرها الوطنيون مشروعا زائفا الغرض منه تضليل الشعب
وايهامه أنه أصبح صاحب الكلمة ومصدر التشريع في بلاده ورفضها
الوطنيون أيضا لان التعاون مع الحكومة الاستعمارية وتدعيم مشروعاتها
ومؤسساتها التشريعية والادارية من شأنه أن يطيل عهد الاستعمار ويطفيء
جذوة الوطنية ويترك الشعب فريسة للمضللين والانتهازيين • وسارت
المظاهرات الصاخبة تنادي بسقوط الجمعية التشريعية وصمد الوطنيون

الاحرار أمام الارهاب والسجون والحرمان واستمر النضال يوهن من أركان تلك الجمعية التي أخذت تتداعى فوق الجالسين في مقاعدها الى أن ابتكرت العبقرية البريطانية تمثيلية الحكم الذاتي والمطالبة به لتكون تلك التمثيلية ستارا يستطيع أعضاء الجمعية أن يفلتوا من مقاعدها من ورائه حتى ينجوا من سقوط هيكلها على رؤوسهم وتمت التمثيلية وخرج أبطالها يتبجحون بأنهم هم الذين أسقطوا الجمعية التشريعية حينما رفضت اعطاء السودان الحكم الذاتي •



تأسيس المؤتمر ونشأة الاحزاب السياسية

ولما فكر الخريجون (خريجو مدارس السودان) في تأسيس المؤتمر ليقوم بنشر التعليم الاهلي في أرجاء البلاد وبنشر الوعي في صفوف الشعب لايجاد أرضية صلبة يتحرك منها النضال السياسي ضد الاستعمار ولخلق قاعدة شعبية تحمل أعباء ذلك النضال استطاعوا أن يكونوا المؤتمر بعيدا عن التنافس القائم بين السيد علي الميرغني وأتباعه والسيد عبد الرحمن المهدي وأنصاره • غير أن السيد عبد الرحمن أبدى استعدادا أكبر لمساعدة صندوق مال التعليم وترحابا أشد بالمشروع مما جعل الخريجين ينحازون اليه ويلتفون حوله ولكن المؤتمر تحول في عامه الخامس من منظمة تعليمية الى ادارة سياسية وأذكر أننا في هذه الاثناء اجتمعنا ونحو عدد من كبار الخريجين بالسيد عبد الرحمن بمنزله بالعباسية بأم درمان ودار الحديث حول الخطة السياسية التي ينبغي أن يسلكها المؤتمر بعد أن أصبح أداة سياسية فانقسم المجتمعون الى فريقين :

فريق يرى أن نسلك خطة التعاون مع البريطانيين ومطالبتهم لاعداد السودانيين لحكم أنفسهم وتسليمهم شئون البلاد تدريجيا الى أن يتحقق الاستقلال مرتبطا بصداقة بريطانيا وان ذلك أجدى وأسهل وعزز هذا الرأي بحماس السيد عبد الرحمن المهدي بل في الواقع أن السيد عبد الرحمن هو صاحب هذا الرأي والداعي له • فقد حضرت قبل هذا الاجتماع بثلاثة أيام اجتماعا دعي اليه السيد عبد الرحمن بمشروعه بأم دوم وحضره السيد الشريف يوسف الهندي والسيد محمد علي شوقي وفضيلة

الشيخ أبو شامه عبد المحمود والسيد محمد صالح الشنقيطي ودار الحديث حول ضرورة التفاهم مع الانجليز والتعاون معهم ودفع المؤتمر في هـذا الطريق والانجليز مستعدون لتسليم السودانيين شؤون بلادهم تدريجيا واعدادهم لحكم أنفسهم بأنفسهم وقد أبديت في ذلك المجلس اعتراضي على هذا الرأي ولكن جميع الحاضرين كانوا يؤيدون هذه الخطة ممـا دعاني الى التزام الصمت لاني شعرت انني اذا سلكت طريق الجدل فلن أصل الى نتيجة فالجميع مؤمنون بهذه النظرية ومتفقون عليها سلفا فليس من اللباقة في شيء أن أجادل وأحاور واكتفيت فقط بابداء رأيي في رفق ثم التزمت الصمت وبعد ذلك بثلاثة أيام كما قلت انتقل ذلك الموضوع الـى اجتماع العباسية وكان نتيجة النقاش الذي دار في مجلس السيد عبد الرحمن بداره بالعباسية أن انقسم الحاضرون وكان عددهم يربو على العشرين وكلهم من الخريجين المهتمين بمستقبل البلاد ومن قادة المؤتمر الذين عملوا على تحويله من مؤسسة تعليمية الى اداة سياسية • فكان فريق يرى رأي السيد عبد الرحمن في التعاون مع الانجليز كما ذكرت • وفريق يرى أن التعاون مع المستعمرين لا يمكن أن يؤدي الى تحرير البلاد من الاستعمار فمهما حسنا الظن بالانجليز لا يمكن أن نقتنع أنهم سيمنحون السودان استقلاله برضاهم واختيارهم وينسحبون منه وحتى لو اضطروا الى منح السودان نوعا من الحكم فسيكون حكما زائفا واستقلالا اسميا وسيظل الحكم الحقيقي في يد البريطانيين فلا بد لنا من تحمل أعباء النضال ضد البريطانيين والعمل على تحرير بلادنا من قبضتهم وطرد الاستعمار من أرضنا مهما كلفنا ذلك من ثمن •

وانتهى النقاش وانفض الاجتماع وخرجنامن ذلك الاجتماع وتألف حزب الاشقاء ثم تألف بعده بفترة ليست طويلة حزب الاتحاديين وحزب الاحرار وبدأ كل من الفريقين يحشد أتباعه في ساحة المؤتمر ليستولي على قيادته فرأينا أننا لا نستطيع أن ننتزع المؤتمر من أنصار السيد عبد الرحمن

ـن الخريجين الا اذا اتجهنا نحـو السيد علي الميرغني وأقنعناه بالخط
سياسي ليوجه أتباعه من الخريجين لتأييدنا واتصلنا فعلا بالسيد علـي
يرغني فرحب بنا كل الترحيب وأبدى حماسا بالغا ووطنية صادقة وشجعنا
ى النضال مؤكدا أن الخريجين من أبناء الختمية وجماهير الختمية في كل
ـسودان سيلتفون حولنا في نضالنا ولم يمض وقت طويل بعد اتفاقنا مع
ـسيد علي الميرغني واعلان انفضاضنا من حول السيد عبد الرحمن حتى
حل ميعاد انتخابات المؤتمر ففاضت دار الخريجين بأمدرمان بألوف الاعضاء
ذين حشدهم الطرفان غير أن مؤيدي الاشقاء كانوا كالطوفان تتضاءل
امه الترع والخيران ومنذ تلك الانتخابات أصبح المؤتمر في يد الاشقاء
وأصبح نضاله ضد الاستعمار بارزا لكل ذي عينين وأخذ يصر على أنه هو
مثل الحقيقي للشعب السوداني واستمر البريطانيون ينكرون عليه هذا
حق ويرفضون الاعتراف به كممثل للشعب السوداني بل ينكرون عليه
تمثيله للمثقفين ولما اشتد الضغط أنشأ البريطانيون حزب الامة ليكون كما
قال المستر نيوبولد السكرتير الاداري في ذلك الوقت ــ ترياقا ضد الحركة
وطنية ــ وبدأ النضال السياسي يمتد مـن العاصمة حتى شمل المدن
كبيرة وزحف على الاقاليم وقـد بذل السيد علي الميرغني جهدا كبيرا
توحيد الاحزاب الاتحادية فلم يتيسر ذلك وأخيرا تم الاتفاق على التزام
هذه الاحزاب بـأن لا يحارب بعضها البعض وأن يحافظوا على العلاقة
حسنة بينهم فتم ذلك والتزم به الجميع •

ولعل الخطأ الكبير الذي ارتكبه البريطانيون ولم يتنبه له قادة حزب
الامة أن نشأ ذلـك الحزب في أحضان بيت المهدي وبالطبع أنهم قصدوا
بذلك صبغة الحزب بالصبغة الطائفية (الانصارية) لينضوي تحت لوائه
كل الانصار ومن يدينون بعقيدة المهدية في كل أرجاء السودان • ولـم
ينتبهوا الى أن هـذه الصبغة الانصارية لا بـد أن تجعل الآخرين الذين
اكتووا بنار المهدية ورأوا أو سمعوا بما قامت به من ظلم وعسف وسفك

دماء وهتك أعراض مما جعلهم يكرهون حزب الامة ويرون فيه خطر استعادة عهد المهدية مرة أخرى هذه الصبغة الانصارية لا بد أن تجعل هؤلاء يقفون مع الحزب المناهض لحزب الامة كما جعلت المثقفين يقفون بعيدا عن حزب الامة لالتصاقه بالرجعية والاستعمار •

ثم تطورت الاحوال ودخل طرفا الحكم الثنائي في المفاوضات فذهب زعماء الاحزاب الاتحادية لمصر ليكونوا على مقربة من مسرح المفاوضات وذهب حزب الامة أيضا لمصر لنفس الغرض وهناك بذل المصريون جهدا مشكورا في توحيد صف الاحزاب الاتحادية ونجح مسعاهم لتفهم قادة تلك الاحزاب أضرار هذا الانقسام الشكلي في مجموعة متحدة الهدف • وتم اندماج الاحزاب الاتحادية في حزب واحد هو « الحزب الوطني الاتحادي » الاصيل وفي أثناء المفاوضات الجارية بين البريطانيين والمصريين تغلبت الروح الوطنية فاتفق الحزب الوطني الاتحادي وحزب الامة وغيرهما من الاحزاب الصغيرة ووحدوا كلمتهم في العاصمة وسافر الوفد المتحد الممثل لكل وجهات النظر السودانية للقاهرة وبوجوده واستشاراته تم التوقيع على الاتفاقية البريطانية المصرية سنة ١٩٥٢ تلك الاتفاقية التي أعطت للسودانيين حق تقرير المصير • وجرت الانتخابات الاولى سنة ١٩٥٣ وأسفرت عن فوز الحزب الوطني الاتحادي بالاغلبية وكون الحكومة الوطنية الاولى التي مارست الحكم الذاتي في سنتي ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ وقررت في مطلع سنة ١٩٥٦ اعلان استقلال السودان من داخل ذلك البرلمان • وأبرز ما قامت به الحكومة الوطنية الاولى خلال عامي ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ابان الحكم الذاتي اخماد الثورة التي عبأ البريطانيون قنبلتها الزمنية فانفجرت بعد خروجهم من السودان بأقل من عام ومن أبرز ما قامت به تلك الحكومة أيضا سودنة الجيش والبوليس والوظائف ذات النفوذ في سلك الخدمة المدنية •

وقد تنبه البريطانيون بعد فوات الاوان للخطأ الذي ارتكبوه في

انشاء حزب الامة في أحضان عائلة المهدي وعلى أكتاف أنصار المهدية كما أنهم بلا شك كانوا أيضا على وجل أن يتجه السيد عبد الرحمن المهدي في أية لحظة نحو الطريق الوطني الصحيح بدافع من وطنيته وطموحه فلا يجدون سندا يتكئون عليه فأنشأوا الحزب الجمهوري وأخطأوا مرة أخرى فأقاموا ذلك الحزب على أكتاف زعماء العشائر ورؤساء القبائل فمات ذلك الحزب وهو لا يزال يحبو ولما يقف على رجليه ــ كما قامت في الجنوب أحزاب جبهة الجنوب وسانو والاحرار ــ وقصروا عضويتها على الجنوبيين لان النعرة العنصرية التي غرسها الاستعمار في نفوسهم وتعهدها المبشرون المسيحيون بالعناية والرعاية ما زالت تتحكم في تصرفاتهم فما كادت ارهاصات الانتخابات الاولى تبدو في الافق حتى أنشأوا تلك الاحزاب لخوض المعركة الانتخابية • وهناك جماعة تحركها أحقاد دفينة ضد الجمهورية العربية المتحدة لانها عاقبت جماعة الاخوان المسلمين الذين حاولوا القيام بانقلاب لتدمير الثورة المصرية التقدمية واستعملوا في محاولتهم أنواعا من الاسلحة التي جمعوها من معارك شمال افريقيا ومن معارك حرب فلسطين فاكتشف رجال الثورة في مصر تلك المؤامرة وسجنوا وقتلوا الذين ثبتت عليهم هذه الجريمة وهرب بعضهم ممن لم تتمكن السلطات المصرية من القبض عليهم للسودان وغيره من البلاد العربية وأسسوا في السودان جماعة الاخوان المسلمين للاخذ بثأر من قتلوا من زعماء الاخوان بمصر ولمواصلة مؤامراتهم للاطاحة بالثورة التقدمية في مصر عن طريق السودان وجندوا جماعة من الشباب استغلوا شعار الاسلام فأوهموا السذج أنهم يقومون بحركة دينية اصلاحية • ودل واقعهم على أنهم حزب فاشي يستتر وراء ثوب الدعوة الاسلامية للقيام بعمليات القتل والضرب والارهاب فانكشف أمرهم وانفض الشعب من حولهم الا القليل من البسطاء الذين تغرهم الالفاظ ولا يغوصون للمعاني المختفية وراء تلك الالفاظ ــ ويبقى بعد ذلك الحزب الشيوعي وينبغي أن نتكلم عنه منفردا

لان الكلام عنـه له جوانب عديدة فـلا بد من القاء الاضواء على تلك الجوانب لتبدو صورته واضحة للعيان • ولان لموقفه دخل كبير في أوضاع الثورة الاشتراكية الحالية لذلك تعرضت الى الكلام عنه في شيء مـن التفصيل أثناء حديثي حول الديمقراطية الشعبية وخلاصة ما أريد أن أشير اليه هنا باختصار أن الحزب الشيوعي منذ يوم تأسيسه سنة ١٩٤٦ الى يوم استقلال السودان كان حزبا مناضلا كافح الاستعمار وحارب الحكم الثنائي ولكن الحزب الشيوعي من يوم اعلان الاستقلال الى يومنا هذا أصبح حزبا مضرا بمصالح البلاد لانه يهتم باشاعة الفوضى ودفع البلاد الى حالة عدم الاستقرار لان ولاءه للشيوعية فوق ولائه للسودان ويبدو أن هذه الملاحظات ملازمة للحزب الشيوعي في عديد من البلاد المستقلة فقد قال الزعيم الهندي الكبير جواهر لال نهرو في خطبة ألقاها في جموع الشعب بنيو دلهي : « ان الحزب الشيوعي أشد الاحزاب الهندية رجعية » • وقال في نفس الخطاب : « ان طيش هـؤلاء الشيوعيين وتهورهـم ليدهشني كثـيرا » •

وقد قال زعيم حزب العمال المستر اتلي الذي يمثل الاتجاه الاشتراكي في بريطانيا في خطاب ألقاه في جموع العمال في مايو سنة ١٩٤٨ :

« ان الشيوعيين البريطانيين أكثـر اهتماما بمصالح روسيا منهـم بمصالح انجلترا » •

عهد الاستقلال

(قبل ثورة اكتوبر)

وفي فجر عهد الاستقلال وقبل تنازل عبدالله خليل عن الحكم وتسليمه لكبار ضباط الجيش (عبود ورفاقه) قـامت الحكومة الوطنية الاولى بانجاز خطوتين لهمـا أهمية كبيرة : الخطوة الاولى مواجهـة التمرد في الجنوب مواجهة حازمة وحكيمة حالت دون تحوله الى ثورة جامحة • فقد عبـأ الانجليز في الايام الاخيرة مستعينين برجال الارساليات قنبلة زمنية انفجرت بعد خروجهم بأشهر معدودة في أغسطس سنة ١٩٥٥ • فان جنود الاورطة الاستوائية وجنود البوليس والسجانة في المديريات الجنوبيـة ــ وكلهم من أبناء الجنوب تمردوا واستولوا على السلاح وقتلوا ضباطهم ــ وكلهم من أبناء الشمال ــ وانطلقوا يقتلون كل من يقابلهم من الرجال والنساء والاطفال من الشماليين • وكادوا أن يلهبوا نار الثورة لو تمكنوا من الاستيـلاء على مطاري جوبا وواو واستولوا على البـاخرة النيليـة الراسية في ذلك الوقت في شاطىء جوبا • ولكن الحكومة الوطنية مـع حداثة عهدها وقلة تجاربها استطاعت أن تخمد الثورة وتحول دون وصول المتمردين المسلحين الى مطار جوبا ومرسى بواخره المعدية في جوبا • كما استطاعت بعد ذلك حينما زحف المتمردون الى واو ان تحول دون وصولهم الى مطار واو • وبذلك أمكن وصول النجدات العسكرية بالطائرات لجوبا ولواو في الوقت المناسب • فأخمدت الثورة وهي في المهد • ويرجع الفضل

الى حـد كبير في السيطرة على الموقف في جوبا الى يقظة وحزم مديـر الاستوائية في ذلك الوقت وهو المواطن عبد العزيز عمر الامين • كمـا يرجع الفضل أيضا في السيطرة على الموقف في واو للمواطن سانتينو دينج الوزير في تلك الحكومة والضباط نيانج الدنكاوي الذي كان ضمن ضباط حامية واو • وبعد أن فشلت الثورة انتشر المتمردون بأسلحتهم في الغابات والقرى والاحراش في جميع أرجاء المديرية الاستوائية وفي جزء كبير من مديرية بحر الغزال وبعض المناطق في مديرية أعالي النيل يقومون بما يشبه حرب العصابات • ويلجأون من وقت لآخر فرارا من الجيش الذي أخـذ يتعقبهم للاقطار المجاورة التـي كانت تخضع في ذلك الوقت للاستعمار فيجدون منها السند والرعاية • ولم تزل هذه العصابات تمارس نشاطها خارجة على القانون والنظام الى يومنا هذا • ولولا يقظة وحكمة الحكومة سنة ١٩٥٥ لانطلقت نار الثورة في الجنوب ولأتت على الاخضر واليابس •

الخطوة الثانية : سودنة جميع وظائف الجيش والبوليس والوظائف ذات النفوذ في الخدمة المدنية بابعاد البريطانيين وصنائعهم من الاجانب في تلك المراكز وابدالهم بسودانيين في أقل من سنة مما جعل البلاد صالحة لتقرير مصيرها دون ضغط وارهاب غير أن تلك الحكومة ــ وهي تقوم بهذا العمل الجليل ــ ارتكبت خطأ كبيرا فأسندت بعض الوظائف الرئيسية التي أخلاها كبار الموظفين البريطانيين الى أولئك الذين اصطفاهم الاستعمار لتنفيذ سياسته فظلوا بعد السودنة مرتبطين بتلك السياسة الاستعمارية خاضعين لنفوذ سادتهم البريطانيين موالين لهم فكانوا ولا يزالوا حربا على كل سياسة تقدمية وعقبة في طريق كل اصلاح يرمي الى ازالة مـا تركه الاستعمار من آثار •

وأنجزت الحكومة الائتلافية الثانيـة المكونة مـن حزبي الشعب الديمقراطي والامة ثلاث خطوات لها أيضا أهمية كبيرة :

الخطوة الاولى : القضاء على مشروع أيزنهاور الاستعماري بتنقيه

عسكري والاقتصادي بعد أن تمت اتصالات بين أمريكا وكبار رجالات حزب الامة المشترك في الحكومة مما جعل الولايات المتحدة مطمئنة كل لاطمئنان على قبول الحكومة له رسميا • وجاء المستر نكسون الرئيس حالي ومعه المستر رتشاردسن ومجموعة من رؤساء الاقلام المختصين في ثروع المعونة وهم يعلمون مقدما أن الجلسة التي سيعقدونها مع مجلس وزراء انما هي جلسة شكلية ما دام رئيس الحكومة وزعماء حزب الامة ـ وافقوا مقدما على المشروع • ولكن وزراء حزب الشعب الديمقراطي وعددهم يشكل أقلية بالنسبة لوزراء حزب الامة في تلك الحكومة لائتلافية وقفوا ضد مشروع ايزنهاور بشقيه العسكري والاقتصادي وقفة سلبية وجعلوا رئيس الحكومة أمام أحد امرين اما رفض المشروع أو قبول ستقالتهم الجماعية فلم يجد رئيس الحكومة مخرجا فاضطر الى عرض لامر على البرلمان • وهناك قامت عاصفة فرفض المشروع بأغلبية كبيرة وطوى الامريكيون أوراقهم وعادوا بخفي حنين • وكان الامريكيون يعتقدون أن عرض المشروع على حكومة السودان أولا سيكون حافزا لحكومات العربية الاخرى فتقبله ولكن حصل العكس فعندما رفضته حكومة السودان سارت بقية الحكومات العربية في نفس الطريق ففشل ذلك المشروع الاستعماري الكبير •

الخطوة الثانية : رفض المعونة الامريكية ـ فقد رفضتها الحكومة بعد نقاش عنيف لحق الولايات المتحدة في أثنائه تحقير داخل البرلمان • فقد حصل نفس الموقف الذي قضى على مشروع ايزنهاور مما اضطر رئيس الحكومة فعرض الامر على البرلمان وهو كاره • وجرى النقاش الحاد داخل البرلمان فرفضتها الاغلبية وكان ذلك قبل استلام عبود أزمة الحكم بأيام معدودة • بل كان ذلك من ضمن الاسباب التي أدت الى تسليم حزب الامة دفة الحكم لعبود ـ ورفضتها الحكومة لانها تضع مقاليد التجارة يرادا وتصديرا في يد الولايات المتحدة • كما تعطي الامريكان الذين

يجندون كمنفذين للمعونة ومشرفين علـى مشاريعها حصانة دبلوماسية تسكنهم من التدخل والتجسس والتخريب ـ ولما أبدل الاستعمار الانجليزي الحكومة المؤتلفة بحكومة الجيش سارعت حكومة عبود فوافقت علـى المعونة الامريكية دون أي تعديل .

الخطوة الثالثة : استلام التعليم جميعه من الارساليات وضمه الـى وزارة المعارف وحصل ذلك على عدة مراحل فضمت أولا جميع مدرسي مدارس الارساليات الى جانب الحكومة والتزمت بدفع مرتباتهم وبذلك تم لها الاشراف الكامل على سير الدراسة في الارساليات ـ ثم بعد ذلك ألزمت جميع مدارس الارساليات بتدريس اللغة العربية كعلم أساسي في مدارسها وعينت مدرس اللغة العربية من الشماليين ـ ثم بعد ذلك ألزمت جميع مدارس الارساليات بأن تكون اللغة العربية هي لغة التدريس في كل العلوم مـع الحفاظ على مستوى اللغـة الانجليزية كعلم أساسي وقامت الحكومة بكل ما تطلبته هذه الخطوات مـن أموال وجهود ثـم أجرت الحكومة تسوية مع الارساليات ضمت بمقتضاها مباني مدارسها الخارجة عن نطاق الكنائس وأخلت للارساليات مباني المدارس الداخلة في نطاق الكنائس وأعدت المباني اللازمة لطلبتها ـ وبذلك انفصل التعليم عـن الكنيسة انفصالا كاملا وسار على نفس المنهج والمستوى الذي تسير عليه المعارف في شمال السودان .

الدكتاتورية العسكرية

ولا بد من وقفة عند الانقلاب العسكري لكشف المؤامرة الاستعمارية الكبيرة التي انتقل بموجبها الحكم من حزب الامة الى عبود ورفاقه فقد آن الاوان ليعرف المواطنون حقيقة تلك المؤامرة .

كان الخلاف بين الحزب الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي قد بلغ ذروته وصادف أن زرت بالقاهرة آثار المرحوم الدكتور أمين السيد وزير الصحة في أثناء وزارة عبدالله الخليل الائتلافية في مهمة رسمية انتدبنا من أجلها السيد عبدالله خليل نفسه وصادف أن زار المرحوم السيد اسماعيل الازهري ووفد من قادة حزبه القاهرة أثناء جولتهم في البلاد العربية ولم نجتمع في القاهرة الا في حفل مشترك دعانا اليه السيد سفير السودان بالقاهرة في منزله وحفل آخر دعانا اليه المرحوم محمد صالح حرب وحضره معنا السفير السوداني أيضا ولم يدر في الحفلين الا الحديث العادي المشترك المقترح . ولكن السفير الامريكي بالقاهرة كتب الى زميله بالخرطوم يخبره أن قادة حزب الشعب الديمقراطي وقادة الحزب الوطني الاتحادي اجتمعوا أثناء وجودهم بالقاهرة واتفقوا على التضامن داخل البرلمان لاسقاط وزارة عبدالله خليل وتأليف وزارة ائتلافية منهما تقرر الوحدة بين السودان والجمهورية العربية المتحدة وان الرئيس جمال عبد الناصر وراء هذا الاجتماع . فذهب السفير الامريكي بالخرطوم للسيد عبدالله خليل وأطلعه على هذه الرسالة فدهش عبدالله خليل لانه تلقى في نفس الوقت رسالة من سفير السودان بالقاهرة تحمل اليه نفس

الخبر مما جعل عبدالله خليل يسارع فيجتمع بالسيد عبد الرحمن المهدي وكبار رجالات حزب الامة لاطلاعهم على النبأ الخطير ولم يمض على ذلك يــوم أو يومين حتى اجتمع في جنح الظلام كبار آل المهدي وقادة حزب الامة والفريق حميد عبود وثلاثة من كبار ضباط الجيش واتفقوا على أن يسلم عبدالله خليل زمام السلطة لعبود ورفاقه وأن يتـم ذلك في شكل انقلاب عسكري على أن يتولى الجيش الحكم فترة مــن الزمن يحل فيها البرلمان ويحل جميع الاحزاب وبعد أن تستقر الامور يرجع الجيش الى ثكناته بعد أن يسلم الحكم لقادة حزب الامة • وقــد نفذت المؤامرة في فجر ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٨ فتم الانقلاب وألغي البرلمان وحلت الاحزاب وبدأ الحكم العسكري عهــده بقبول المعونة الامريكية بجميع شروطها واستمر حزب الامة والحزب الشيوعي وجبهة الميثاق يؤيدون الحكــم العسكري تأييدا كاملا واشتركوا جميعهم في المجلس المركزي كما اشترك بعض فريق من الانتهازيين من حزبي الوطني الاتحادي والشعب الديمقراطي في تأييد الحكم العسكري والاشتراك في المجلس المركزي ولكن أغلبية قادة وجماهير هذين الحزبين وقفوا موقفا سلبيا وظل الحكم العسكري يسير في الخط الاستعماري الرجعي في أغلب الاحيان ويتأرجح في سيره في بعض الاحيان ثم اتجه فجأة الى الطريق المتحرر فاتصل بالدول الاشتراكية فذهب عبود الى يوغوسلافيا وزار تيتو السودان وذهب عبود الى الصين الشعبية والى روسيا وأخيرا الى مصر وزار جمال عبد الناصر السودان وجرت تصريحات رسمية تؤكد اتجاه الحكم العسكري نحــو الطريق المتحرر وعند ذلك تغــير الموقف فهب حزب الامــة والاخوان المسلمون والحزب الوطني الاتحادي والحزب الشيوعي يعارضون ويطالبون الجيش بالرجوع الى الثكنات واعادة الحياة الديمقراطية وقد يفهم المتتبع للسياسة في السودان أن يغضب حزب الامة لان كبار الضباط الذين سلمهم الحكم قد خانوه فانحرفوا عن طريقه فلا بد أن يعارضهم ويطالبهم بالتخلي عــن

الحكم والرجوع الى الثكنات وقد يفهم المتتبع للسياسة أن يغير حزب الشعب موقفه السلبي ليدفع الحكم العسكري لمواصلة السير في الطريق المتحرر الذي اتجه اليه وان كان الحكم العسكري قد نكص على عقبيه بعد أشهر قليلة فرجع حزب الشعب الى موقفه السلبي المعادي وقد يفهم المتتبع للسياسة في السودان أن يستمر الحزب الوطني الاتحادي في معارضته التي بدأها قبل تسليم الجيش للحكم باعتبار أن فترة الحكم العسكري انما هي امتداد لفترة الحكم الائتلافي السابق الذي كان يعارضه ولكن ذلك المتتبع للسياسة في السودان سيظل في حيرة من أمر الحزب الشيوعي السوداني الذي أيد وساند الحكم العسكري في الوقت الذي سلك فيه عبود الطريق الرجعي الاستعماري فلما غضب حزب الامة لانحراف عبود عن طريقه الرجعي واتجاهه نحو الطريق التحرري انضم الحزب الشيوعي السوداني الى حزب الامة يعارض معه ذلك الاتجاه •

ولما تفجرت ثورة أكتوبر الشعبية التي كانت عبارة عن انتفاضة شعبية فريدة في نوعها لم ينظمها حزب ولا قادتها أية منظمة بل كان الشعب طيلة الست سنوات التي حكمها كبار الضباط الذين تسلموا أزمة الحكم في جنح الظلام اثر مؤامرة استعمارية اشترك فيها رئيس الوزراء عبدالله خليل وقيادة حزب الامة والضباط الثلاثة الذين كانوا في قمة الجيش بعد مشاورات واتصالات مع السفير الامريكي والسفير الانجليزي ــ كان الشعب طيلة السنوات الست يجيش صدره ولا ينطلق لسانه يبدو هادئا ساكنا ولكن عوامل الثورة تعمل في صدره وتغلي في دمه فكان كالبركان يرى من الظاهر جبلا هادئا ساكنا تتناوشه الرياح وترتع على سطحه وسفحه الدواب والحشرات ولكن جوفه نار ملتهبة ومعادن منصهرة وأبخرة متصاعدة ومياه يغلي مرجلها وكل تلك الثورة العارمة يخفيها ظاهر الجبل الصامت الهادي الجامد حتى أزاح البوليس ــ حينما اقتحم حرم جامعة الخرطوم ــ الحجر الصغير الذي كان جاثما على فوهة البركان • فبتصويبه

الرصاص على الطلبة وباصابته الطالب القرش اصابة قاتلة تفجر البركان
وتدفقت حممه • وهكذا اندفع الشعب وأحاط بالجيش غير مبال بمدافعه
ودباباته فلم يسع الجيش الا التسليم بعد أن جرت محاولات تغري الجيش
بحصد الجموع المتدفقة الا أن نفرا من الضباط الاحرار حالوا دون تنفيذ هذه
الخطة الآثمة • وكانت نتيجة هـذه الانتفاضة الشعبية انهيار الحكـم
العسكري والعودة الى الديمقراطية فتألفت حكومة شعبية • وكان تأليفها
علـى عجـل ودون تمحيص لان الثورة كانت تفقـد القيادة السياسية
الرشيدة • فجاءت وزارة الثورة خليطا من وزراء ثوريين ووزراء موظفين
عاديين ووضعت رئاسة الحكومة في يد سر الختم الخليفة الذي لم يكن له
في المجال السياسي أو المجال الثوري ناقة ولا جمل بل كان موظفا مدنيا
بعيدا كل البعد عن المجال السياسي • وسارت هذه الحكومة بضعة أشهر
ثـم استطاع الاستعمار وأعوانه أن يقنعوا أو يضغطوا علـى سر الختم
الخليفة ، فبعد أن كانت الوزارة تباشر أعمالها الى ساعة متأخرة من الليل
اذا بها وقد طلعت شمس اليوم التالي وهي خارج الحكم دون أية مقدمات
أو أي انذار وشكل سرالختم الخليفة وزارته الثانية مـن أحزاب الامة
والوطني الاتحادي وجبهة الميثاق فاستكان الوزراء السابقين حتى الثوريين
منهم الى الاستسلام وذهبوا الى منازلهم كأن الامر لا يعنيهم ومع ذلك
ما زال الكثيرون يعتبرونهم من قادة الثورة في حـين أن الثورة سلمتهم
القيادة فتخلوا عنها دون أية مقاومة بل دون أي استنكار • وكانت حكومة
سر الختم الثانية حكومة رجعية بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من معاني
وبدأت تمهـد لاجراء الانتخابات ولكنها بدأت عملها بتكوين لجنة مـن
المنظمات السياسية الستة التي تمثل الشعب وهي حزب الامة والحزب
الوطني الاتحادي وحزب جبهة الميثاق ــ وهي الاحزاب التي كانت تتألف
منهـا الحكومة ــ وحزب الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي وجبهة
الهيئات وهي الاحزاب التي كانت تقود المعارضة وسميت هـذه اللجنة

الجبهة الوطنية » واستمرت الحكومة تدعو هذه اللجنة من وقت لآخر
تستشيرها في المسائل الهامة • وفي هذه الفترة بذل حزب الشعب مجهودا
كبيرا لاقناع الحزب الوطني الاتحادي بفض ائتلافه مع حزب الامة توطئة
لدمج الحزبين وعودتهما حزبا واحدا كما كان في الماضي • ولكن كل الجهود
ذهبت أدراج الرياح • واقتنعنا أخيرا أننا ندور في حلقة مفرغة فقررنا صرف
النظر عن الالتقاء مع الوطني الاتحادي • واستمر حزب الشعب الديمقراطي
والحزب الشيوعي وجبهة الهيئات داخل الجبهة الوطنية في تضامن كامل
وتفاهم مثمر ومعارضة قوية غير أن الحكومة الرجعية عمدت الى حل جبهة
الهيئات فتلاشت وانحلت وبقيت كل نقابة واتحاد يعمل بعيدا عن الآخر
واستطاعت الرجعية أن تهدم جبهة الهيئات بسهولة لان هيكلها يتكون من
عدة نقابات واتحادات وكانت تلك النقابات والاتحادات قد تكونت على
أسس مطلبية غير سياسية فكانت خليطا من مدارس سياسية مختلفة •
فبعض أفراد النقابة الواحدة حزب أمة وبعضهم وطني اتحادي وبعضهم
اخوان مسلمون وبعضهم شعب ديمقراطي وبعضهم شيوعي وبعضهم ليس
له لون سياسي واستطاع الشيوعيون على قلتهم بطريقة أو أخرى أن
يتسلقوا تلك النقابات والاتحادات ويضعوا عددا من قادتهم في لجانها
القيادية مما استنفز الحكومة الرجعية مستغلة نفور السواد الاعظم من
أعضاء تلك النقابات والاتحادات من الشيوعية ولوجود عدد كبير من
أعضاء النقابات والاتحادات من مناصري أحزاب الحكومة الرجعية فضغط
كل حزب من الاحزاب الرجعية على أتباعه في النقابة • ومارست الحكومة
نوعا من التهديد والانذار على أولئك الذين لا يتبعون أحزابها من المستقلين
و الذين لا لون سياسي لهم • وبذلك اهتز بناء النقابات وتزعزعت أركانها
وانهارت — لا أشير بذلك الى نقابة معينة بل جرى ذلك في كل نقابة وفي
كل اتحاد وبقي حزب الشعب والحزب الشيوعي وحدهما في الجبهة
الوطنية يناضلان وتشاور الحزبان في ايجاد وسيلة اقوى لانهما ان استمرا

في المعارضة على هذا المنوال فأن الاحزاب الرجعية وهي ثلاثة ستكون لها الاغلبية في الجبهة الوطنية باستمرار • ونشأت فكرة التجمع الاشتراكي الديمقراطي وخشينا ان يقوم بعرض هذه الفكرة احد الحزبين فيفشل لان الحزب الوطني الاتحادي ستأخذه الغرة بالاثم فيرفض الاقتراح وكنا حريصين على قبوله ورأينا من الحكمة أن يبتعد الحزبان وان يقوم بتقديم الاقتراح اتحاد نقابات العمال الذي كان يمثل العمود الفقري في جبهة الهيئات • وان يعرض اتحاد النقابات الاقتراح على حزب الشعب وعلى الحزب الشيوعي وعلى الحزب الوطني الاتحادي وعلى كل الوطنيين المنضويين تحت لواء الاحزاب او الذين يعملون خارج نطاق الاحزاب • وفعلا باشر اتحاد نقابات عمال السودان وضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ وطاف على كل رجالات الاحزاب وكل المواطنين البارزين ويتضافر الجميع برز التجمع الاشتراكي الديمقراطي ووضع ميثاقه :ورفض الوطني الاتحادي الانضمام للتجمع الاشتراكي مؤثرا التجمع الرجعي •

وقاد التجمع الاشتراكي الديمقراطي المعارضة قيادة فعالة وتزعزعت اركان الحكومة الرجعية وتكشفت سؤاتها امام الشعب • واصبحت في جانب والشعب في جانب آخر فاستقالت حكومة سر الختم الثانية اذ وجدت نفسها غير مستطيعة السير وسط هذه المعارضة الشعبية الصاخبة وتكونت الحكومة الجديدة التي حاول سر الختم الخليفة ان يجعلها قومية تضم كل الاحزاب فترك فيها ثلاثة مقاعد لحزب الشعب ومقعد للحزب الشيوعي ولكن حزب الشعب رفض الاشتراك في الوزارة لانها ابعدت العمال والمزارعين من الحكومة • وسلبتهما حقهما في الوزارة ذلك الحق الذي سلمهما اياه الشعب في ثورته العظيمة • فاذا لم يعط المزارعون مقعدا ويعط العمال مقعدا كما كان الحال في وزارة الثورة ــ وزارة سر الختم الاولى ــ فان حزب الشعب يرفض الاشتراك في هذه الحكومة • وثار بيننا في نطاق التجمع الاشتراكي الديمقراطي جدل كبير فقد كان من

ـ ي الحزب الشيوعي أن نشترك في الوزارة • واضطر الحزب الشيوعي
خيرا الى رفض الدخول في الوزارة حينما وجد أن لا مناص من ذلك ما
دام حزب الشعب الديمقراطي مصرا على الرفض •

ولما شعر حزب الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي من خلال
مناقشات والعمل في نطاق التجمع الاشتراكي الديمقراطي انهما لا
يستطيعان التعاون تجمد نشاط التجمع الاشتراكي الديمقراطي وتوقف
عن العمل دون ان يعلنا افتراقا أو يظهرا خلافا • وبذلك أصبح التجمع
الاشتراكي الديمقراطي أثرا بعد عين •

ولما تأزم الموقف في الشرق الاوسط استعد الرئيس عبد الناصر
لنجدة سوريا تنفيذا لمعاهدة الدفاع المشتركة بين سوريا والجمهورية
العربية المتحدة وذلك حينما تحركت اسرائيل نحو سوريا تحاول احتلالها
فاحتل عبد الناصر مضيق تيران واخلاء قوات المراقبة الدولية من مواقعهم
في الارض المصرية وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع بادر حزب الشعب
الديمقراطي بدخول الحكومة ايمانا منه بأن وجوده داخل الحكومة هو
الضمان لدفع السودان للموقف الذي تفرضه عليه ظروف الحرب ورحبت
حكومة سر الختم بدخول حزب الشعب الوزارة لانها كانت تترنح تحت
معارضته القوية وتخشى الانهيار في كل لحظة • وهكذا حصل ما توقعه
حزب الشعب فوقفت الحكومة منذ تلك الساعة والى يومنا هذا موقفا
مشرفا فاحتل جيشها الباسل مواقعه في القتال وتدفقت الامدادات المادية
والعينية نحو الاردن فلما هدأت الاحوال استمر موقف السودان على ما
هو عليه لتوقع اندلاع حرب في أية ساعة • ثم استطاع حزب الشعب
وهو يشترك في الحكومة وليس له ولا نائب واحد في برلمانها استطاع أن
يحقق وعده الذي أعلنه مرات في التجمعات الشعبية وهو أن ذلك البرلمان
لا يمثل الشعب وانه سيعمل على ازالته وبالفعل تقرر حل البرلمان فذهب
الى غير رجعة وجرت بعد ذلك انتخابات عامة تمخضت عن البرلمان الاخير
الذي اطاحت به ثورة مايو الاشتراكية •

وفي الثلاث سنوات الاخيرة من عهد الاستقلال (١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩) مهدت الحكومة تمهيدا كبيرا للوضع الاشتراكي فاتصلت بكل الدول الاشتراكية وقررت فتح سفارة في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا كما قررت فتح سفارة في بكين عاصمة الصين الشعبية واعتمدت للسفارتين الميزانية اللازمة كما كان مشروع الاعتراف بألمانيا الديمقراطية قيد البحث أمام مجلس الوزراء وعقدت اتفاقات دفع مع أغلب البلاد الاشتراكية وتحول الايراد والتصدير الى حد كبير من الدول الغربية الى الدول الاشتراكية وكسرت احتكار الاسلحة فعقدت اتفاقات مع الاتحاد السوفيتي لامداد الجيش بشتى أنواع الاسلحة الحديثة . وعقدت اتفاقات مع يوغوسلافيا لامداد السودان بالبواخر البحرية تجارية وعسكرية وحولت عدة مشاريع خصوصية الى جمعيات تعاونية .. وطبق نظام الاصلاح الزراعي فاستولت الحكومة بمقتضاه على عدد من المشاريع الخصوصية بالنيلين الازرق والابيض . الى غير ذلك من الخطوات الرسمية الى جانب الخطوات الشعبية توطئة للنظام الاشتراكي الذي جاءت ثورة مايو لاعلانه وتطبيقه ولا شك أن تلك التمهيدات عبدت للثورة الطريق وهيأت لها الجو .

هذه هي الخطوات الرئيسية ذات الاهمية التي تستحق الذكر والتسجيل أما غيرها مما حدث أثناء فترة الحكم الثنائي أو بعد استقلال السودان والى أن قامت ثورة مايو الاشتراكية فأعمال وخدمات واصلاحات شبيهة بالروتين الذي يمكن أن تقوم به كل حكومة ومناورات وصراعات واتهامات هي من طبيعة الديمقراطية الليبرالية في بلد متخلف كالسودان .

تركيب الشعب السودان وأوضاعه

ينبغي علينا قبل أن نختار نوع الديمقراطية التي تلائم مجتمعنا ونوع الاشتراكية التي تتفق مع واقعنا أن نلقي نظرة شاملة وعميقة على بلادنا لنقيم تركيب شعبنا مـــن حيث طبقاته ولغاته وعاداته وتقاليده وتلاحمه ووحدته • ومن حيث طبيعة أرضه ومناخه واقتصادياته فان كل ذلك له دخـــل كبير في اختيار المنهج الديمقراطي والنظام الاشتراكي الذي يفتح الطريق أمام شعبنا لمواصلة سيره قدما نحو أهدافه العليا •

السودان بلاد فسيحة الارجاء وقطر مترامي الاطراف تختلف بقاعه اختلافا كبيرا مـــن حيث المناخ ونـــوع التربة وأنواع النباتات فالشمال صحراء لا نبات فيها ولا ماء ولولا أن النيل يشق تلك المنطقة ويضفي على الشاطئين كـــل أسباب الحياة لمـــا أمكن أن يسكن ذلك الاقليم انسان أو حيوان • والجنوب غابات كثيفة ومسستنقعات وأمطار تهطل أغلب السنة والشر قأرضه جبلية وهضاب مقفرة ولولا مرور نهر القاش وخور بركة وخور ستيب في بعض أشهر السنة لعاش الناس هناك في ضنك شديد وفي الغرب صحراء يمر عليها فصل الصيف فـــلا ترى الا رمالا قاحلة يهجرها سكانها بمواشيهم ينتجعون الماء والكلأ في أماكن بعيدة فاذا جـــاء فصل الخريف هطلت الامطار الغزيرة فاذا بتلك الرمال تستحيل الى بساط من سندسي أخضر وحديقة وارفة الظلال كثيرة الثمار وسرعان ما يرجع اولئك المنتجعون بمواشيهم فيجود الزرع ويفيض الضرع ويعيش الناس في دعة من العيش ريثما يطوي الصيف ذلك البساط الاخضر فتعرى الرمال ويعود الجدب والظمأ وفي الجزء الاوسط من السودان في مديريتي النيل الازرق

والخرطوم وفي الجزء الغربي مـن مديرية كسلا والجنوبي مـن المديرية الشمالية يقـوم الفلاحون بشق الترع وحرث الارض ورفع مـاء النيل واستقبال الامطار ويجني السودان مـن هذه المنطقة الخير الوفير حيث مشروع الجزيرة الذي يعتبر أعظم خدمة قدمها الحكم الثنائي للسودان • وحيث مشاريع خشم القربة والقاشي ومشاريع الزراعة الآلية في مركز التضارف وفي مركز سنار • وحيث مشاريع القطاع الخاص الزراعية على شاطىء النيل الازرق والابيض وعلى جانبي مجرى النيل بـين الخرطوم ونهر عطبره •

ترى من هذا العرض أن السودان تختلف مناطقه اختلافا كبيرا ،فمن صحاري والى مستنقعات الى هضاب وجبال الى غابات الى سافنا ويتبع هذا الاختلاف أيضا اختلافات كبيرة في المناخ فمن رطوبة الى جفاف الى حر شديد الى جو معتدل فهذه الاختلافات الطبيعية لا بـد أن يكون لها تأثير كبير على حياة الناس فتختلف حياتهم تبعـا لاختلاف طبيعة أرضهم واختلاف وسائل المعيشة ــ واذا استعرضت السكان وجدت أيضا بونا شاسعا في الاجناس والالوان واللغات والعادات والمعتقدات والتقاليد ــ فنحن قطر واحد ولكنه يشتمل على مناطق وأقاليم ونحن بلد واحد ولكنه يشتمل على شعوب وقبائل • ولا أعتقد أن هناك قطرا يماثلنا الا الهند والصين • غير أن ضعف المواصلات في بعض المناطق وعدم وجود وسائلها في البعض الآخر جعل هذه المناطق مع الاختلافات التي أشرت اليها تكاد تكون في عزلة عن بعضها البعض فهذا هو واقع السودان الذي تبلغ مساحته مليونا من الاميال المربعة • ويتجمع سكانه القليلون بالنسبة لمساحته في نقاط تبعد عـن بعضها البعض عشرات الاميال • ولا تـزال المواصلات الرئيسية هـي ظهور الجمال والحمير والابقار • ولا تزال الطرق وسط الرمال وبين أحجار الجبال وخلال الاحراش والغابات على حالها الطبيعي دون أي عمل يجعلها صالحة للسالكين دع عنك تعبيدها ورصفها •

وهناك اختلاف آخر في المجتمع السوداني وهو أن القبيلة لا تزال قوية . فالقبائل العربية التي دخلت السودان منذ ألف سنة تقريبا ظلت الى يومنا هذا محتفظة بتقاليدها وعاداتها وصفاتها المميزة لها عن القبائل الاخرى . وقد عمق الاستعمار البريطاني هذه الفوارق القبلية حينما شرع منذ سنة ١٩٢١ في اعطاء زعماء العشائر سلطات ادارية وقضائية وفي العمل على تقوية نفوذها ثم حاول منذ سنة ١٩٢٨ اقامة سلطنات على أساس هذه القبائل تطبيقا للسياسة التي رسمها لوجارد في نيجيريا فعمدوا الى تجميع القبائل الصغيرة حول قبيلة كبيرة واعتمدوا شيخها رئيسا اداريا وقضائيا لتلك القبائل المجمعة ومنحوه السلطة والسلطان حتى أصبح نواة يمكن تطويرها الى سلطنة قائمة بذاتها لتمارس ادارة ذاتية ووحدة قضائية تسير على قانون العرف والتقاليد . وكان الاستعمار بدون شك يهدف الى تمزيق الشعب السوداني وخلق تنافس بين هؤلاء السلاطين واعتمد كل سلطان على الاستعمار ليتغلب على منافسه أو خصمه وهو نفس الاسلوب الذي اتبعته بريطانيا في تكوين وتدعيم امارات الخليج العربي ولكن هذه السياسة المدمرة انهارت وهي في طور التكوين بفضل الوعي العام الذي فاجأ البريطانيين بالحل السياسي لمسألة السودان قبل أن تبلغ هذه السياسة الاستعمارية غايتها .

وهناك انقسام آخر في المجتمع السوداني خلفه الاستعمار وذلك ان تصفية الثورة المهدية التي استمرت نارها مشتعلة ١٦ عاما جاءت على يد الجيش الفاتح الذي خاض الحرب لفتح السودان باسم المصريين والبريطانيين رسميا . وبمجرد الاستيلاء على الخرطوم انحصرت شراكة المصريين في رفع العلم المصري بجوار العلم البريطاني وتسمية البلاد المفتوحة « السودان الانجليزي المصري » وتسمية الحكم باسم « الحكم الثنائي » وأصبح البريطانيون تحت هذه الشكليات وتحت هذه الشعارات المشتركة هم الحاكمون الذين لا ينازعهم مصري .

وعمد البريطانيون الـى الزعيم الديني الكبير السيد علي الميرغني لانهم في حاجة الى محو النفوذ الديني الذي خلفه المهدي والذي كان يخيل اليهم وثورة المهدية لا تزال ماثلة أمام الشعب السوداني ، ان ذلك النفوذ قد يظهر في ثوب رجل آخر مـن أولاد أو أنصار المهدي فيعيدها جذعة فالتفوا حول أكثر الزعماء الدينيين البعيدين عن المهدية والمناوئين لهـا والذين تربطهم صلات تاريخية بمصر . فأصبح السيد علي هـو الزعيم الاكبر الذي ترجع الحكومة لاستشارته وتستمع لنصائحه ولما اقتنعت بعد فترة من الزمن أن المهدية قد ذهب ريحها ووجدت عند السيد علي نوعا من الاعتداد بالنفس في دهاء وحكمة توجسوا خيفة من انفراده بالنفوذ الشعبي ورأوا أن لا بد من زعيم وطني آخر الى جنبه لخلق روح المنافسة الذي يدفع كلا منهما نحو الاستعمار ليحميه من منافسه وليساعده على التغلب على ذلك المنافس . فرأوا أن السيد عبد الرحمن بـن المهدي يمكن أن يكون ذلك الزعيم المنافس وذلك جريا على سياستهم المشهورة «فرق تسد» فشرعوا يمهدون الطريق للسيد عبد الرحمن ليحتل مركز الزعامة الشعبية ومكنوه من جمع الثروة لتدعيم زعامته فأخذ يجمع بقايا أنصار المهدية فما هي الا سنوات قليلة حتى أصبح السيد عبد الرحمن زعيما واسع النفوذ استطاع أن يكون منافسا للسيد علي الميرغني في كـل ميدان والحق أن اختيار البريطانيين للسيد عبد الرحمن لاعداده للزعامة دل على خبرة كبيرة ومقدرة فائقة ومعرفة عميقة بمؤهلات الاشخاص ونفسياتهم . فالسيـد عبد الرحمن يتمتع بقدر كبير من صفات الزعامة فهو رجل موطأ الاكناف حسن العشرة طليق الوجه في كرم نادر وأريحية فذة .

وبعد أن نجح السيد عبد الرحمن في تكوين زعامة واسعة النطاق قوامها أولاد وأحفاد أولئك الذين ناصروا والده وماتوا من حوله مع من انضم اليه من جذبتهم شخصيته الاخاذة ووجهه الطليق ويده المبسوطة وممن عمل الحكام البريطانيون بدفعهم نحوه ـ فانقسم الشعب السوداني

الى كتلتين كبيرتين الختمية وهم أتباع السيد علي الميرغني والانصار وهم أتباع السيد عبد الرحمن المهدي • وكان الامل يداعب رؤوس الكثيرين من المثقفين أن تقوم كتلة ثالثة قوامها المثقفون من خريجي المدارس والمعاهد ولكن الذي حدث عكس ذلك ـ فحينما فكر الخريجون في تأسيس المؤتمر سنة ١٩٣٨ ليقوم بنشر التعليم في أرجاء البلاد ونشر الوعي في صفوف الشعب انقسم زعماء المؤتمر الى قسمين قسم من الخريجين الذين يحسنون الظن بالسيد علي الميرغني ويرون فيه الزعيم الديني الذي يمكن أن يعمل لمصلحة البلاد ويحررها من الاستعمار وقسم آخر من الخريجين الذين يحسنون الظن بالسيد عبد الرحمن ويرون فيه الزعيم الديني الذي يمكن أن يناصرهم في تحرير البلاد وتحقيق مصلحة الشعب ، وهكذا ظهر في نطاق المؤتمر (الفيلست) نسبة الى الشيخ السيد الفيل أكثر الخريجين صلة بالسيد علي الميرغني و (الشوقست) نسبة للسيد محمد علي شوقي أشد الخريجين صلة بالسيد عبد الرحمن المهدي وأخذ القسمان يتطاحنان في نطاق المؤتمر •

فلما قرر الخريجون تحويل المؤتمر من أداة تعليمية الى أداة سياسية لتقود الحركة الوطنية في نضالها ضد الاستعمار ، هرع هؤلاء الى السيد علي يستمدون مناصرته ودفع أتباعه لتأييدهم وهرع أولئك الى السيد عبد الرحمن يستمدون منه العون ودفع أنصاره لتأييدهم وهكذا ازدادت الكتلتان اتساعا وصراعا • فلما نشأت الاحزاب تكونت الاحزاب الاتحادية مستمدة القوة الجماهيرية من الختمية فأنشأ البريطانيون حزب الامة ترياقا للحركة الوطنية التحررية التي تقودها الاحزاب الاتحادية • ونشأ حزب الامة في بيت المهدي وعلى أكتاف أولاده مستمدا القوة الجماهيرية من الانصار أتباع المهدية •

هذا هو واقع الشعب السوداني فاذا أردنا أن نتخذ الطريق الديمقراطي منهجا والطريق الاشتراكي مسلكا فعلينا ان لا ننقل الانظمة

الغربية الليبرالية والانظمة الاشتراكية المطبقة في البلاد الاخرى لتطبيقها كما هي في بلادنا فان تركيب الشعب السوداني يختلف عن تركيب تلـك الشعوب الاخرى وان واقـع السودان مـن حيث الاحوال الاجتماعية والاحوال الاقتصادية والاحوال الثقافية يختلف عن واقع البلاد الاخرى • واذا كانت الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية يوغوسلافيا قـد نهجتا منهجـا ديمقراطيا اشتراكيا فانهما لـم ينقلا تلـك الانظمة الديمقراطية والاشتراكية على ما هي عليه في البلاد الاخرى فمع محافظتها على الاسس الديمقراطية والاشتراكية العامة فان كل واحدة طبقت تلك النظريات بما يتفق مـع واقعها وأحوال بلادها ومع أننـا أقرب الشعوب الى الشعب المصري وبلادنا جزء من وادي النيل وسكان السودان أغلبهم وفدوا لهذا القطر عبر القطر المصري واشترك الشعبان المصري والسوداني في القرون الطويلة في كـل شؤون الحياة في السراء والضراء الا أننا يجب ألا تنقل الانظمة الديمقراطية والاشتراكية حتى من مصر دون أي تعديل فواقعنا وأحوال بلادنا وتركيب شعبنا يختلف عن واقع وأحوال وتركيب الشعب المصري الشقيق ــ وعلينا أن نقتدي بما فعلته الجمهورية العربية المتحدة وهي تسلك طريق الديمقراطية والاشتراكية فقد أخذت بالنظام الاشتراكي ولكن اشتراكيتها العربية النابعة من ايمانها بالاديان السماوية والاخلاق الاسلامية جاءت متفقة مع البلاد الاشتراكية من حيث الفلسفة الاشتراكية وأهدافها مختلفة عنها من حيث تفاصيلها وتطبيقها • وكذلك أخذت بالنظام الديمقراطي الشعبي ولكنها لم تسند الحكم لطبقة العمال بـل ولا حتى لطبقتي العمال والفلاحين بل أعطت هاتين الطبقتين نصف مقاعد البرلمان لان الفلاحين والعمال يمثلون فعلا نصف السكان على الاقل واحتفظت بنصف المقاعد لطبقات الشعب الاخرى فلـم تهمل أي قطاع من قطاعات الشعب • ينبغي علينا أن نضع نظامنا الخاص الذي يتمشى مـع واقعنا وتقاليدنا وديننا واقتصادياتنا • وهو نظام في اعتقادي لا يختلف عن بقية

البلاد الاشتراكية فقط بل ويختلف أيضا عن الجمهورية العربية المتحدة لحد ما ولكن تجربتها هي أقرب التجارب الينا فهي بالنسبة لنـا التجربة الرائدة التي تنير أمامنا الطريق وتهدينا الى سواء السبيل •

قد يقول قائل كيف يتفق هذا المنطق مع قولكم بالوحدة العربية الشاملة والجواب ان كل اقليم عربي ينبغي أن ينظم طريقه نحو الهدف المشترك بما يتفق وأحوال شعبه وما دام الهدف واحد فستلتقي الطرق • فكل الطرق توصل الى روما كما يقولون •

ان القرون الطويلة التي مرت بالامة العربية منذ تمزق الدولة العباسية والى هذا اليوم جعلت من الشعب العربي شعوبا مختلفة وجعلت من الوطن العربي أوطانا متباينة فتمسك كل شعبه بوطنه وعمل المستعمرون على تعميق عوامل التفرقة والاختلاف حتى اذا ما استطاع كل شعب عربي بكفاحه المتواصل أن يطرد الاستعمار وينال حريته وجد نفسه وحدة قائمة بذاتها لها كيانها السياسي وشخصيتها الدولية داخل حدود خاصة وحواجز تفصله عن الوطن المجاور فجاء جمال عبد الناصر هبة من عند الله ليزيل تلك الحواجز ويرفع تلك القيود ليتحد الشعب العربي وليتوحد الوطن العربي ونحن جميعا سائرون في هذا الطريق بخطى سريعة في بعض أجزاء الوطن العربي بطيئة متعثرة في البعض الآخر ولكن عجلة الوحدة العربية الشاملة لا يمكن أن تتراجع بل لا يمكن ان تقف بعد أن بدأت المسير وذلك هو المنطق الحتمي للتاريخ • غير أننا ونحن نسير في هذا الطريق والى ان نصل الى الغاية المنشودة لابد من مراعاة كل شعب عربي لظروفه وأوضاعه والسير بحذر وباتزان مراعيا في كل خطواته أوضاع التخلف في هذه السنوات الطويلة مع توجيه كل قدرته ودفع كل طاقاته للتخلص شيئا فشيئا من تلك الروابط وهاتيك الاوضاع ولتطوير مجتمعه الى وحدة متماسكة ومؤمنة بالقومية العربية وبالسلوك الاشتراكي وبالمنهاج الديمقراطي •

الصلة بين الديمقراطية والاشتراكية

الديمقراطية كلمة يونانية معناها حكم الشعب والهدف الذي يرمي اليه حكم الشعب هــو أن يتمتع كــل فرد من أفراده بالامن الاجتماعي والحرية الشخصية بعيدا عــن الاستغلال أو الارهاب أو الضغط المادي أو الفكري •

ولم تكن الديمقراطية في عهد الاسلام الاول أسلوبا للحكم فحسب ولكنها كانت سلوكا مارسه الحكام ومارسه الشعب في وقت واحــد ، فسرت هذه الروح في جماهير الامة دون تمييز طبقة على طبقة فليس للحاكم أن يستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا والناس متساوون في العناصر الرئيسية للحياة ،الماء والناروالكلأ فلا يحصل التفاوت الاجتماعي الا على أساس التفاوت في المؤهلات والخبرة والعمل • والناس كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر •والاشتراكية هي الاسس العادلة التي تحفظ للانسان كرامته وتحترم انسانيته فتحول دون استغلال الانسان لاخيه الانسان استغلالا اقتصاديا او اجتماعيا أو سياسيا وتحميه من التسلط والضغط والارهاب•وتحفز الجميع للعمل المثمر البدني والعقلي لتوفير الانتاج بحيث يسد حاجة الجميع ويفيض عليهــا وتلزم الدولة على توزيع ذلك الانتاج توزيعا عادلا لكل حسب عمله مع توزيع الفائض على العاجزين عن الانتاج لظروف طبيعية أو أسباب قهرية لكل حسب حاجته ــ ولا ريب أن توفير المنتجات وعدالة توزيعها يقتضي تسليح الشعب بأسلحة العلم والخبرة والمعرفة بشتى العلوم وأنواع الفنون وضروب التدريب وزيادة التأهيل حتى يستغل الشعب كل امكانيات وطنه

ويرعى العاملين رعاية تجعلهم قادرين على بذل كل طاقاتهم لاستثمار خيرات بلادهم • ونخرج من هذا العرض بنتيجة واضحة وهي أن الديمقراطية لا تتحقق الا اذا ارتكزت على الاشتراكية • كما أن النظام الاشتراكي لا يقوم الا على أسس الديمقراطية فهما جناحان لا يستطيع الشعب أن يحلق في سماء الحرية الا بهما معا ــ وهل الطائر الا بجناحيه يطير ــ فالعيوب التي جعلت الديمقراطية الليبرالية غير صالحة للتعبير عن ارادة الشعب وقد سبق ايضاحها تتلخص في عبارات قليلة فحواها أنها ديمقراطية تفتقد الاسس الاشتراكية ــ كما أن النظام الاشتراكي ــ وخصوصا في البلاد النامية ــ اذا اعتمد على الدكتاتورية الثورية التي تكمم الافواه وتمارس القهر العنف وتفرض مخططات معينة على الشعب،لا يمكن لمثل هذه الاشتراكية ان يقوم بنيانها أو تستقر أركانها الا اذا ارتبطت تلك الاشتراكية بالديمقراطية التي تمكن الشعب من التعبير عن ارادته بالقول وبالفعل في حرية كاملة غير متأثرة بالرهبة ولا بالرغبة وهي خاضعة للضغط المادي والفكري • فالديمقراطية والاشتراكيةمتلازمتان تلازما لا انفكاك له، واذا انفك هذا التلازم في أي مجتمع انهارت الديمقراطية وفي نفس الوقت انهارت الاشتراكية وفي هذه الحالة تسلمت الرجعية زمام المجتمع •

وبدون تخلص الشعب من كل وسائل الاستغلال وعوامل الضغط والارهاب ومن كل ما يعوق تحرر الفرد من الخوف والتسلط ، وذلك لا يحصل الا اذا اعتمد الفرد على كسب يده وملك قوته وما يقيم أوده دون حاجة الى الآخرين بأن تهييء له الدولة كل الظروف الملائمة التي تشعره بأنه سيد نفسه ومالك أمره ، بدون ذلك لا يستطيع ذلك الفرد أن يمارس الديمقراطية الحقة بأن يدلي برأيه الذي يعتقده صوابا دون أن يلتفت يمنة ولا يسرة ويرفع صوته بكلمة الحق لتحقيق مصلحة الوطن ومصلحة الشعب سواء كان سائرا في الشارع العام أو جالسا في مقعد البرلمان أو مجتمعا في مجلس الوزراء وتلكم هي الديمقراطية الحقة التي لا تخضع

للمؤثرات ولا تذعن للاغراءات ولا تخاف مـن التهديد لانها تقوم على أساس متين من الاشتراكية التي وفرت لـه حاجياته وحررته مـن قيود الاستغلال وخلصته من الضغوط المادية والفكرية •

فتحرر الافـراد والجماعة بهـذا المعنى الذي شرحناه هـو روح الاشتراكية ولحمتها وسداها وهـو في نفس الوقت روح الديمقراطيـة ولحمتها وسداها •

الديمقراطية حكم الشعب وقد عرفها الانسان وسار عليها في طوره البدائي حينما تكونت القبلية فكان المجلس الذي تختاره القبيلة من كبرائها ومشايخها هـو الذي يحكم القبيلة وكانت قرارات ذلك المجلس نافذة ومحترمة لدى أفراد القبيلة (ويبدو واضحا أن الديمقراطية الحقة مرتبطة كل الارتباط بالاشتراكية فقـد عاش الانسان أيضا في مجتمعه البدائي معيشة اشتراكية فالارض مملوكة للجميع يفلحها الجميع وتوزع منتوجاتها على الجميع • بل يبالغ الشيوعيون فيقررون أن المجتمع البدائي كـان مجتمعا شيوعيا ومعنى ذلك أنهم يرون أن المجتمع البشري وهو يسير في طريق الشيوعية سينتهي به الامرحينما يصل القمة الىالهبوط الى المستوى البدائي) • فما طار طير وارتفع الا كما طار وقع •

الديمقراطية الليبرالية وتعدد الاحزاب

حينما خطا المجتمع البشري خطوات في طريق الحياة وتخطى هـذا الطور البدائي ، نشأ نظام الاسترقاق ثـم النظام الاقطاعي ثـم النظام الرأسمالي بحيث أصبح السيد أو الاقطاعي أو الرأسمالي هو الحاكم بأمره وأصبح العبيد والرعاة والفلاحون والعمال وهم أغلبية الشعوب يساقون سوق الاغنام ويكدون ويكدحون ليقدموا ثمـرة جهودهم لقمة سائغة للسادة والاقطاعيين والرأسماليين على التوالي ، ولما شعر الكادحون بالظلم والارهاق ظهرت صور متعددة للحكـم الاستبدادي وصنوف متنوعـة للدكتاتوريات التي حاولت مقابلة ذلك الشعور بالضغط والارهاب والعنف

وأدى هذا الصراع الى قيام الديمقراطية الليبرالية التي هي في الواقع ثوب براق ظاهره الديمقراطية والحرية ويخفي في باطنه نفس السيطرة والارهاب والرغبة والرهبة التي تألم الكادحون منها وأبدوا سخطهم عليها • لان الديمقراطية الحقة هي أن توفر الحكومة للمواطن العادي التمتع بالامن الاجتماعي والحرية الشخصية وأن يكون بمنجاة من الاستغلال والضغط المادي أو الضغط الفكري • فأنشأت الطبقة الارستقراطية من الرأسماليين والنبلاء نظام الديمقراطية الليبرالية •

الديمقراطية الليبرالية

نشأت الديمقراطية الليبرالية الحديثة لتقنع هؤلاء الكادحين أن الامر بيدهم فهم الذين ينتخبون ممثليهم من أعضاء البرلمان الذين تتكون منهم الحكومة وهم الذين يصنعون القوانين ويراقبون الحكومة وهي تقوم بتنفيذ تلك القوانين ، فكانت في الواقع ديمقراطية شكلا لا موضوعا لان الناخبين هم أولئك الكادحون المستغلون فانهم انما ينتخبون ممثليهم وفق رغبة الرأسماليين الذين يتحكمون في أرزاقهم أو وفق رغبة مشايخ القبائل وزعماء الطوائف وعملاء الاستعمار أو وفق رغبة من يمدهم بالمال الحرام فنشأت الديمقراطية الليبرالية وكلما ازداد الوعي أو ارتفعت صيحات الشعب خطت الديمقراطية الليبرالية خطوات نحو الحرية وخففت من ضغطها على الكادحين الساخطين وهكذا ظلت تدريجيا تتحسن حتى وصلت الى المستوى الموجود في وقتنا الحاضر والذي تمثله البرلمانات في أوربا الغربية وما ينسج على منوالها في القارات الاخرى ويعتبر البرلمان الانجليزي اليوم قمة هذا النوع من الديمقراطية •

غير أن الشعوب أدركت أن هذه الديمقراطية الليبرالية هي في الواقع ضرب من الديكتاتورية المقنعة لان انتخابات أعضاء المجالس النيابية تبدو في ظاهرها أسلوبا ديمقراطيا فان البلاد تقسم الى دوائر وسكان كل دائرة ينتخبون ممثلهم الذي ينوب عنهم في البرلمان وفقا لقانون الانتخاب الذي

يحدد السن والمؤهلات واجراءات الانتخابات التي تكفل المساواة بين المواطنين وتبيح لهم تساوي الفرص ولكنك لو تمعنت في جوهر هذه الانتخابات وجدت أن أغلب الشعوب بل ـ ربما كل الشعوب ـ بين أفرادها وجماعاتها تناقضات متعددة . فأصحاب رؤوس الاموال الكبيرة في تناقض تام مع الفقراء الكادحين ، وأصحاب الاقطاعيات الزراعية الواسعة في تناقض تام مع الفلاحين البسطاء ، وأصحاب المصانع الكبيرة في تناقض تام مع العمال العاديين وهذه الطبقات الدنيا انما تعيش على فتات موائد الطبقات العليا فلا تستطيع أن تخالفها أو ترفض رغباتها لان الجائع لا بد أن يكون خاضعا كل الخضوع لمن يقدم اليه الخبز الضروري لحياته وبذلك يستطيع الرأسماليون والاقطاعيون أن يقفوا من خلف المرشحين فيدفعوا من يشاءون الى داخل البرلمان ويزيحوا عن الطريق من لا يريدون . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان العنصرية والقبلية والطائفية تستطيع أيضاان تضع فلانا لانه من أفراد القبيلة أو فلانا لانه من أتباع الطائفة أو فلانا لانه من أفراد الجنس أو العنصر ويستطيع أن يضع فلانا هذا في كرسي النيابة ويحرم المرشح المضاد الذي لايستند الى القبيلة أو الطائفة أو العنصر مهما كانت شخصيته ومهما ارتفعت مؤهلاته . وبهذه الطريقة يكون عدد من النواب داخل البرلمان اسطوانات تحكي صوت سيدها الجالس في قصره خارج البرلمان ، ثم تؤلف الحكومات باختيار هؤلاء النواب او باختيار الملك أو رئيس الجمهورية أو رئيس مجلس السيادة . ولكن هذه الحكومة على أي حال تكون ألعوبة في يد النواب يؤيدونها أو يقبلونها ويصوغون لها القوانين حسبما تتفق مع رغبات أولئك الجالسين في القصور ، الذين دفعوا بهم الى البرلمان . فتكون الحكومة واقعة تحت نفوذ أولئك الرأسماليين والاقطاعيين وزعماء القبائل وزعماء الطوائف .

فالديمقراطية الليبرالية والحال هذه ليست ديمقراطية تمثل ارادة الشعب أو ترعى مصالحه بل هي في الواقع أداة يحركها الاقطاعيون

والرأسماليون وزعماء الطوائف والقبائل • لان هؤلاء هم الذين يتحكمون في لقمة العيش وهم الذين يملكون سلاح الارهاب المادي وسلاح الضغط الفكري ويملكون وسائل الخديعة والاغراء •

وقد فطنت الشعوب الى فساد هذا النوع من الديمقراطية التي تعتمد على تعدد الاحزاب • وتعدد الاحزاب نفسه من تقسيم الشعب وعرقلة تلاحمه وتوحيده كما أنها مبعث للصراع والمناورات وحب الغلبة والسيطرة ولو كان ذلك على حساب مصالح الشعب •

الديمقراطية الشعبية

لجأت بعض الشعوب الى ابتداع ديمقراطية جديدة هي المسماة الان بالديمقراطية الشعبية • ولتفادي أخطاء الديمقراطية الليبرالية لجأت الى حل الاحزاب ومنع قيامها وتكوين الحزب الواحد •واجراء الانتخابات في نطاق الحزب الواحد الذي تكونه الدولة وتمنع قيام أي حزب بجواره ولكن نظرة فاحصة في جوهر هذا الاسلوب من الديمقراطية تجعلك تقنع بأنها أيضا ديمقراطية زائفة فهي في الواقع نوع من الديكتاتورية المقنعة ويعترف الشيوعيون الذين ابتكروا هذا النظام بأنها ديكتاتورية ولكن يبررون قبولها بأنها ديكتاتورية البروليتاريا أي طبقة العمال وهو تبرير لا يمكن التسليم به دكتاتورية العمال سيطرة لهذه الطبقة على طبقات الشعب الاخرى وهي أيضا نوع من الحزبية بل ان الحزبية أقرب الى الحرية منها فان الحزب الحاكم لا يمنع الاحزاب الاخرى المعارضة من رفع صوتها داخل المؤسسات الديمقراطية بل وخارج تلك المؤسسات بالنقد والتوجيه وابراز أخطاء الحكومة • اما طبقة البروليتاريا عندما تحكم فانها تقفل الطريق امام بقية الطبقات وتكمم افواها سواء في ذلك الطبقة البرجوازية او غيرها من طبقات الشعب فلا يسمح لها صوت وتسير المجموعة في طريق مرسوم وهي معصوبة العينين • وقد يقال ان طبقة البروليتاريا سوف لا تكون هي الطبقة الحاكمة ولكنها جماع الشعب • ويمكن ان نوافق

على هذا المنطق اذا فتح الباب لجميع الطبقات حتى يجيء الوقت الذي تختفي فيه الطبقات الاخرى ولا تبقى الا طبقة واحدة هي طبقة البروليتاريا التي تمتص حينذاك جميع الشعب •

وقد يقال ان هذه البروليتاريا التي تنسب اليها هذه الديكتاتورية هي في الواقع لا تمارس هذه الديكتاتورية كما يمارس الديكتاتور سلطانه بحيث لا يسمع لغيره أي صوت ولكن الجهاز الرئيسي في الحكومة او الجهاز الرئيسي في الحزب هو الذي يمارس هذه الديكتاتورية وهو عدد قليل من القادة ولكن هذا لا يخرجها من تسلط الدكتاتورية ولا يرتفع بها الى حرية الديمقراطية لذلك وصفها الماركسيون انفسهم بانها دكتاتورية على ان طبقة العمال التي ركز ماركس عليها في قيام الدولة الاشتراكية وجعلها العمود الفقري لتلك الدولة انما دفعه لذلك ان الرأسمالية في أوربا تركزت في التطور الصناعي بشكل واضح بالاستغلال وان الوف العمال في تلك المصانع كان ضحية الاستغلال يعملون بكدهم وجهدهم ويعانون كل عنت ومشقة لتذهب ثمرة أتعابهم الى اصحاب المصانع الذين كانوا هم الحكام ـ الحقيقيون في البلاد فاراد ماركس ان يعطيهم حقوقهم فهم العنصر المنتج فكانت العدالة ان يكونوا هم العنصر الذي يدير الدولة لمصلحة المجموعة الذين هم عمودها الفقري •

واين هذا الوضع من البلاد التي لا تكون الصناعة فيها الا اثرا ضئيلا ولا يكون العمال فيها الا فئة صغيرة كبلادنا ومن الميسور ان يوضع النظام الذي ينصف هذه ـ الفئة دون ان يعطيها حق السيطرة على فئات اكثر منها عددا واقوى منها اثرا في كثير من الاقطار •

واذا التفتنا الى الديمقراطية الشعبية على ضوء الفلسفة الشيوعية لوجدنا انها اسلوب مخفف للدكتاتورية التي لا بد من ممارستها لتوطيد دعائم الفلسفة الشيوعية وامكان تطبيقها اذ لا يمكن ان نطبق النظرية الشيوعية الا بنوع الديكتاتورية التي تفرض على الشعوب حكم العمال

مهما كانت درجة العمال من حيث نسبهم العددية او مؤهلاتهم • ففي البلاد الاشتراكية التي استقر فيها التطبيق الاشتراكي كخطوة مرحلية لتطبيق الشيوعية فيما بعد ، قد يجد الانسان مبررا لممارسته الديكتاتورية في المراحل الاولى ثم التنازل عن سلطانها شيئا فشيئا للبروليتاريا فكلما اتسعت قاعدة البروليتاريا فامتصت قطاعات أخرى من قطاعات الشعب غير العمال كلما استقر النظام الشيوعي وتعمقت جذوره في الشعب : فالشعوب التي تؤمن بالشيوعية كفلسفة تؤدي اخيرا الى خير البشر ورفاهية الشعوب ينبغي ان تقبل هذا النظام بخيره وشره وان تخضع لسلطاته كدكتاتورية لفرد او أفراد في البداية ودكتاتورية لطبقة من الطبقات بعد ذلك وربما لديمقراطية لاظل للدكتاتورية في ثناياها في النهاية كما يحلم الشيوعيون الى الانتهاء الى المدينة الفاضلة التي خططها افلاطون في فلسفته وغيره من الفلاسفة الطوبائيين الذين رسموا في مخيلتهم المجتمع المثالي ووضعوا تخطيطهم ثم جاء الفيلسوف كارل ماركس ولينين ورفاقهما فخططوا لمجتمعهم المثالي الشيوعي ـ ولا يستطيع الانسان مهما اقتنع بنظريات هؤلاء الفلاسفة ان يقنع بان هذه المدينة الفاضلة او المجتمع المثالي الذي يجري وراء تحقيقه هؤلاء الفلاسفة العظام ستحقق يوما من الايام فالفلسفة الشيوعية نفسها تقرر ان ذلك المجتمع المثالي لا بد ان ـ يحمل في طياته عناصر متصارعة ومتناقضة لينتهي ذلك الصراع الى قفزة أخرى اكثر تقدما فينشأ مجتمع جديدا ارقى مثالية وهكذا يستمر التسلسل الى غير نهاية وفقا لجدلية هيغل ومعنى ذلك ان الوصول الى المجتمع المثالي الذي يخططون له ضرب من المستحيل •

أما نحن فنعتقد ان هذه المدينة الفاضلة لا محل لها في هذه الحياة وانها بكل تأكيد ستكون في دار البقاء جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين واننا سنظل عاجزين حتى عن وصفها وابراز معالمها الا ان عقول البشر ينتهي مدارها دون افقها فلا يسعنا الا ان نصفها بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •

الديمقراطية الشعبية ونظام الحزب الواحد

حينما انكشفت الديمقراطية الليبرالية وبدت سوءاتهـــا وبسطت الاقلية الارستقراطية من ارباب الاموال والاقطاعيات ومن النبلاء السادة نفوذها وضغوطها على الكادحين الفقراء والتابعين البسطاء وهم الاغلبية الساحقة في كل الشعوب بدون استثناء وحينمـا ثارت الاغلبية وأبدت سخطها من وطأة العمل المضنى وقلة العيش الضروري شعـر اولئـك المستغلون المسيطرون بالخطر يقترب منهم فكانت الديمقراطية الليبرالية تخديرا لاعصاب الثائرين وخداعا للبسطاء الساخطين ولكن ذلك لم يوقف زحف الثورة ففكر قادتها في ديمقراطية يكون القول الفصل فيها لهؤلاء الفقراء الساخطين وهؤلاء البسطاء المظلومين فجاء نظام الديمقراطيـة الشعبية ذات الحزب الواحد تجسيدا لتلك الثورة فكان من البديهي ان يصحب النظام الجديد نوع من الدكتاتورية العنيفة وضربا من التسلط الارهابي ليتمكن من قلب الاوضاع راسا على عقب لتجيء القاعدة فـي مكان القمة فلا بد من هدم الرأسمالية ولا بد من تدمير مراكز التبعية ولا بد من اشعار الكادحين انهم اصبحوا هم السادة وهم الحاكمون وهم بعد ذلك كفيلون باشعار النبلاء والمترفين انهم كانوا نفرا من قطاع الطرق وشلة من الخونة السارقين ٠ ومجتمع تسوده هذه الروح لا بد من ان يهتز فتتساقط جنباته فترة تطول او تقصر حسبما تمليه الظروف المحيطة بذلك البلد وحسبما تسمح به اقتصادياته واخلاقه وعقائده وتقاليده ٠

وان الانسان ليحتار في طريقة اخراج هذا النظام الديمقراطي الشعبي لخير الوجود هل يعمد الحكم الى تعميق الاسس الاشتراكية ليمارس

الشعب تطبيقها عمليا ويكون الوحدة الشعبية لتختفي الانقسامات السابقة ثم بعد ذلك يجيء دور المؤسسات النيابية التي تمارس الديمقراطية الشعبية ويكون ذلك في وقت اختفت فيه عوامل الانقسامات الحزبية فلم تختفي رسومها فقط ولكن اختفت معانيها ولم تندثر شكلا ولكنها اندثرت موضوعا فيجيء نظام الحزب الواحد تلقائيا ويستجيب الشعب دون تردد متى نودي لتكوينه ام تؤمر الاحزاب بالتنحي والانحلال ويجمع نفر من المواطنين في شكل برلمان او جمعية وطنية يختارها حزب قام بين عشية او ضحاها من تلك العناصر التي كانت متماسكة حول الاحزاب التي اعلن حلها ثم بعد ذلك وفي نطاق هذا النظام الذي قام بالفعل استجابة لنداء القوي واذعانا لاوامر من اذا قال فعل — بعد ذلك يبدأ الشعب يمارس الاشتراكية ممارسة فعلية ؟ ان هذه المسألة شبيهة بموضوع الدجاجة والبيضة فلم يستطع الفلاسفة ان يحكموا بان الدجاجة سابقة لانها هي التي باضت البيضة او بأن البيضة سابقة لانها هي التي خرجت منها الدجاجة . ويبدو لي ان الذين يقفون هذه الوقفة الحائرة يدفعهم اليها عنصر العجلة فهم متحمسون اكثر من اللازم ويريدون ان يكونوا دولة اشتراكية ديمقراطية شعبية ذات حزب واحد دفعة واحدة وقد أملى عليهم هذه الشعور بضرورة القفز الى النظام الاصلاحي الذي يهدفون اليه انهم قاموا بثورة فلا بد من هدم القديم وازاحة أنقاضه وبناء الجديد بدله في عجلة لئلا يحدث فراغ بين هدم القديم وبناء الجديد اذا اتصف الانتقال من الوضع القديم الى الوضع الجديد بالبطء لان التي قامت بدوافع عظيمة بغرض الاصلاح والتعمير قد تنتج من حركتها البطيئة الخراب والتدمير ولكن لا بد لنا من وضع السؤال الاتي ليكون الجواب هو الحل لهذا الاشكال وهو هل قامت الثورة صبيحة ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ فقط دون خطوات سابقة وحلقات متصلة مما جعلها تقف بين النظامين البائد والجديد هذه الوقفة الحائرة ؟ في اعتقادي ان التحرك نحو

الاشتراكية قد بدأ منذ استقلت البلاد وان كانت الفكرة الاشتراكيـة قد صحبت الحركة الوطنية منذ نشأتها فالاشتراكية التي تبلورت قواعدها في القرن التاسع عشر انتشرت انتشارا واسع النطاق فتخطت حدود كـل قطر وجاست خلاله وفي القرن العشرين ظهرت الانظمة الاشتراكية وقامت الدول الاشتراكية وبدأت الشعوب تتفهمها وبدأت تلك الانظمة تتعمق في حياة الشعوب وبالطبع لم نكن نحن بعيدين عن هذه التطورات فقد وصلت الى بلادنا الفكرة الاشتراكية اولا ثـم وصلت الينـا الفلسفة الاشتراكية مجسدة في نظم دولية ثم اتصلنا بالدول الاشتراكية او هـي اتصلت بنا فانعكس ذلك على حياتنا الاجتماعية ولقيت هذه النظم هوى في نفوسنا لان شعبنا اشتراكي بطبعه ولان الرأسمالية والاقطاعية اثرهـا ضئيل في بلادنا فلم تؤثر على روحنا الاشتراكي ومعيشتنا الاشتراكية الا بقدر ضئيل ولما ظهرت الاحزاب السياسية رفعت شعار الاشتراكيـة رفعه بعضها وهو غير مؤمن به لارتباطاته بالاستعمار وشركات الاحتكار ولان حياته تقوم على نوع من استقلال الاتباع وخداع الانصار وبعضها رفعه وهو مؤمن به واستمر يحاول تطبيقه ولا اراني مبالغا اذا قلت ان جميع الاحزاب نادت بالاشتراكية فحزب الامة مثلا رفع شعار الاشتراكية وهو بالطبع غير مؤمن به بل ظل يعمل تحت ذلك الشعار لمحاربة مضمونه لان طبيعة تكوينه وطريقة معيشته وظروف نشأته ومصدر نفوذه كل ذلك يحيله بالطبع عدوا للاشتراكية . والاخوان المسلمون نادوا بالاشتراكية تحت ستار الاسلام وهم حزب فاشي يعتمد على الارهاب والتضليل فلا يمكن ان يكون اشتراكيا والحزبان اللذان رفعا شعار الاشتراكية وهمـا جادان في تطبيقها مقتنعان بها هما الحـزب الشيوعـي وحـزب الشعب الديمقراطي مع اختلاف جوهري بينهما في فهم الاشتراكية ونوعها وطريقة تطبيقها اما حزب الشعب فقد اصدر دستوره عندما استانف حياته بعـد ثورة اكتوبر وسجل في ذلك الدستور الخطوات الاشتراكية التي التزم

بها تسجيلا فيه الكثير من التفصيل والوضوح وواضح من ذلك الدستور نوع الاشتراكية التي كانت يدعو لها والتي عمل على تنفيذ الكثير من خطواتها بعد صراع عنيف مع الاحزاب الرجعية المعادية للاشتراكية سواء في نطاق الحكومة او في قاعة البرلمان او في نضال المعارضة والتجمعات الشعبية وواضح من دستور حزب الشعب الذي وضع سنة ١٩٥٨ انه كان يؤمن بالاشتراكية العربية التي تقوم على القواعد الاسلامية وتنبع من واقع الشعب وتراثه وتقاليده ـ واما الحزب الشيوعي فقد سبق جميع الاحزاب في الدعوة الى الاشتراكية ولكنها اشتراكية ماركسية لا تؤمن بالقومية العربية ولا تؤمن بالاديان وهي في نفس الوقت اشتراكية مرحلية يمر بها المجتمع وهو سائر في طريقه الى تحقيق الشيوعية وهي في الواقع تنفيذ للاشتراكية العلمية التي وضع تخطيطها الشيوعيون لتطبيقها في كل البلاد وفي كل المجتمعات كنتائج حتمية لقواعد علمية ثابتة يمكن تطبيقها كما تطبق النظريات الرياضية في كل الاقطار وفي كل الامم ولا شك ان هناك فرق كبير بين الاشتراكية التي تطبق على اساس انها الهدف النهائي الذي تحيا عليه الامة وبين الاشتراكية التي تطبق على اساس انها مرحلة تفضي الى الشيوعية والذين يعتقدون ان كلا النوعين من الاشتراكية متفقان في هذه المرحلة ثم تتجمد احداهما وتقف في مكانها وتتطور الاخرى وتنتقل الى المرحلة التالية فهما معا في المرحلة لانتقالية نوع واحد ونظام متحد ـ الذين يعتقدون ذلك يخطئون ـ فالاشتراكية المرحلية الماركسية لا بد ان تصحبها في الفترة المرحلية خصائص شيوعية معينة وعناصر لا بد من توفرها في هذه المرحلة للحاجة اليها في بناء المرحلة الاخيرة فمثلا لا تهتم الاشتراكية المرحلية الماركسية بالتربية الدينية والاخلاقية داخل المدرسة ولا في النطاق الشعبي خارج المدرسة لان ذلك يهدم النظرية الشيوعية ويحول دون وصول الشعب الى مرحلتها لان تمكنه من عقيدة الايمان بالقدر والبعث وما يتبعه من ثواب وعقاب وما يقوم على هذه الاسس من سلوك

وخلق يحول دون انتقاله لمرحلة الشيوعية او بعبارة اصح بجعله غير صالح لتلك المرحلة بينما هذه التربية وهذا الايمان وهذا الخلق تعتبر عناصر ـ اساسية في بناء الاشتراكية العربية التي تعتبر هي الغاية النهائية لحياة الشعب • ثم ان الاشتراكية المرحلية لا بد ان تقوم على العنف ولا بد ان يصحب تحويل الشعب اليها نوع من الدكتاتورية الثورية التي تحد من الحريات وتطلق يد الضغط والارهاب ـ لاهتمام الدولة بضرورة اجتياز هذه المرحلة بقوة وطرد كل الشوائب التي تتعلق بها فتعطل سيرها في حين ان الاشتراكية العربية وقد وصلت بالامة الى نهايتها ليست في حاجة الى سلوك العنف والضغط بل لا بد لها من المهل لازالة الشوائب وابعاد العوائق وحفز الهمم لتحرير الانسان من الاستغلال والخوف والرهبة وحتى من استغلال الدولة والخوف والرهبة منها وغرس عوامل الاخاء والعدالة والرحمة واحترام الغير والرغبة في اسعاد المجموعة وتمكين الدولة من رعاية وحماية الجميع •

خطوات في طريق الحزب الواحد

قد جرت في الفترة من يوم استقلال السودان الى الان عدة محاولات تهدف الى توحيد الاحزاب ومع ان الدوافع لتلك المحاولات لم تكن الرغبة في تنفيذ النظام ـ الاشتراكي الا انها محاولات في طريق الاشتراكية سواء قصد ذلك سالكو ذلك الطريق او لم يقصدوه ولكن الدوافع لتلك المحاولات كانت اما نوعا من التقليد فنحن نرمي ببصرنا خارج السودان فنشاهد عددا من الاقطار الغى الاحزاب وكون حزبا واحد فلماذا لا نحاول هذه المحاولة لنعد من البلاد التقدمية وقد فعل ذلك عبود فانه الغى الاحزاب ثم كون المجلس المركزي من عناصر كانت موزعة على الاحزاب المختلفة ولكنه عجز عن تكوين تجمع شعبي ليسد الفراغ الذي احدثه حل الاجزاب وليلتف حول النظام وليكون مصدرا للاعضاء الذين يتكون منهم المجلس المركزي ـ وحاول السيد الصادق ان يكون الحزب الغالب

بمعنى ان يكون حزبا واسع النطاق يضم الاغلبيــة الكبيرة من الشعب ويقوم الى جنبه حزب أو احزاب صغيرة فيكون الحزب الغالب هو الحزب الواحد لان الاحزاب الصغيرة مصيرها الفناء ولكن السيد الصادق فشل في ذلك مع انه حينما شعر انه لا يمكن ان يصل الى غرضه فتلتف الجماهير حول حزبه ليكون هو الحزب الغالب لان رأي الشعب في حزب الامــة بوضعه الذي كان عليه ــ حزب يقوم على اكتاف عائلة المهدي ويستمد جماهيره من اتباع المهدية والانصــار ــ وحينمــا شعر ــ بذلك بــدأ يعمل على حل حزب الامة واعادة تكوينه واقناع المثقفين للانضمام اليــه غير انه فشل في ذلك ادت هذه المحاولات الى تصدع حزب الامة وعودة الصادق اخيرا الى نطاق حزب الامة الرجعي وتخليه عن افكاره السابقة ثم جرت محاولة ثالثة جادة هي تكوين التجمع الاشتراكي الديمقراطي من حزب الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي والاتحادات والنقابات التي كانت تكون جبهة الهيئات كاتحاد نقابات العمال واتحاد المزارعــين واتحاد الشباب والعناصر الوطنية في الحزب الوطني الاتحادي والتجمعات النسوية وعدد غير قليل من المثقفين الذين كانوا واقفين خارج الاحزاب واستمر التجمع الاشتراكي الديمقراطي الى ما يقرب من العامين وكــان له اثر واضح في تعميق الفكرة الاشتراكية في نفوس الشعب واخيرا تجمد التجمع الاشتراكي الديمقراطي وتوقف نشاطه لان الحزب الشيوعــي وحزب الشعب الديمقراطي وهما الدعامتان اللتان كان يقوم عليهما ذلــك التجمع لم يستطيعا ان يواصلا سيرهما في خط واحد وادرك كل منهمــا هذه الحقيقة خلال العمل والمناقشات فافترقا دون ان يعلنا اختلافا او ظهرا افتراقا ــ وقد اقتنعت بالممارسة والتجربة ان أي فرد او جماعة واية هيئة او منظمة لا تدين بالماركسية لا تستطيع ان تتعاون مع الحزب الشيــوعي السوداني الا تعاونا محدود النطاق محدود الزمن وذلك لثلاثة اسباب :

١ ــ يحاول الحزب الشيوعي باستمرار ان يقود الاخرين وينتزع

المتحالفين معه ـ رغم قلة حجمه ـ فيتسلق على اكتفهم الى ان يصل عدد من قادته الى القيادة ونظمه فخلصه للمنظمات التي يقودها الشيوعيون توضح ذلك بجلاء فالاغلبية الساحقة من العمال ليسوا بشيوعيين ومع ذلك نجد ان اللجنة المركزية لاتحاد نقابات العمال تضم عددا من الشيوعيين وتجدها منساقة مع التيار الشيوعي وبالتالي ينساق وراءها جماهير العمال وكذلك الحال في اتحاد الموظفين واتحاد المعلمين واتحاد الشباب واتحاد المزارعين والاتحاد النسائي ويساعد الشيوعيين على تنفيذ هذه الخطة انهم الحزب الوحيد في السودان الذي يضم كادرا محترفا لا عمل له الا التنظيم الحزبي وهو متفرغ غير محتاج الى عمل يكتسب منه قوته وقوت اولاده ان كان له اولاد •

٢ ـ لا يقبل الحزب الشيوعي بسهولة ان يتعاون مع أي حزب آخر تعاونا شريفا يخضع للمنطق وتحقيق المصلحة بل يحاول دائما ان يجر ذلك الحزب الى تدعيمه وفناء شخصيته فيه واضعا في حسابه باستمرار ان مصلحة الحزب فوق مصلحة الوطن وان الولاء للشيوعية ينبغي ان يوضع في رأس قائمة النضال ثم بعد ذلك يجيء الولاء للوطن ومنطقهم في ذلك ان الشيوعية فلسفة امية شاملة والولاء لوطن ما أو لشعب ما يجيء ضمنا باعتبار ان العالم كله سيكون وطنا للشيوعية والشعوب كلها ستتطور حتى تنضوي في لواء الشيوعية •

٣ ـ لا يسلك الشيوعيون خطا سياسيا واحدا فتراهم احيانا يميلون ذات اليمين واحيانا ذات اليسار فقد تعاونوا مثلا مع حزب الامة ومع الاخوان المسلمين حينما انضموا جميعا صفا واحد لمحاربة نظام عبود مع ان حزب الامة هو الذي سلم السلطة لعبود ورفاقه ليصفي الديمقراطية فيحل البرلمان ويحل الاحزاب ويقبل المعونة الامريكية ويمكن الاحتكارات الاستعمارية من بسط نفوذها وتدفق اموالها ثم بعد حين يعيد السلطة لحزب الامة والاخوان المسلمين فلما رفض كبار الضباط الذين تسلموا

السلطة ان يتخلوا عنها اقام حزب الامة معارضته لهم في الوقت الذي بدأ فيه اولئك الضباط يتجهون اتجاها تحرريا فارتبطوا بالجمهورية العربية المتحدةويوغسلافيا وزار عبود القاهرة وبلغراد وغيرها من الدول الاشتراكية بما في ذلك الصين وزار عبد الناصر وتيتو الخرطوم مما دفع حزب الامة الى ابراز معارضتهم فانضم اليهم الشيوعيون مع ان المنطق كان يحتم على الشيوعيين ان يدفعوا الضباط في الطريق المتحرر الذي اتجهوا اليه دفعا او على الاقل ان لا يشتركوا مع حزب الامة في معارضة ترمي الى رد البلاد عن ذلك الاتجاه ودفعها الى الوراء لان الحزب الشيوعي وحزب الامة يقفان على طرفي نقيض فحزب الامة في اقصى اليمين والحزب الشيوعي في اقصى اليسار ولئن جاز لحزب الشعب ان يتعاون مع حزب الامة تحت ضغط الظروف فقد يكون ذلك مقبولا مهما كان منتقدا لاننا نقف في الوسط بين هذين الطرفين لذلك ائتلف حزب الشعب مع حزب الامة فترة من الزمن وائتلف مع الحزب الشيوعي فترة من الزمن حسبما اقتضته مصلحة البلد ــ اما تضامن الحزب الشيوعي مع حزب الامة فأمر يصعب على كل وطني ايجاد المبرر له لان جمع النقيضين مستحيل اللهم الا اذا التجأوا الى النظرية الماركسية التي تعتمد على جدلية هيجل فيكون هذا التضامن بمثابة الفكرة السليمة التي تحمل بين طياتها العنصر المضاد لتهيئة الجو للصراع الذي هو اساس التقدم في نظر الشيوعية وكاشتراكهم في كل الانتخابات والبرلمانات شأنهم في ذلك شأن كل الاحزاب التقليدية البائدة بحيث لا يستطيع الانسان ان يقول ان الحزب الشيوعي شيء آخر غير الاحزاب التقليدية البائدة مهما فكر في المعنى المقصود من كلمة « تقليدية » أهي قدم الحزب •• أهي ارتباط باتجاه معين •• أهي طريقة تكوين اجهزته ؟؟ اما كلمة « البائدة » فصحيح انها الآن لا تنطبق على الحزب الشيوعي لان جميع الاحزاب قد ابادتها الثورة وهو وحده الحزب الذي لم يبد ولعل السبب في ذلك انه حزب غير تقليدي !! وكموقفه

الحزب الشيوعي من دعوة سر الختم الخليفة لحزبي الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي للاشتراك في وزارته الثانية لتكون وزارةقومية وتقدمية ثلاثة مقاعد لحزب الشعب ومقعد للحزب الشيوعي وقبول الحزب الشيوعي هذا العرض مع ان ثورة اكتوبر الشعبية اعطت مقعدا وزاريا للعمال ومقعدا وزاريا للمزارعين وارادت الاحزاب الرجعية ان تكون الوزارة التي خلفت وزارة الثورة دون اعطاء العمال والمزارعين هذا الحق وقد رفض حزب الشعب العرض الا اذا اعطى العمال والمزارعون حقهما الوزاري الذي حققته لهما ثورة اوكتوبر وحصل بين الحزبين نقاش طويل وجاء الشيوعيون بوفد من الجزيرة من المزارعين من عطبرة من العمال ليطلب الوفدان من الحزبين ضرورة دخول الحكومة دون العمال والمزارعين ولكن حزب الشعب اجرى اتصالات ببعض قادة المزارعين بالجزيرة وبعض قادة العمال بعطبرة واقتنع ان رفض الحزبين للعرض وتمسكهما بحق المزارعين والعمال قوبل بتقدير عظيم وتأييد شامل من جماهير العمال وجماهير المزارعين فاصر على رفض الاشتراك في الوزارة واخيرا تراجع الحزب الشيوعي اذ لم يكن هناك مفر من تراجعه الا اذا ضحى بالتجمع الاشتراكي الديمقراطي ــ وهذا الموقف يدل دلالة واضحة على تناقض الحزب الشيوعي وعدم التزامه بخط معين فقد حققت ثورة اكتوبر هذه الاشتراكية التي يريد الحزب الشيوعي الذي يدعى انه قائد الاشتراكية في البلاد ان يتخلى عنها في سبيل الوصول الى الحكم .

قد أبديت رأيي في الحزب الشيوعي السوداني بصراحة تامة وهو رأي محصته التجربة بعد ان بلورته الملاحظة . ولكن ليس معنى هذا اني اغمط الحزب الشيوعي حقه او اتجاهل تاريخه وكفاحه .

نشأة الحزب الشيوعي السوداني

ان الحزب الشيوعي المصري الذي الفه اليهودي الثري « هنري دانيال كوريل » الشيوعي الكبير في مصر في اوائل الاربعينات تحت اسم

الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني « حدتو » قد ضم عددا من الشبان السودانيين وخصوصا من الطلبة فكانوا اول من ادخل الفكر الماركسي في السودان وانتقلوا من القطر المصري الى السودان حوالي سنة ١٩٤٤ واسسوا الحزب الشيوعي السوداني الذي بدأ يمارس نشاطه في محيط ضيق وفي الخفاء وبدأ يسعى لتوسيع قاعدته فأنشأ بطريق غير مباشر منظمة الجبهة المعادية للاستعمار لتكون واجهة لممارسته نشاطه الظاهري ولتكون ارضا خصبة يستطيع ان يلقي فيها البذرة الشيوعية وذلك اسلوب سلكه الشيوعيون بعد ذلك في مراحل متعددة فأنشأوا منظمات بعيدة عن دائرة حزبهم وتحمل اسما بعيدا عن مدلول الشيوعية صالحا لضم الكثيرين ممن لا صلة لهم بالشيوعية مكتفين بالسيطرة على تلك المنظمة بوضع شخصيات شيوعية كبيرة في لجنة المنظمة القيادية من يوم انشائها والمحافظة على نفوذهم فيها باستمرار بحيث يمكنهم السيطرة على تلك المنظمة من حيث العدد ومن حيث قوة الشخصيات وانك الآن تلاحظ هذا الوضع في عدة منظمات كاتحاد الشباب واتحاد نقابات العمال والاتحاد النسائي وغيرها فالقاعدة الشعبية لكل واحدة من هذه المنظمات اغلبيتها من غير الشيوعيين بل وتضم كثيرا من العناصر التي لا تقبل أن تنسب للحزب الشيوعي غير ان لجانها المركزية يسيطر عليها الشيوعيون — بهذا الاسلوب انشأ الحزب الشيوعي الجبهة المعادية للاستعمار فانضم اليها الكثيرون من اعداء الاستعمار شيوعيين وغير شيوعيين وكان لهذه الجبهة نضال عظيم ضد الاستعمار وكانت كما وضحت في يد الحزب الشيوعي ثم بعد ان اطمأن الحزب لموقفه وشعر ان اقدامه قد رسخت بدأ يحارب الاستعمار حربا لا هوادة فيها غير مكترث لما يلاقيه أقطابه من سجن وتشريد فهم يظهرون على السطح ويمارسون نشاطهم فاذا اشتدت العاصفة وكشر الاستعمار عن انيابه توارو تحت السطح فلا يستطيع البوليس ومن يتعاونون مع البوليس من الاهتداء الى مكانهم ولكنه يجد منشوراتهم ملقاة في

كل شارع وكل حارة ويجد شعاراتهم على كل حائط • واستطاعـوا اخيرا ان يجندوا عددا من الشبان المثقفين الماركسيين ليتفرغوا لنشر مبادئهم ورعاية منظماتهم وضمنوا لهم مرتبات شهـرية سخية تفي بحـاجياتهم وتحركاتهم واهتموا بمناطق العمال كالعاصمة المثلثة على وجه العموم والخرطوم بحري على وجه الخصوص وكعطبرة وبور سودان وكوستي وغير ذلك من مناطق تجمعات العمال كما اهتموا ايضا بمنطقة الجزيـرة المروية لنشر الشيوعية بين مزارعي الجزيرة واقاموا لجانا بـين اولئـك المزارعين استطاعوا مع قلة عددهم ان يتسلقوا الى اللجان القيـادية في نقابات العمال واتحادات المزارعين والموظفين وغيرها ولم يصلوا الى قيادة هذه المنظمات عن طريق اقناع اعضاء هذه المنظمات بمبادئهم ولكنهـم لجأوا الى وسيلة مكنتهم من التسلق الى قيادة هذه المنظمات فقد تبنوا مطالب العمال والمزارعين والموظفين واستمروا يحرضون هذه النقابات والاتحادات على الاضراب الذي لا يكتفي فقط بشموله جميع اعضاء النقابة بل يتعدى الى اضراب النقابات الاخرى تأييدا للنقابة التي اضربت لظلم اصابها من أصحاب العمل واستمر سلاح الاضراب الشامل يحقق بضغطه الاقتصادي المطلب تلو المطلب مما جعل اعضاء النقابات والاتحادات المختلفة مع انهم لا يؤمنون بالشيوعية بل يعادونها ولكنهم مع ذلك يؤيدون قيادة الشيوعيين لانهم حققوا لهم مطالبهم العادلة بل حتى مطالبهم الغير العادلة لان سلاح الاضراب الشامل معول هدام لا تتحمله الحكومات الاستعمارية والحقيقة ان الشيوعيين لهم تاريخ في محاربة الحكم الثنائي واذا ذكر النضال الوطني ضد الحكم الثنائي فلا يسع المنصف الا ان يعترف بأن الشيوعيين هم الطليعة التي قادت النضال في عهد لا يقوى على النضال فيه الا الوطنيون الاحرار ما هم في ذلك العهد ولا بد مـن الاشارة الى ان الحزب الشيوعي مع موقفه العظيم كعنصر طليعي فـي معركة السودان مع الاستعمار ومع كفاحه الذي استمر اكثر من عشر

سنوات قبل الاستقلال الا انه ظل حزبا صغيرا ولم يستطع ان يكتسب انصارا حقيقيين وذلك لان السودان ينفر من الشيوعية ويعتبرها مذهبا يتجافى مع دينه وتقاليده واخلاقه. وفي الانتخابات الاخيرة فاز الحزب الشيوعي السوداني باغلبية مقاعد الخريجين فاعتقدوا او بعبارة اصح ـ ارادوا ان يحملوا الناس على الاعتقاد ـ بان اغلبية الطبقة المثقفة شيوعية او على الاقل تناصر الشيوعيين ووجدت دعايتهم هذه آذانا صاغية لدى كل من يأخذ الامور بظواهرها والحقيقة التي يعرفها الشيوعيون قبل غيرهم ان هذه الدعاية لا تقوم على الحقائق فان الموقف في تلك الانتخابات حمل الكثيرين من الخريجين على اعطاء صوتهم لقائمة الشيوعيين لانهم لا يمكن ان ينتخبوا مرشحي حزب الامة والاخوان المسلمين لارتباطاتهم بالقوى الاستعمارية واعرضوا عن مرشحي الوطني الاتحادي لانه في ذلك الوقت كان متحالفا مع حزب الامة والاخوان المسلمين في حكومة سر الختم الثانية التي جرت الانتخابات اثناء حكمها ولان حزب الشعب الديمقراطي قد قاطع تلك الانتخابات مقاطعة صارمة فليس له فيها مرشح فكان امام المثقف والحال هذه اما الوقوف بعيدا عن صناديق الانتخابات وعدم استعمال حقه في الاقتراع واما ان ينتخب قائمة الشيوعين لانها اقل ضررا من القوائم الرجعية ولانها تزيد من فعالية المعارضة لذلك الحكم الرجعي ـ هذه هي الدوافع الحقيقية التي دفعت بجانب كبير من المثقفين لانتخاب مرشحي الحزب الشيوعي ودفعت بجانب اخر الى العزوف عن الانتخابات . ولو لم يكن الحزب الوطني الاتحادي متحالفا مع الاحزاب الرجعية لذهب عدد كبير من اصوات المواطنين الى مرشحيه واذا لم يكن حزب الشعب قد قاطع الانتخابات لذهبت اصوات كثيرة لمرشحي حزب الشعب ولكن هذه الظروف اخلت الجو للشيوعيين فلما جاءت الانتخابات الثانية لم يحظ الحزب الشيوعي في طول البلاد وعرضها الا بثلاثة نواب ومع ان عددا كبيرا يعجب بجهادهم وشجاعتهم ويعطف عليهم كلما اصابهما

عنت من المستعمرين ويلتف حولهم لانهم يعملون على تحقيق مطـالبهم وتبصيرهم بحقوقهم الا ان ذلك العدد الكبير لا يقبل الشيوعية ولا يرضى ان ينسب اليها ولكن الشيوعيين يريدون ان يوهموا الناس ان العطف والتأييد الذي كانوا يلقونه في ايام الحكم الثنائي لكفاحهم المرير ضـد المستعمرين انما هو اقتناع من طبقات العمال والمزارعين والمثقفين بمبادئهم وان حزبهم قد انتمت اليه اغلبية الطبقة المثقفة واغلبية العمال والمزارعين وقد كشفنا حقيقة الامر فيما يختص بالطبقة المثقفة التي كان دليلهم الوحيد على صدق قولهم فوزهم باغلبية مقاعد الخريجين في انتخابات سنة ١٩٦٥ اما دعواهم ان اغلبية العمال والفلاحين في المنطقة المروية من الجزيرة قـد انضمت لحزبهم فقد كشفها موقعهم من انتخابـات المجـالس البلـدية والريفية ـ ففي المناطق العمالية كعطبرة وبور سودان والخرطوم بحري لم يحرزوا الا نجاحا ضئيلا بينما فاز حزب الشعب الديمقراطي باغلبية كثيرة في تلك الانتخابات وكذلك الحال في الجزيرة المروية فان وحدة المزارعين وهي من منظمات الحزب الشيوعي لم تجد الا تأييدا ضئيلا وفاز الوطني الاتحادي بالاغلبية الكبيرة •

الحزب الشيوعي السوداني قبل الاستقلال وبعد الاستقلال .

وفي رأيي ان الحـزب الشيـوعي من يـوم تكوينـه الى يـوم اعلان استقلال السودان كـان حزبا منـاضلا وأدى الى البلاد خـدمة عظيمة في العمل المثمر لتقويض دعائم الاستعمار ـ ولكنه بعد اعـلان الاستقلال ارتكب اخطاء جسيمة جعلت الكثيرين يتشككون في سلوكه ونواياه ويلاحظون ان مواقفه في كثير من الاحيان لا تتمشى مع مبادئـه وان هدفه الرئيسي كما يبدو من تحركاته بعد الاستقلال هو اشاعة الفوضى والعمل على عدم وصول اية حكومة الى نوع من الاستقرار والاهتمـام بكسبه الحزبي اكثر من اهتمامه بالكسب الوطني وحتى حينما تضطره الظروف الى نوع من اللقاء او التعاون مع بعض الاحزاب الاخرى لمواجهة موقف معين يلبس الحزب الشيوعي السوداني ثوب الانانية التي لا تطاق

فيحاول ان يستأثر بكل عمل من الاعمال التي قامت بها مجموعة الاحزاب المتعاونة واذا لم يستطع ذلك عمل على هدم ذلك التجمع حتى ولو كان ذلك التجمع شريفا وانعقد لتنفيذ غرض شريف ولولا انني لا اريد ان اطيل للتدليل على امر يعرفه كل من اتصل بالحزب الشيوعي لذكرت الكثير عن منظمات التضامن الاسيوي الافريقي والدفاع عن الوطن العربي والدفاع عن الحريات والتجمع الاشتراكي الديمقراطي وحتى مؤتمر منظمتي مؤتمر السلام والتضامن الاسيوي الافريقي الذي انعقد بالخرطوم قبل ثورة مايو ببضعة اشهر لمساندة ثوار انجولا وموزمبيق وغينابيشاو وزامبيا ذلك المؤتمر العالمي الذي انعقد في ارض السودان وحضره قادة المنظمتين الدوليتين حاول الشيوعيون محاولات مكشوفة ان يسيطروا على المؤتمر ويتبنوه ولما عجزوا عن ذلك حاربوه ولكن المؤتمر رغم محاولاتهم نجح نجاحا باهرا وكان اول مؤتمر من نوعه يشهده السودان ·· ولماذا نذهب للماضي البعيد للتدليل على انانية الحزب الشيوعي وتسلقه على اكتاف الاخرين فيكفي ان نشير هنا الى ان ثورة مايو التي جاءت باسس اشتراكية صحيحة ومبادىء تقدمية لا ريب فيها بحيث لا يملك الحزب الشيوعي السوداني سببا لمعارضتها مع العطف الذي اولته اياه وحلها جميع الاحزاب واستثنائه دون غيره من الاحزاب فان الحزب الشيوعي مع ذلك قد قام بحركة مناهضة للثورة ووزع منشوراته التي تدين اتجاه الثورة لا لشيء الا لان الثورة قد ابعدت سكرتير الحزب الشيوعي الى مصر كأنما قضية الافراد في نظره فوق قضية المبادىء والاهداف ويبدو لي ان الحزب الشيوعي سيواصل ضغطه لابعاد كل العناصر الوطنية غير الشيوعية عن الثورة ما دامت تلك العناصر لا تدين له بالولاء الحزبي حتى يصل الى مفترق طريقين اما ان ينفرد بقيادة الثورة على طريق مبادئه واما ان يقف منها موقف المعارض ويرميها بالانحراف والرجعية ويأتلف مع حزب الامة والاخوان المسلمين وغيرهم ممن يناوئون الثورة لمحاربتها لما حصل منه في الماضي ·

وهكذا تقوم تصرفات الحزب الشيوعي دائما على اساس ان الولاء للحزب الشيوعي يجيء في الدرجة الاولى والولاء للسودان يجيء في المرتبة الثانية وان الكسب الحزبي يقدم على المكاسب الوطنية بل عند تعارض المصالح الحزبية مع المصالح الوطنية لا يتردد الحزب الشيوعي السوداني من التمسك بالمصلحة الحزبية والتضحية بالمصلحة الوطنية فمثلا قد يفهم الانسان ان تحريضهم للعمال ليضربوا عن العمل لتحقيق المطالب كان في عهد الاستعمار ذا طابعين ـ طابع جاد وهو تدارك مظلمة حاقت بالعمال او اصلاح خطأ اصابهم فهم يحرضون العمال لاجبار الاستعمار على تدارك المظلمة او اصلاح ذلك الخطأ وطابع سياسي في ثوب المطالب والغرض منه اصابة الحكومة بالشلل والارتباك وارهاق ميزانيتها او الظهور امام العمال بمظهر الحريص على الاغداق عليهم من الحكومة الاستعمارية ـ فلما استقلت البلاد كان الواجب الوطني يقضي عليهم بتغيير هذا السلوك فلا يحرضوا العمال الا اذا حصلت ظلامة فعلية وسلكوا كل الطرق لاقناع الحكومة الوطنية لرد الظلامة وفشلوا بأن رفضت الحكومة وتعنتت بدون حق ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل ظلوا يسيرون على نفس المنهج الذي كانوا يسيرون عليه ايام الحكم الاستعماري غير مهتمين بما يصيب البلاد من ضرر في ميزانيتها او اضطراب في مرافقها او عدم استقرار في اقتصادها •

وحتى حينما وضعت الحكومة السابقة لقيام ثورة مايو كادر العمال الذي تقرر فيه منح العمال علاوات كبيرة اقام الحزب الشيوعي الدنيا واقعدها عن طريق منظمة اتحاد نقابات العمال الخاضعة لتوجيهاته منتقدا ذلك الكادر بانه ظلم العمال وسير المظاهرات الصاخبة من جماهير العمال يطالبون بزيادة تلك العلاوات وحينما قامت ثورة مايو رفعوا اصواتهم يصفون تلك الحكومة بالفساد لارهاق مالية البلاد بذلك الكادر • ونستخلص من سرد هذه الاراء ان الحزب الشيوعي من يوم تأسيسه

الى يوم اعلان الاستقلال كان حزبا مناضلا عظيما وخدم البلاد خدمة كبيرة لوقوفه بصلابة وشجاعة ضد الاستعمار في كل ميدان اما بعد اعلان الاستقلال والى هذا اليوم فاقل ما يقال فيه انه كغيره من الاحزاب حزب تقليدي ارتكب كل خطأ ارتكبته الاحزاب التقليدية فاشترك في الانتخابات والبرلمانات والحكومات التي يصفها الان بكل فساد ورجعية وتعاون مع كل الاحزاب رجعية او غير رجعية وتعاون مع الحكم العسكري حينما كان ارتباط ذلك الحكم بالاستعمار امرا واضحا لكل انسان حينما بدأ ذلك الحكم يتجه نحو المعسكر التقدمي وقف مع حزب الامة يعارضه . واذا كان الحزب الشيوعي قد افاد البلاد في بعض الاحيان فقد الحق الضرر بالبلاد في اكثر الاحيان وحامت حوله الشبهات كما حامت حول غيره من المنظمات السياسية واتسم بالعمل على اشاعة الفوضى وعدم الاستقرار وانه حزب يعارض الاتجاه العربي القومي كما يعارض الاشتراكية القائمة على الاسس الاسلامية بل يريدها اشتراكية امية بعيدة عن العقائد الدينية .

ونستطيع ان نقول ان الحزب الشيوعي مؤمن ايمانا صادقا ببعض المبادىء التي نادت بها الثورة ويؤمن ايمانا ظاهريا غير صادق ببعض مبادىء الثورة ـ فمن المبادىء التي يؤمن بها ويبذل جهدا مستميتا في تحقيقها حربه للاستعمار والامبريالية وهذا هو السبب في ان الحزب الشيوعي قبل الاستقلال كان في طليعة المناضلين وكافح كفاحا مجيدا وقام بتضحيات جسيمة اذ كان العمل الرئيسي في ذلك الوقت هو محاربة الاستعمار وهو لا يؤمن قطعا بالقومية العربية واتجاهاتها ولكنه يظهر مناصرته لها لانه لا يستطيع ان يظهر امام الشعب بمحاربتها فكان لا بد له من الانسياق مع التيار متبعا السياسة التي يرتكز اليها كلما سلك طريقا خاطئا وهي قوله انها سياسة مرحلية ـ وقد وضح في ابان الحكم الثنائي عدم ايمانه بالاتجاه العربي فقد نشب خلاف بين قادته حينما برزت

اتجاهات عبد الناصر لاول وهلة وكانت محل نقاش في لجنته القيادية فكان رأي الاشتراكيين ذوي الاتجاهات العربية مناصرة سياسة عبد الناصر وتأييدها وكان رأي الشيوعيين ذوي الاتجاهات المضادة ادانة تلك السياسة ومقاومتها في السودان واحتدم الخلاف مما ادى الى انفصال الاشتراكيين من الحزب الشيوعي وتكوينهم الجمعية الوطنية وما زال رجال الجمعية الوطنية السابقة في مقدمة الاشتراكيين المؤمنين بالاتجاه العربي المتحرر وبالاشتراكية النابعة من واقع الشعب وما زال الاخرون يؤمنون بالماركسية ويكفرون بالقومية العربية ويحاربون الاشتراكية التي ترتكز الى واقع السودان ودينه وتقاليده وان تظاهر بعضهم بعكس ذلك تمسكا بالسلطة وخوفا من مواجهة الجماهير غير ان حقيقة موقفهم اخذ يتكشف من خلال اعمالهم واقوالهم ولعل الانقسام الناتج الان بين قيادة الحزب الشيوعي يقف شاهدا على مناهضة الحزب الشيوعي للاتجاه العربي ذلك ان بعض الوزراء ممن عرفوا بشيوعيتهم قد ابدوا معارضتهم على ابعاد العناصر الوطنية من الثورة كما انهم بدأوا يؤيدون مصر والاشتراكية العربية بحماس فادى ذلك الى فصلهم وبعض زملائهم من الحزب الشيوعي في مؤتمره الذي عقد في الخرطوم خلال شهر اكتوبر ١٩٧٠ .

تلك هي المحاولات الكثيرة التي جرت في السودان والتي تهدف الى الحد من تعدد الاحزاب أو السعي لتحقيق فكرة الحزب الواحد في النهاية ولم يكن بد من سلوك هذه المحاولات البطيئة والتي تخطيء تارة وتصيب أخرى لان تحقيق الحزب الواحد لا يمكن الا بثورة شعبية جامحة وحتى تحقيقه بعد الثورة الجامحة يحتاج الى أسلوب حكيم وادراك واسع بطبيعة الشعب وتركيبه بحيث تستطيع الثورة فتح ابوابها لكل العناصر الصالحة دون أن تسمح لفئة أو طبقة الالتفاف حولها وسد الطريق أمام الآخرين وتكوين الحزب الواحد في بلد كالسودان ذي مناطق متباعدة وعناصر متباينة وأديان مختلفة وعناصر متنوعة وقبائل رحل ولغات متمايزة وتقاليد

متنافرة الى غير ذلك مـن أوجه الخلاف • مما أشرنا اليه في الكلام على تركيب الشعب السوداني وأوضاعه ـ تكوين الحزب الواحد في بلـد كالسودان هذه ملامحه ليس بالامر السهل بل يحتاج الى جهود مضنية ومتاعب كثيرة آمل أن تستطيع الثورة تكوينه والتغلب على عقباته •

النظام المقترح

ينبغي علينا أن لا نحصر أنفسنا في ضرورة الاخذ بأحـد النظامين ، الديمقراطية الليبرالية بالمعنى المعروف الآن في النظم البرلمانية في أوربـا الغربية وأمريكا وبعض بلاد آسيا وافريقيا ، والديمقراطية الشعبية المعروفة الآن في البلاد الاشتراكية وبعض الاقطار الاسيوية والافريقية فلكل من النظامين محاسن ومساوىء • واني أعتقد أنهما معا لا يتمشيان مع واقعنا • وقد جربنا الديمقراطية الليبرالية وعانينا منها عناءا كبيرا واقتنعنا بالتجربة على أن نقلها من الخارج وتطبيقها كما هي أمر يعرقل مسيرتنا ويفتح المنافذ التي تتسرب منها المفاسد والاضرار •

وأعتقد أن نقلنا للديمقراطية الشعبية في هذا الطور أيضا وأخذها كما هي والغاء الاحزاب لينتظم السودان في الحال الراهنة حزب واحد أمر يهددنا بتحطيم كياننا ويعرضنا لهزات تنحرف بنا عن الطريق القويم • ومع أنه من الميسور فرض هذا النظام واقامته بالقوة ولكنه سيكون على حساب حرية الشعب وسيؤدي بنا والى ديكتاتورية رهيبة لا يستطيع القابضين على دفة الدولة تفاديها مهما كانت نياتهم حسنة لان حسن النية وسلامة المقصد يجب ان لا ينظر اليه وحده وانما العبرة اخيرا بالنتائج وان أي نظام تتسرب في اوصاله روح العنف وفرض الآراء على الشعب سينقلب شيئا فشيئا الى نظام دكتاتوري • والديكتاتورية في البلاد المتخلفة ستؤدي حتما الى النظام الرجعي لان النظام سيجد نفسه مضطرا الى حماية نفسه فيأخذ بأسباب الارهاب والضغط ويحد من الحريات وهكذا الى أن ينحدر

الـى نظام أشد رجعية مـن النظم الرجعية التـي تحرك أساسا ليخلص الشعب منها •

ويبدو أن المنهج السليم يقتضينا أن نفكر في نوع آخر للديمقراطية يناسب بلادنا أو أن نعمد الى أقرب النظامين الى نفسية شعبنا أو أوضاعه ومشاكله الاجتماعية فندخل فيه من التعديلات بالحذف والاضافة ما يجعله مناسبا لنا متمشيا مع أوضاعنا •

ولقد أدركنا أثناء قيام حزب الشعب الديمقراطي الاضرار الجسيمة التي تنطوي عليها الديمقراطية التي كنا نمارسها • وكيف أن الانتخابات في كثير من المناطق كانت خاضعة لزعماء العشائر وزعماء الطوائف وكيف كانت تتأثر بالنعرات العنصرية والتيارات المحلية • وكيف كان المال يلعب دورا كبيرا في انجاح المرشح بل كيف كان المال عنصرا أساسيا في تحويل بعض النواب من جانب الحكومة الى جانب المعارضة ومن جانب المعارضة الى جانب الحكومة • وبدأنا ونحن محصورون في نظام الديمقراطية الغربية التي تربينا عليها ومارسناها ـ بدأنا نفكر في وسيلة تخفف مـن هـذه الاضرار ، وتجعل الانتخابات أقرب الى السلامة وتحافظ على النواب حتى لا ينساقوا وراء الذي يدفع لهم أكثر مـن الاحزاب أو من الاشخاص • وقدمت في ذلك الوقت لقادة الحزب اقتراحا وتشاورت في أمره مع بعض الشخصيات ذات الاثر في الاحزاب الاخرى ويتلخص الاقتراح في الآتي :

١ ـ تسجل الحكومة الاحزاب ليحدد كل حزب أهدافه التي يدعو اليهـا واذا تقدمت جماعة لتسجيل حزب جديد ينظر المسجل في مبادئه واهدافه فان كانت تتفق مع حزب آخر رفض تسجيله ولهؤلاء الاشخاص ان شاءوا أن ينضووا تحت لواء الحزب الذي يتفق مع أهدافهم •

٢ ـ تقتصر الانتخابات على الاحزاب المسجلة ولا يسمح لاي فرد أو جماعة بالترشيح لعضوية البرلمان خارج نطاق الاحزاب المسجلة •

٣ ـ يعطى كـل حزب يشترك في الانتخابات لونا خاصا أو علامة مميزة •

٤ ــ لا يرشح الحزب شخصا معينا بل يدعو كل حزب في كل دائرة الناخبين الى اختيار لونه أو علامته موضحا في دعايته مبادئه لاقناع الشعب أنه يحقق مصالحهم أكثر من غيره .

٥ ــ ينتخب الناخبون في الدائرة الحزب الذي يرتضونه باختيار لونه أو علامته .

٦ ــ عند الانتهاء من الاقتراع يختار الحزب في كل دائرة فاز فيها نائبا من تلك الدائرة يعتقد أنه خير أعضائه وأنسبهم عن سكان دائرته .

٧ ــ بعد الفراغ من عملية اختيار الاشخاص وفقا لانتخاب علامة الحزب أو لونه في كل دائرة تؤلف الحكومة كالمعتاد واذا أراد أي نائب أن يغير موقفه ينبغي أن يستقيل من البرلمان ويستقيل من الحزب وينضم للحزب الذي يختاره من بين الاحزاب المسجلة وتجري في الحال انتخابات فرعية في تلك الدائرة على أساس علامات الاحزاب أو ألوانهم كما حصل في الانتخابات الاولى .

وفوائد هذه الطريقة تتضح في الآتي : ــ

١ ــ تنحصر الاحزاب في المجموعات ذات المبادىء المختلفة وتموت عادة تعدد الاحزاب بناء على النزوات والمتاجرة .

٢ ــ تموت تأثيرات زعماء الطوائف وأصحاب الاموال وزعماء العشائر وتموت العنصرية وتستبعد عوامل العداوات والاحقاد كما تستبعد عوامل الصداقات والعصبيات .

٣ ــ يكون ولاء النواب لحزبهم فهو الذي اختارهم وبالتالي يكونوا أحرارا بالنسبة لمواطنيهم في الدائرة ليس لاحد منهم عليه وله وليس في نفسه حقد أو عداء لاي مواطن في الدائرة لموقفه في الانتخابات .

٤ ــ لا بد أن يختار كل حزب خيرة رجاله مراعيا تعدد الخبرات وتوفر المؤهلات وضمان التمسك بالاهداف .

ولكن هذا الاقتراح لم يجد قبولا لا في نطاق حزب الشعب ولا من

أولئك الذين استشرتهم من رجالات الاحزاب الاخرى وكنت أعتقد في ذلك الوقت تحت تأثير تلك الظروف أن النظام الليبرالي الذي مارسناه وعشناه يمكن أن نحوره ونطوره بحيث تختفي أضراره وتبقى فوائده وبذلك يكون نظاما ديمقراطيا أقرب الى التعبير عن ارادة الشعب دون تأثير ودون ضغط ودون اغراء وتجعل الاحزاب المسجلة تتحمل مسئوليتها كاملة لان زمام الديمقراطية سيكون بيدها دون أن تتنازعه الايادي الاخرى التي تستطيع أن تسخره لمصلحتها بالاغراء أو الارهاب أو بالمال أو غير ذلك من وسائل الضغط •

وقال بعض الناقدين لهذاالاقتراح أن اختيار النائب أخيرا يرجع الى الاحزاب وهذا وضع يجعل للجنة الحزب وهي عدد محدود من قادة الحزب نوعا من الديكتاتورية واجيب على ذلك بان أي وضع ديمقراطي لا مفر من رجوع الكلمة النهائية فيه والى فرد أو أفراد وما دامت لجنة الحزب تجيء عادة عن الطريق الديمقراطي اذ تنتخبها اللجان المختلفة فهي عدد ضئيل ومحدود ولكنه يجسد رأي لجان الحزب التي اختارته واذا انحرفت لجنة الحزب او فرد أو جماعة من اعضائه فان لجان الحزب تستطيع ابعاد المنحرف وتصحيح الاوضاع •

وانتقده بعضهم أيضا بأن هذا النظام لا يحول دون تدخل القبلية والطائفية والاقطاعيين والرأسماليين والمستعمرين في الانتخابات واذا كان ذلك التدخل في الماضي يأتي عن طريق المرشح فيمكن في هذا الوضع أن يأتي عن طريق الحزب فالحزب الذي يوافق على تعيين من يقترحه الرأسمالي مثلا يضمن مناصرة ذلك الرأسمالي بأن يوجه أنصاره وأتباعه ومأجوريه لاختيار لون ذلك الحزب واني أوافق على هذه الملاحظة ولكنها ملاحظة يبدو لي أن ما تتخوف منه فيها سيكون قليل الحدوث بالنسبة لما نعانيه عن مضار في وضعنا الانتخابي القديم •

وعلى كل حال فان وضع نظام يسد كل المنافذ ويجيء مبرءا من كل

نقص يكاد يكون مستحيلا ما دام هذا الاقتراح ينصب على الاخذ بنظام تعدد الاحزاب والرجوع الى الديمقراطية الليبرالية بعد تعديلها تعديلا يخفف العيوب التي تنحرف بها عادة عن الجادة وقد رفض حزب الشعب هذا الاقتراح كما رفضه بعض أعضاء الاحزاب الاخرى الذين بحثته معهم متمسكين بنظام الاحزاب والانتخابات كما هو معتقدين أن الاخطاء ستزول تدريجيا فكلما ارتفعت نسبة التعليم وانتشر الوعي وارتفع مستوى المعيشة كلما تخلص النظام الانتخابي من العيوب التي نشكو منها الآن فيصبح البرلمان أقرب الى تمثيل الشعب والتعبير عن ارادته تعبيرا صحيحا ويضربون المثل بالبرلمان البريطاني فقد مضت عليه عشرات من السنين وهو يتخبط في سيره ولكن هذا التخبط استمر في الانحسار سنة بعد أخرى حتى وصل البرلمان الانجليزي الى مستوى رفيع والى مثال ينبغي أن تحتذي به فمن واجبنا ان نتريث وان نتحمل هذه الاخطاء ولكن علينا في نفس الوقت أن نعمل جادين للارتفاع بالاحوال الاقتصادية والاحوال الثقافية الى المستوى الذي يجعل الانتخابات تتفادى هذه الاخطاء التي نشكو منها ولا داعي للتفكير في نظام جديد ولا حتى في احداث تعديلات جوهرية على قوانين الانتخابات الحالية وهكذا رفض حزب الشعب الديمقراطي هذا الاقتراح كما رفضه من عرضناه عليهم من قادة الاحزاب الاخرى .

ولا أريد أن أتقدم الآن بنفس ذلك الاقتراح فقد خطت بنا الثورة خطوة كبيرة للامام وأصبح مجرد التفكير في الانظمة الحزبية السابقة وطريقة اصلاحها يعتبر نكسة ورجعة الى الوراء ولكن علينا أن نفكر في وسائل أخرى تمكن الشعب من اختيار ممثلين حقيقيين يختارهم وهو متمتع بحريته الكاملة غير خاضع لضغط أو اكراه ولا متأثر برغبة أو رهبة ويبدو لي أن لا ضرورة الى انتظار نوع من الديمقراطية لم يسبق له مثيل بل الواجب أن نستفيد من تجارب غيرنا فان التقدم البشري في كل المجالات

محاولات آخذ بعضها برقاب بعض وخطوات تقوم كـل خطوة امتدادا للخطوة السابقة وها هي البلاد التقدمية على وجـه العموم والجمهورية العربية المتحدة على وجه الخصوص قد قطعت شرطا كبيرا في تطبيق نظام الحزب الواحد كأسلوب ديمقراطي يوحد الامـة ويحدد خطها السياسي الذي وصلت الى تحديده بعد دراسات عميقة ويمكن الشعب من التعبير من ارادته الحقة بمحض اختياره في حرية كاملة .

ونظام الحزب الواحد يقتضي أولا أن يوضع الميثاق الذي يحـدد الطريق ويضع على جانبيه المعالم ويسد ما قد يعتريه من المنافذ مستمدا روحه من واقع الشعب وتاريخه وتراثه وخصائصه وتقاليده مراعيا تركيب الشعب واختلاف قطاعاته وحاجات أقاليمه وعلاج آلامه واشباع تطلعاته وآماله ثم بعد اعداد هذا الميثاق يطرح على الشعب في نطاق واسع بحيث يستطيع كل فرد أن يعرف مشتملاته وبحيث يتمكن كل مواطن أن يبدي ملاحظاته في حرية كاملة وصراحة تامة . ولكن هل الشعب الآن مستعدا للالتفاف حول الميثاق وهو حر غير مرتبط بتنظيمات حزبية سابقة ؟ وهل يمكن عمليا أن نقول له دع الارتباطات الحزبية السابقة فيستجيب بسهولة وبساطة ؟ ان حكومة عبود ادعت أنها ثورة اصلاحية وان الاحزاب السابقة فاسدة وانها أضرت الشعب فقررت حلها واستمرت ست سنوات وهـي معتقدة أن الحزبية قضي عليها ولكن بعد هذه السنوات الست الطوال تبين أن الاحزاب قد حلت رسميا واختفت ولكنها ظلت قائمة وظل ارتباط الشعب بها قويا وكل الذي حدث ان نشاطها تجمد فما كاد الشعب يرفع رأسه بعد ثورة أكتوبر حتى رجع كل مواطن الى حزبه فقامت الاحزاب القديمة ووقفت على رجليها في وقت قصير فعلينا ان نعتبر بهذه التجربة ولا نعتقد أن التغيير الميكانيكي والشعارات التقدمية تقضي على الماضي وتخلق مـن الشعب خلال سنة أو سنتين شعبا جديدا لا تربطه بأنظمته الماضية رابطة . لذلك فاني أقترح أن تقوم الثورة بخطوات جادة تهدف الى تحقيق

وحدة وطنية تزيل الارتباطات والتنظيمات السياسية السابقة شكلا وتقوم بأعمال ايجابية عن طريق وسائل الاعلام المختلفة لتنزيل تلك الارتباطات موضوعا وأن يتم ذلك قبل دعوة الجماهير للالتفاف حول الميثاق ولكي أضع اقتراحي هـذا بشكل واضح قابل للتنفيذ أتقدم بالمطالبة باتخـاذ الخطوات الآتية : ــ

١ ــ حل الحزب الشيوعي السوداني أسوة ببقية الاحزاب التي حلتها الثورة لان هذا الحزب لا يختلف عن بقية الاحزاب فقد ساير الاوضاع البائدة واشترك في كل مؤسساتها حتى المجلس المركزي في عهد دكتاتورية عبود الرجعية وخاض الانتخابات ودخل البرلمانات ودخل الوزارات ووقف مع الاحزاب الرجعية في كل الميادين فلا مبرر لاستثنائه ٠

٢ ــ حل جميع المنظمات التي كان الشيوعيون يسيطرون عليها وهي :

١ ــ اتحاد الشباب السوداني ٠

٢ ــ اتحاد نقابات العمال ٠

٣ ــ اتحاد المزارعين ٠

٤ ــ الاتحاد النسائي وغيرها مـن المنظمات التي جرت انتخاباتها وسيطر على قيادتها الحزب الشيوعي قبل الثورة ٠

٣ ــ حل النقابات والاتحادات التي انتخبت في الاصل على أسس مطلبية واقتضى الكفاح ضد الاستعمار دخولها في السياسة لان ضمها كما هي للتنظيم الجديد يهدد دائما بهدم ذلك التنظيم وتجربة جبهة الهيئات تقدم لنا الانذار الكافي لتفادي هذا الخطر ٠

٤ ــ بعد حل الحزب الشيوعي والمنظمات والهيئات الواقعة تحت سيطرته تظـل البلاد دون تنظيمات لمـدة ستة أشهر علـى الاقل ليتحلل المواطنون من تبعيتها ويصبحوا أحرارا من هذه القيود ليعيدوا النظر في أمرهم ويختاروا بعـد ذلك الوضع الذي يرتضونه ويقدموا الاشخاص الذين يثقون فيهم ٠

٥ ــ في أثناء هذه الاشهر الستة يكون مجلس قيادة الثورة مجلسا من نحو سبعين عضوا يختارهم غير متأثر بالاوضاع القديمة فقد يكون الرجل معدودا من حزب اشتراكي تقدمي وهو في واقع الامر غير تقدمي وغير اشتراكي وقد يكون الرجل من أعضاء البرلمانات السابقة أو أعضاء الحكومات البائدة وهو من الوطنيين المخلصين أصحاب المبادىء السليمة والخبرة والكفاءة وكان وجوده في المؤسسات السابقة ضرورة وطنية لان أمثال هؤلاء هم الذين وقفوا ضد الانحرافات وأبطلوا الكثير من المؤامرات ونالت البلاد في العهد الماضي مكاسب كثيرة بفضل جهادهم في نطاق تلك البرلمانات وتلك الحكومات .

٦ ــ في أثناء هذه الاشهر الستة تقوم الثورة بحملة اعلامية واسعة النطاق توضح للشعب أضرار الانظمة الحزبية المتعددة وعيوب الانتخابات السابقة وما أدت وتؤدي اليه من فتح الثغرات التي يتدخل عن طريقها الاستعمار ويتسرب من خلالها نفوذ القبلية والطائفية والاقطاع والرأسمالية وتوضح مزايا النظام الشعبي والحزب الواحد .

٧ ــ في أثناء هذه الاشهر الستة تقوم الثورة بمجهود واسع النطاق لتركيز الوحدة العربية الشاملة التي ينبغي أن تكون الامل والهدف الذي تسعى كل الشعوب العربية لتحقيقه وأن يلاحظ كل شعب عربي وهو يعمل على النهوض بوطنه الصغير وتنقيته من رواسب الاستعمار وتخليصه من النفوذ الاجنبي والتقريب بين طبقاته وحماية شعبه من الاستغلال والارهاب والتبعية ينبغي أن يلاحظ وهو يقوم بهذه المسئوليات أن يكون في حسابه دائما وباستمرار العمل علـى تخفيف العوامل الاقليمية وازالة الفوارق المصطنعة والحواجز التي وضعها الاستعمار فأكسبها طول العهد وتكرار الممارسة الصبغة الوطنية حتى جعلت مـن الشعب العربي شعوبا متعددة وجعلت من الوطن العربي أوطانا متفرقة .

والشعور بحتمية الوحدة العربية شعور أصيل في السودان بدأ أولا

يتبلور في دعوة وحدة وادي النيل التي نادى بهـا أعضاء جمعية اللواء الابيض بعثا لشعور الوحدة الذي امتدت جذوره الى العهد التركي الذي ضم الاقطار العربية المختلفة في اطار واحد تحت الحكم العثماني ولكنه أعطى الشعب فرصة التقارب والتلاحم في طـول الوطن العربي الكبـير وعرضه وحاولت ثورة المهدية أن تضم الشعب العربي جميعه في اطـار دعوتها الدينية الشاملة فجاءت ثورة سنة ١٩٢٤ بعثا لهذه المحاولات وبدأت الدعوة الـى وحدة وادي النيل تتبلور في مصر وفي السودان ومـع أن الاستعمار البريطاني وأد هذه الدعوة وهي لا تزال في المهد الا ان شرارتها التي توارت خلف ركام الاستعمار عادت الى الظهور وارتفع شعاعها من خلال أول انتخابات شعبية سنة ١٩٥٣ حينما أعطى السودان حـق تقرير مصيره بمقتضى المعاهدة الانجليزية المصرية المنعقدة سنة ١٩٥٢ فأسفرت تلك الانتخابات عن فوز دعاة الاتحاد مع مصر (أي شكل مـن أشكال الاتحادات بل أي رباط يوحد بين الشعبين العربيين المصري والسوداني) ومـع أن الاغلبية الساحقة مـن أعضاء البرلمان الاول سنة ١٩٥٤ كانت للنواب الذين اختارهم الشعب على أساس الاتحاد الا أن ذلك البرلمان قرر استقلال السودان التام استقلالا لا تربطه بمصر أية رابطة دستورية ولا بد لي هنا من الاشارة الى أن تأييد ذلك البرلمان (الاتحادي) للاستقلال واعراضه عن اختيار أي رباط يربطه بمصر أمـر يبدو غريبا ومدهشا الا أننا نعلم السر في هذا الموقف ومن الخير أن يعلمه الجميع الآن وذلك أن البريطانيين أكدوا أنهم لايسمحون للسودان بنيل استقلاله اذا اتضح لهم أنه سيرتبط بمصر في شكل وحدة أو اتحاد أو أي رباط دستوري يربطه بمصر أمـا اذا تأكدوا من أنه بعيدا عـن مصر فانهم يرحبون باستقلاله وسيخرجون منه بطوعهم واختيارهم ويسلسون شؤونه للسودانيين وما ان استوثق الحزب الوطني الاتحادي من تصميم الانجليز على ذلك حتى وقف جميع النواب مع الاستقلال البعيد عـن أي ارتباط بمصر بعضهم وقف

مقتنعا بأن الاستقلال التام خير للسودان من آي نوع من الارتباط بمصر فهو يرفض أن يعطي لرأي الناخبين اعتبار وبعضهم رأى ان من التكتيك السياسي البارع أن يقف مع الاستقلال ليضطر الانجليز على الخروج من السودان ثم بعد استقلال السودان يمكن اعادة النظر في الامر والرجوع الى وحدة وادي النيل فلم يقف مـع الاتحاد بمصر الا الاستاذ المرحوم محمد نور الدين حفاظا على مبدأه فوقف منفردا الى جانب مبدأه في شجاعة واخلاص ثم بعد استقلال السودان ظلت فكرة الاتحاد تتأرجح بين القوة والضعف فكلما قوي نفوذ حزب الامة انكمشت عاطفة الاتحاد وتبع ذلك تقلص في التعاون بين القطرين وكلما تضاءل نفوذ حزب الامة وارتفع صوت الحزب الوطني الاتحادي قوي شعور الاتحاد مع مصر وامتد التعاون بين القطرين الى ميادين فسيحة فلما ظهرت مشكلة فلسطين وتأزمت الاحوال في الشرق الاوسط فاض شعور السودان نحـو الوحدة العربية وظهـر الشعور المكبوت في طيات نفوس الشعب السوداني مـن جراء العوامل الاستعمارية العميقة الجذور ومن جراء ما بذله حزب الامة في ظروف كثيرة من اثارة عوامل البغضاء والكراهية بين الشعبين فـرت الدعوة الاتحادية وتطورت فبعـد أن كانت محصورة في وادي النيل أصبحت ترمي الـى الوحدة الشاملة واسترجاع الارض السليبة جميعها وبلغ الشعور بضرورة الوحدة يسري في أوصال الشعب وينتظر الخطوة العملية لتحقيق نوع من الوحدة أو الاتحاد فلما قامت ثورة مايو الاشتراكية بدأ الشعور ينكمش ويتقلص بالرغم من أن الوحدة العربية من بين الاهداف التي قامت الثورة لتحقيقها ورفعت شعارها مـن أول يوم قامت فيـه الثورة وما زال ذلك الشعور يزداد انكماشا وتقلصا الى يومنا هذا ويبدو لي أن السبب في ذلك ما يجده الشيوعيون من نفوذ في الحكم فهم بلا شك من أعداء الوحدة العربية ومن أعداء القومية العربية • فما داموا ملتفين حول الثورة فان اتخاذ أية خطوة نحو الوحدة تبدو متعسرة مع اقتناعنا جميعا بأن الثورة

تنادي باخلاص لتحقيق الوحدة ولكن الدعوة وحدها لا تحقق غرضا ولا تجدي سبيلا فالعبرة بالتطبيق ولا احسب ان التطبيق مستطاع مع هـذا الحصار الشيوعي الا اذا تنبهت الثورة وتخطت هذا الحصار بما تمتاز به من قفزات ثورية ــ فمن واجب الثورة الآن ــ وعلى أي حال ــ أن تقوم أثناء هذه الاشهر الستة بعمل جاد لتحقيق فكرة الوحدة واستعادة الشعور بها بين طبقات الشعب تمهيدا لاية خطوة في طريق الوحدة قد تفرض نفسها على الظروف .

٨ ــ بعد انتهاء الستة الاشهر تقدم الثورة للشعب مسودة الميثاق الوطني لمناقشته في حوار مفتوح وحرية كاملة وتنشر مسودة الميثاق على نطاق واسع ليبدي المواطنون آراءهم واقتراحاتهم ويعطوا مـدة كافية تمكن كل مواطن في كل بقعة من أرض الوطن من الاطلاع على المسودة ومن ايصال رأيه ومقترحاته للمسئولين .

ثم يعاد النظر في مشروع الميثاق ليعدل حسبما أبديت حوله مـن ملحوظات ليجيء معبرا عن ارادة الشعب حائزا على موافقته ورضاه ثم بعد ذلك يطلب من الشعب الالتفاف حول ذلك الميثاق فيتكون الحزب الواحد ويوضع له النظام الذي يبرزه حزبا متكاملا . روحه ودستوره هذا الميثاق الذي ارتضاه الشعب ، وجسمه ومادته هذه الجماهير التي استجابت الى النداء والتفت حول الميثاق ، وعقله وقوته المحركة المؤسسات التنظيمية التي تحددها ما يوضع له من لوائح وما تسفر عنه تلك التنظيمات مـن اختيار دقيق للقادة الذين يديرون شئون البلاد .

تلك هي الخطوات التي سيتم بها التنظيم الشعبي المطلوب .

ملاحظات على الثورة :

يجدر بنا قبل أن نبدي ملاحظاتنا على ثورة مايو الاشتراكية أن نستهل الحديث بالخطاب العظيم الـذي أذاعته الثورة صبيحة ٢٥ مايو ١٩٦٩ وهو الخطاب الذي يحـدد أهدافها ويضع المعالم البارزة علـى طريقها . هذا الخطاب الذي يعتبر بحق الدستور الاساس للثورة وهو دستور اشتراكي عربي بعيد كل البعد عن الشيوعية وحتى عن الاشتراكية الماركسية ليكون نقدنا مبنيا على أساس سليم :

« نص الخطاب »

٢٥ مايو ١٩٦٩ البيان رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ان بلادنا الحبيبة لم تنعم بالاستقرار منذ اعلان استقلالها في ١٩٥٦ وكان ذلك ـ مواطني ـ مرده سلسلة من المآسي تضافرت فيهـا عوامل الفساد وذلك من الاحزاب المختلفة على مقدراتنا فتحول الاستقلال على أيدي الحكومات المتعاقبة الى مسخ قبيح ونظرة فاحصة الى الاقطار التي نالت استقلالها بعدنا لكفيلة بان توضح مدى التقدم الذي أحرزته تلك الاقطار في كافة المجالات ولم يكن ذلك بسبب سبقها لنـا في مجال العلم والمعرفة أو بسبب تخلفنا عنها في وضعنا الاقتصادي ولكن لان تولي أمرها منذ استقلالها رجال آمنوا بوطنهم ايمانا صادقا بوحي من ذلك الايمان الصادق عقدوا العزم على أن يعيدوا صنع الحياة في بلادهم . أمـا نحن في السودان فقد ظللنا نسير الى الوراء لانه تحكمت فينا أحزاب عجزت عـن ادراك مفهوم الاستقلال وكان الاستقلال في نظرها علمـا ونشيدا وسفارات ومؤتمرات لا وسيلة لتغيير حياة الامة واسعاد أبناءها . وانطلاقا

من هذا المفهوم الخاطىء لم يكن هم الاحزاب المختلفة الا أن تتسلل الى مواقع الحكم ثم تمسك بزمام السلطة لمصلحتها الخاصة دون اعتبار لمصلحة الشعب فعم الفساد والرشوة كل أجهزة الدولة فاختل الامن الداخلي وفتحت أبواب البلاد للنفوذ الاجنبي وتسللت قوى التخلف والرجعية الى بلادنا . تسللت لتساند تلك الاحزاب بكل امكانياتها مدركة أن بقاء كل منها متوقف على بقاء الآخر فأحزابنا السياسية تدور أبــدا في فلك الاستعمار ممتثلة لاوامره منفذة لارادته والاحتفاظ به في أسفل درجات التخلف ولا تهدف الا الى الفوضى وعدم الاستقرار وفساد الحكم . هذا الترابط المصلحي هو الذي دفع الاحزاب والاستعمار للتآمر ضد هبة الشعب في أكتوبر ١٩٦٤ ودفع المستعمر وأعوانه الاموال بسخاء للاحزاب لتستعيد كيانها وتصفي الثورة وتسكت شعارات استنكار عودة الفوضى الحزبية ، تلك الشعارات التي رفعتها ثورة أكتوبر ونتيجة لذلك التآمر تم للمستعمر ما أراد وعادت الاحزاب الى الوجود بوجهها القبيح وكانت أكثر ضراوة وشغفا للسعي وراء المكاسب الحزبية على حساب المصلحة العامة وفي الجري وراء الثراء الحرام على حساب تقدم الشعب ورفاهيته .

لقد وضح جليا رفض الجماهير لهذه الحكومات الحزبية التي تعاقبت منذ أكتوبر عام ١٩٦٤ ، ورفضت الجماهير تلك الحكومات لانها حكومات قامت جميعها على الفساد والرشوة والحزبية والثراء الحرام فأفسدت الجهاز الحكومي وحولته الى آلــة طيعة لخدمة الوزراء والمحاسيب والاقارب والمؤيدين دونما أي اعتبار لمصالح أولئك الذين يقتطعون من عرقهم وقوت يومهم للحفاظ على كيان السلطة .. رفضتها لانها عبثت بدستور البلاد واستباحت لنفسها سلطة تعديله لسلب حريــة الآخرين تمشيا لمفاهيم في الديمقراطية التي تتنافى مع كــل المشاعر القومية وكل القيم والتطلعات الوطنية ... لقد أظهرت أنها تريد أن ترى السودان يحتل المكان الصحيح بين قوى الثورة العربية والافريقية ومرتبطا ارتباطا مصيريا بالامة العربية

مساندا ومؤيدا حقوق شعب فلسطين السليبة •• رفضتها لانها عجزت عن مناهضة الدول الاستعمارية الواقفة وراء اسرائيل وعلى الوقوف ضد التسلل الصهيوني الى افريقيا وعن حماية حدود الارض السودانية من نتائج ذلك التسلل حتى هان السودان على كل طامع في تفتيته فهب أبناء الاستعمار والصهيونيين من كل جانب يستحلون حرماته ويستبيحون دماءه •• رفضتها لانها تريد أن ترى حلا حاسما للمشاكل الاقتصادية التي لم تزدها الاحزاب الا تعقيدا بسبب سوء تصرفها في الاموال العامة وفي تبديد الارصدة الخارجية وفي رفع مستوى الاستهلاك وازدياد حدة الغلاء وفي اللجوء الى القروض الاجنبية المشروطة لموازنة ميزانياتها مع اهمال جانب الانماء والتعمير •• رفضتها لانها عجزت عن تفهم المشاكل الاجتماعية وشجعت على الهجرة للمدن على حساب القرى فأضرت بالقوى الانتاجية في ميدان الزراعة وقضت على أمن المدن وصحتها ونظامها بسبب الهجرة العفوية للوافدين الذين لا مأوى لهم ولا عمل •• رفضتها لانها عجزت عن حل مشكلة الجنوب وجمدت كل الوسائل التي بذلت لحل هذه المشكلة حلا يعيد الطمأنينة والاستقرار الى ذلك الجزء من وطننا الحبيب ويصون للسودان وحدته وكرامته •• رفضتها لانها حولت الحركة النقابية من حركة شعبية تعمل لمصلحة أفرادها والترقي في مصالحهم الى أجهزة حزبية تعوق كل مسعى لمعالجة المشاكل العمالية المستعصية •• لكل هذه الاسباب رفضت الجماهير تلك الحكومات وبدأت تتطلع الى تغيير جذري في نظام الحكم مدركة أن السودان الحديث لم يخل في يوم من الايام من فئة قيادية تعرف أين تكون مصلحة وطنها مستعدة دائما وأبدا أن تبذل كل غال ونفيس في سبيل تحقيق تلك المصلحة وعليه فقد اتفق قادة هذه الفئة المخلصة على انهاء هذا العهد عن طريق القوة وتولي أمر الجيش في هذه اللحظات رجال عاهدوا الله على التضحية بدمائهم رخيصة في سبيل اسعاد هذا الوطن وانضم اليهم من المدنيين رجال لم يتخلفوا يوما عن ركب الاخلاص

والوطنية وبفضل هذا اللقاء المبارك ستتولى الثورة من هذه اللحظة ادارة شئون البلاد مجردة من كل غاية الا مصلحة الوطن الحبيب وسعادة شعبه ورفاهيته مقتدية في ذلك كله بهدى مبادىء أكتوبر الخالدة رافعة شعارها مرددة أناشيدها ثائرة في نفس الطريق الذي رسمته .

ان قيادة الثورة لتطلب من المواطنين الكرام أن ينصرفوا الى أعمالهم كالمعتاد متيقظين في نفس الوقت الى أعمال المخربين من قادة الاحزاب وأعوانهم من المنتفعين بالعهد البائد وليعلم كل مواطن أن الثورة ستضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه الوقوف أمام تيار التغيير الجارف وانطلاقة الشعب الباسلة وحتمية التاريخ الذي لا يحابى وفي نفس الوقت فاننا نطمئن نزلائنا الكرام من الاجانب أن الثورة ساهرة على أرواحهم ومصالحهم وممتلكاتهم واموالهم وانها ستنزل أشد العقوبة على من يحاول العبث بأمن هؤلاء النزلاء أو استخراجهم هذا واننا اذ نهنيء الشعب بنجاح حركته هذه لنبتهل الى الله العلي القدير أن يجعل هذا العهد الجديد فاتحة خير وازدهار لهذه الامة الكريمة والله الموفق والسلام عليكم ...

ان كل وطني مخلص استمع الى هذا الخطاب الضافي الذي وضح طريق الثورة ووضح المعالم البارزة على ذلك الطريق وحدد الغايات التي تتجه اليها البلاد وهي تسلك ذلك الطريق المستقيم الواضح ان كل وطني مخلص استمع الى هذا الخطاب لا يسعه الا ان يؤيد الثورة ويقف الى جانبها ويضع يده في يدها وأعتقد أن المواطنين قابلوا الثورة بعد سماع هذا الخطاب بحماس عظيم ولكنهم بعد فترة ليست بالطويلة بدأ الكثير منهم يفكر في الامر ويعيد النظر في موقفه فقد تألفت الحكومة من عناصر متناقضة بعضها يساري أحمر اللون وبعضها يميني أسود اللون ثم أخذت التعديلات الوزارية تتوالى وهي متمسكة بهذا التناقض الذي قابله المواطنون بالحيرة ثم أعلنت الثورة بكل لسان أن الحكومات السابقة من يوم أن استقل السودان والى حين قيام الثورة لم تقدم للبلاد أي خدمة

بل ظل السودان مهملا لا يعرف شيئا من الخدمات والاصلاحات وظل يتمرغ في أوحال الفساد وانعزل عن العالم فأوصد أبوابه فلم يتصل بالعالم المتحرر ولا بالمؤتمرات التقدمية ولم يسمح لمنتجاته أن تجد طريقها للاسواق الخارجية ولا سمح للاقطار المتحررة أن تتعامل معه الى أن جاءت الثورة فوجدته مغلق الابواب غارقا في أوحال التأخر والفساد فانتشلته •

استمع المواطنون لهذا الحديث الذي ظل يتردد في الصحف والاذاعة وفوق المنابر وفي التجمعات الشعبية فوقفوا موقف الحائر الذي لم يجد بدا من تصديق منطق الثورة والتشكك في معلوماته الماضية مهما كان متأكدا من حقيقتها وصدقها حتى لا يعتبر من عناصر الثورة المضادة والواقع أن الثورة لا بد لها من هذا المنطق فقد قامت لتبني بناءا جديدا يختلف كل الاختلاف عن الابنية السابقة فلا بد لها من تهديم القديم والحكم بأنه غير صالح للبقاء مهما كان موقف ذلك القديم ومهما كانت صلاحيته ولهذا تجد دائما أن منطق الثورات في كثير من الاحيان وفي كثير من البلاد يختلف كل الاختلاف مع منطق التاريخ بل ويناقضه فيصمت التاريخ وتنطلق الثورة تؤكد منطقها وتدعمه بكل وسائل الاعلام حتى اذا ما هدأت الاحوال واستقرت الثورة وأصبحت ليست في حاجة الى هذا الاسلوب ، بدأ التاريخ يتكلم بلغة الواقع التي تعطي القديم حقه ولا تبخس الجديد نصيبه واثقا من أن الاعتراف ببعض البناء القديم الصالح للعمران وابقاءه لمصلحة المجموعة لا يضير البناء الجديد الشامخ الاركان الوارف الظلال ففي المصلحة العامة متسع للجميع - ثم سلكت الثورة اثناء مسيرتها التي لم تتجاوز السنة والنصف مسلكا اشتراكيا لكنه في كثير من الاحيان يسير على منهج الاشتراكية الماركسية ويجافي الاشتراكية العربية فالاشتراكية الماركسية اشتراكية مرحلية مهمتها أن تحدث تغييرا أساسيا في المجتمع فتقلبه رأسا على عقب فتأخذ بيد طبقة العمال التي وجدتها في الخط الاسفل للهرم الشعبي لتضعها في قمة الهرم وتطيح بأولئك الذين كانوا في

القمة لتجعلهم أسفل سافلين ولا شك أن مثل هذا التغيير لا يمكن أن يتم في فترة قصيرة والا بأسلوب عنيف ونوع من الارهاب قد يصل الى اراقة الدماء فلا تعيش هذه الاشتراكية المرحلية الا في ظل الديكتاتورية الثورية الرهيبة أما الاشتراكية العربية فهي الغاية التي يسعى الشعب الى وصولها لذلك ليست هي في حاجة الى احداث التغيير العنيف الذي يقلب الاوضاع بين عشية وضحاها بل من طبيعتها الدراسة الهادئة والتغيير المتدرج دون عنف أو ارهاب وسلوك الديمقراطية التي تجعل الشعب مقتنعا بخطوات التغيير قادرا على أن يخطوها في اتزان وتمهل •

واذا قيل ان الاشتراكية العربية في مصر بدأت مسيرتها بهذا الاسلوب العنيف فهناك فارق كبير بـين حالة مصر قبيل الثورة الاشتراكية وحالة السودان قبيل ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ فقد كانت في مصر عائلة مالكة غارقة في الترف والنعيم وطبقة من الباشوات الاقطاعيين وعدد من اصحاب المصانع والمتاجر الرأسمالية وكـل هؤلاء يعيشون في ترف بالغ وهم عاطلون لا يمارسون عملا الا اصدار الاوامر واحتقار طبقات الفلاحين والعمال الذين يكدون ويكدحون ويعرقون ويتعبون ولا يجدون من العيش الا فتات الموائد وتذهب ثمرات أعمالهم الـى موائد الامراء والنبلاء والباشوات وأصحاب المصانع والمتاجر فكان لا بد من تخفيض هذه الطبقة ورفع تلك الطبقات وذلك يقتضي بالطبع نوعا من العنف على أن الثورة المصرية لـم تمارس العنف الذي تقتضيه هذه الفوارق العظيمة بل تركت بعض هذه الثروات في أيدي أصحاب الاملاك وأصحاب المتاجر والباشوات والامراء بحيث يستطيع كل منهم ان يعيش في الحدود المعقولة لعيشة كريمة أمـا في السودان فليس هناك ملوك ولا أمراء ولا باشوات بل ولا اقطاعيين أو رأسماليين بالمعنى المعروف لهذه المسميات وحتى البيوتات التي يمكن أن يقال أنهـا يمكن أن تحسب مـن الطبقات الاقطاعية أو مـن البيوتات الرأسمالية فان عددها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة وان أغلب ثروتها من

سلفيات البنوك وأغلب ممتلكاتهـا مرهونة للشركات والمصارف فكانت العدالة تقضي بضرورة التحقيق مع كـل من تحوم حوله هذه الشبهات للتأكد من ثبوت استحواذه على الاراضي والاموال بدون حق أو أكثر مما ينبغي كما كانت العدالة تقضي أيضا بترك جزء من ذلك المال أو تلك الارض له حتى يعيش محفوظ الكرامة ما دام لم يثبت أنه سرق أو هرب ذلك المـال .

فهذه المصادرات التي شملت الاجانب والوطنيين والتي لـم تعط الفرصة لنوع من التحقيق يخضع الاتهامات لميزان النفي والاثبات وهذه الاوامر « الدستورية » التي تجعل العقوبة في كثير من الاخطاء الاعدام والمصادرة وهذه أقصى ما يتصوره عقل من العقوبة وليس من المعقول أن تصل كل الاخطاء الى هـذه الدرجة التي لا تتمشى معها عقوبة للسجن والغرامة بـل ولا يتمشى معها عقوبة الاعدام وحده أو المصادرة وحدها يمكن واعتبرها ضرورية ومقبولة لو كنا شيوعيين نسلك طريق الاشتراكية الماركسية المرحلية التي لا بد لهـا في هذه المرحلة أن تسلك طريق العنف للانتقال بسرعة الى مرحلة الشيوعية ولكن الشعب مقتنع من سماعه لخطاب الثورة الاول انه يسير في طريق الاشتراكية العربية وان البلاد بوصولها لهذه الاشتراكية تكون قد وصلت نهاية الشوط ـ ولو علم الشعب أنـه يسير الى طريق الشيوعية لرفض المسير كما فعل الشعب المسلم في أندونيسيا فقد سار سيرا حثيثا في طريق الاشتراكية وراء زعيمه الاشتراكي سوكارنو الـذي أراد أن يستعين بالشيوعيين ليحدث التوازن حتـى يتغلب على الرجعية فترتفع البلاد الى مستوى الاشتراكية غير أن الحزب الشيوعي الاندونيسي سلك نفس السبيل الـذي يحاول سلوكه الحزب الشيوعي السوداني فانحرف نحو الاشتراكية الماركسية فلما اكتشف الشعب فجأة ان الثورة انحرفت به الى طريق الشيوعية رفض المسير واطاح بالمنحرفين ولا يستطيع الانسان أن يعرف هل سيرجع الشعب الاندونيسي الى طريق

الاشتراكية المتزنة أم سيرجع به رد الفعل الى مهاوي الرجعية واغلب ظني أن الطريق الثاني هو مصير هذه النكسة •

ويقول بعض الزملاء أن الاشتراكية في الفلسفة الشيوعية خطوة مرحلية تتلوها الخطوة النهائية وهي الشيوعية وان الاشتراكية العربية التي يقولون أنها ليست مرحلية بل هي نهاية الشوط تتفق مع الاشتراكية الماركسية أثناء هذه المرحلة اشتراكا تاما ولا اختلاف بين الاشتراكيين في هذه الفترة ، بل يأتي الاختلاف في المرحلة الثانية التي تنتقل اليها الاشتراكية الماركسية وتتخلف عنها الاشتراكية العربية ولكن هناك فرق كبير بين الاشتراكيتين في هذه المرحلة فلا بد للاشتراكية الماركسية أن تحافظ في هذه المرحلة على بعض خصائصها وبعض العناصر التي تحتاج الى تنميتها للمرحلة التالية كما لا بد ان تتجنب بعض الخطوات التي تفضي بها فيما بعد الى الانحراف عن الشيوعية فمثلا الاشتراكية الماركسية لا بد أن تتجنب الاهتمام بالتربية الدينية التي تقود الشعب الى الايمان بالله والقضاء والقدر والبعث والنشور والعقاب والثواب في الحياة الآخرة لأن هذه التربية اذا تعمقت في نفوس الشعب لا يمكن أن تجد الشيوعية الى مجتمعه سبيلا وذلك بعكس الاشتراكية العربية التي تقوم اساسا على هذه التربية وعلى هذه العقائد •

صحيح ان الاشتراكيتين الماركسية والعربية تشتركان في الاسس الرئيسية الاقتصادية والاجتماعية ويعملان على التقريب بين طبقات الشعب وازالة أسباب الاستغلال والارهاب والسيطرة وتحرير الانسان من كل العوامل التي تنحرف بتفكيره رغبة أو رهبة ولكن لا بد أن يهتم كل واحد منهما بالعناصر المتمشية مع طبيعتها وتحارب العناصر التي تعوق مسيرتها ومن هنا يأتي الفارق بين الاشتراكيتين الماركسية والعربية في الفترة المرحلية للشيوعية •

والملاحظ أن الثورة بعد مسيرتها أكثر من عام وظهور التناقضات

التي أشرت اليها وهي تأليف حكومة الثورة مـن عناصر يمينية وعناصر يسارية مـع بعض العناصر المعتدلة وسلوك الطريق الذي لا يخلو مـن العنف والارهاب وسن بعض القوانين التـي تحمل روح الديكتاتورية الملاحظ أن الثورة أدركت أو سمعت هذه المآخذ فأرادت أن تؤكد للجميع أنهـا حريصة على الحفاظ على دستورها الاساسي الذي تضمنه خطابها صبيحة يوم الثورة سائرة في طريقه مصممة على عدم السماح بالانحراف بها يمنة ويسرة فألقى السيد الرئيس خطابا اضافيا في حفل التكريم الذي أقامته له القوات المسلحة وكان خطابا عظيما جدا وتأكيدا صريحا لالتزام الثورة السير وفق دستورها الاساسي ويزيد هذا الخطاب العظيم أهمية فوق اهميته انـه القي أمـام رجال القوات المسلحة منبع الثورة ومصدر الوحي للثورة وحماة الثورة من كل انحراف • فجاء الخطاب معبرا بحق عن تمسك القوات المسلحة بدستور ثورتها الاساسي مؤيدة رئيسها في كل كلمة اشتمل عليها ذلك الخطاب ، ولا بد لنا أيضا من تدوين المقتطفات الهامة من ذلك الخطاب التاريخي العظيم : ـ

وجاء في الخطاب :

ونفيت نفيا باتا وجود خلاف بين اليمين واليسار داخل المجلس ، لان اليمين ينعدم أساسا ولا وجود لـه • وفي اليسار يلزمني أن أوضح أن موقفنا ليس تائها ولا عائما ، وانما واضح ومحدد •

واننا عندما نقول اليسار لا نعني أننا نلتزم بكـل عقائد اليسار • وأقصى اليسـار المذهبية والاقتصادية والسياسية • بـل يجمعنا درب الاشتراكية العظيم وزمالتها الوطيدة هذا أولا ، وتجمعنا معاداة الاستعمار والامبريالية العالمية والصهيونية ، ويجمعنا مبدأ دعم الشعوب المناضلة من أجل الحرية ودعم قضايا الشعوب العادلة ودعم السلام العالمي ، والتعاون الاقتصادي والثقافي بما يحقق المصالح المشتركة للجميع •

ونختلف في اعداد البرامج والخطط الداخلية للبناء والتنمية وبرامج

الارشاد والتوعية الاجتماعية فالذي يصلح هناك لا يصلح هنا ، لان العادات والتقاليد والعقائد والتراث والمناخ والحضارة تختلف ، أي بعبارة دقيقة محددة لسنا مذهبيين أو عقائديين لزيد أو عبيد من فلاسفة الاشتراكية وقادتها في العصر الحديث بمعنى التعصب والايمان ، ولكننا نحترمهم كعلماء ومفكرين وقادة أضافوا لبنات الى صرح الاشتراكية القديم ، ونسجل أنهم وضعوا برامجا تفصيلية ناجحة لنهضة شعوبهم في هذا المجال ، أفادت بلادهم ، تلتمس منها البلدان الفائدة والنجاح .

أيها الثوار

في درب الاشتراكية لسنا مذهبيين ولا عقائديين في ذيل أحد ، لاننا نحترم تفكيرنا كشعب عريق واسع التراث ، هذا في المكان الاول . ونريد أن نأخذ من كل المذاهب الاشتراكية ما يفيد سوداننا ويوضح أسلوب شعبنا الخاص في ذلك ليصبح مع الآخرين تراثا للعالمين في دنيا الاشتراكية فنحن نرفض أن تظل الاشتراكية حبيسة ومقصورة على أسماء معينة من الفلاسفة والقادة . لان الاشتراكية شيء مقدس تأبى لها الاختناق والجمود . والدليل على صدق ذلك أن هذه النظريات تراجع في كل يوم ، وتنسخ أجزاؤها في كل يوم ، ويضاف اليها الجديد في كل يوم ، وان الحياة تمشي وان الفلاسفة والمفكرين لن ينقطعوا عن العمل ما دامت الكرة الارضية تدور وما دامت الاشتراكية تشرق مع الشمس .

ولسنا عقائديين ولا مذهبيين لاحد . لاننا أساسا عقائديين ومذهبيين بعاداتنا وتقاليدنا وعقائدنا الدينية ، فهي مذاهبنا التي بدأ منها ميلاد الاشتراكية ، فالمسيح عليه السلام عندما قال « تعالى الله في الاعالي وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة » كان يعمل ويدعو للكفاية والعدل ، فلا سلام بلا عدالة ، والمسرة تعني الكفاية فلا مسرة لمحروم .

وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . قد وضع النقط فوق الحروف وقال (الناس شركاء في الماء والنار والكلأ) فقرر اشتراكية الناس في الماء

وكلمة الماء واسعة تعني الشرب ، وغيره من جوانب الاستعمال ، وتعني الطاقة الكهربائية ومصائد الاسماك وكل ما فيها من حيوانات ذات نفع ومعادن واحجار كريمة ونفط وكل ما فيها من طرق مائية تسلكها السفن والبواخر • والكلأ ويعني مصادر الثروة الزراعية والحيوانية ، وكل مـــا يلزم صناعته وتصنيعه من الثروات • والنار تعني الطاقة المحركة والمنجزة لكـــل أنواع المنافـــع للطعام والتدفئـــة والصناعة والتعدين والزراعـــة والمواصلات وغيرها ، فالناس شركاء فيها أيا كان مصدرها من الفحم أو الحطب أو الذرة او البترول او غيرها • ومنها تعلم عمر بن الخطاب فأمم وادي مخزوم عندمـــا شحت الامطار في البوادي وفتحـــه كمرعى لجميع القبائـــل •

ومن هذه التعاليم فتح بيت المال فكان أول بنك مركزي في العالم لدعم الطبقات الكادحة والفقيرة من عامة الشعب •

هؤلاء هم قاعدة الاشتراكية التي انطلق منها المفكرون والفلاسفة حتى كان هذا البناء الذي نراه اليوم • فقد بشروا لهذه المبادىء ودعوا اليها بالروحيات وأيدوها بالمادة • فنحن مؤمنون ننظر الى المادة من خلال الروح ونستثمرها من أجل حياة أفضل وفق هذه الاخلاق • هذه هـــي عقيدتنا وهذا هـــو شعبنا ، وهذه عقائد ومذاهب شعبنا الغنية بالتراث السماوي والاجتهادي والقياسي ومنها ننطلق ، ومنها نهضم الحضارات والثقافات الانسانية الواسعة ومن كل هذا ومن جذور حضارات وواقع شعبنا نختار طريقنا وسبيلنا في دنيا الاشتراكية ونحدد زاويتنا في اليسار •

أيها الزملاء البواسل

حملني على كل ذلك أن أوضح لكم الرؤية فنحن في مجلس قيادة الثورة على عهدكم وعلى مبادىء ثورة مايو وعلى عهد الملايين الغفيرة التي خرجت تدعم الثورة وتناصرها وضعت يدها في يدنا ، وأودعتنا تاريخها وكفاحها أو تقاليدها وعقائدها ، وحضارتها وتراثها ولهذا السبب لـــن

نختلف ، ولن نخون الشعب وسلاح الشعب وان هذه المبادىء ستبقى من أجل الثورة ومن أجل حياة أفضل لهذا الشعب ومن أجل مستقبل زاهر زاخر لاجياله هذا رأى المجلس وهذا هو اتجاه المجلس ، ومبادىء المجلس التي اجمع عليها قبل الثورة وازداد ايمانا بها واصرارا عليها بعد الثورة ولن يضيره الهمس المريض فالزحف الثوري يتقدم بنور الله وهدي الشعب البطل وثقوا ان كل الشوائب على البساط العام في حياتنا ستصفى ، وان كل الحاقدين والثرثارين الحمقى والمتسلقين وذوي المنافع وهواة السلطة والارهاب ، سيسقطون في الطريق ، ولن يبقى الا من هو قادر على حمل راية الثورة عن ايمان وصدق وعمل وانتاج •

وجاء في نفس الخطاب :

والحقيقة الثانية وهذا أهم المواضيع ، اصرارهم وتمسكهم بوحدتهم الوطنية وعدم سماحهم لاي مـن التيارات والافكار المذهبية والعقائدية واختلاف وجهات النظر ، أن تطفو وتأخذ شكلا يهدد كيان الوحدة الوطنية أو يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على الانتاج فهذه أشياء مقدسة لديهم ، الوحدة الوطنية والانتاج وتجدهم في كل دولة يسمون الجهاز الحاكم الذي يضم جميع العناصر الممثلة لفئات الشعب اسما يدل على وجه وحدة الشعب فهناك من يسمونه : مجلس السوفييت الاعلى وآخرون يسمونه المجلس الوطني ودولة أخرى تسميه رابطة التحالف الاشتراكي وهكذا •

وكما لاحظ الشعب أن مسلك الثورة بعد دستورها الاساسي الذي تضمنه الخطاب الاول قد بدأ ينحرف نحو اليسار المتطرف وان الشيوعيين قد ضربوا نطاقا حول الثورة وعزلوها عن العناصر الوطنية وأوهموها أن كل العناصر غير الشيوعية انما هي ثورة مضادة ثم جاء الخطاب الاخير ليبدد تلك السحب القائمة حتى تتضح الرؤية للجميع فيطمئنوا على الثورة الحريصة كل الحرص على عدم الانسياق وراء الشيوعيين الـى اليسار المتطرف بنفس القدر من حرصها على عدم الانحراف نحو اليمين الرجعي

وانها ملتزمة بخطها الاشتراكي العربي الذي تضمنه دستورها الذي أعلنته في خطابها الاول ــ ولكن الشعب كما لاحظ هذه الملاحظة بعد الخطاب الاول لاحظ الآن وبعد الخطاب الثاني أن الثورة لا تزال متأرجحة في سيرها غير قادرة على تجنب الانحراف نحو الشيوعية مما جعل الكثيرين • يقفون موقف الحيرة أمام علامة استفهام كبيرة لا تزال مفتقرة الى الجواب•

نحن في ثورة عربية اشتراكية ــ تلك هــي الاهداف المعلنة والتي تتمسك بها الثورة وتعلنها في كل ميدان وعلى كل لسان ولكننا نسلك سلوكا متأرجحا يغلب عليه السلوك الماركسي أو على الاقل يتخلله ذلك السلوك شكلا وموضوعا فالى أين نحن سائرون ؟ هل نسير على طريق الاشتراكية العربية المنبعثة من واقعنا ودينا وتراثنا أم نحن سائرون على طريق الاشتراكية الماركسية التي ستفضي بنا الى الشيوعية ؟

تقييم ثورة مايو الاشتراكية

لا بد لمن يقرأ هذا الكتاب أن ينتظر مني أن أضع بين يديه صورة متكاملة لثورة مايو الاشتراكية التي يحوم حولها كل ما دون بهذا الكتاب من آراء وتعليقات • ولكني أعترف بأنه ليس في مقدوري أن أقيم الثورة تقييما كاملا يحدد ابعادها ويتتبع جذورها ويسبر غورها لان هناك جوانب خفية على زوايا أجهل ما تخفيه وراءها من اقوال وافعال • وبحسب القارىء أن يعلم اني أجهل ما يدور داخل القوات المسلحة من أفكار وتيارات فقد كنت حريصا على الابتعاد عن الخوض في شؤون الجيش الا ما يتناوله البحث والدرس داخل مجلس الوزراء أو داخل مجلس الدفاع من الشؤون الرسمية الداخلة في اختصاص هذين المجلسين وكان من رأيي أن من مصلحة الجيش نفسه أن لا ينغمس في التيارات السياسية والصراعات الحزبية وكنت أتألم من سلوك بعض السياسيين الذين يرون ضرورة الاتصال بالقوات المسلحة لتأييد سياستهم أو لمناهضة سياسة خصومهم بحسب القارىء أن يعلم ذلك ليعذرني اذا قلت اني لا أستطيع تقييم الثورة تقييما جامعا مانعا ما دام العنصر الرئيسي في تقييم هذه الثورة هو القوات المسلحة وموقفي منها هو ماشرحت ولكني ملم الماما كبيرا بكل ما يحيط بالثورة في المجالات الشعبية والتيارات السياسية والاسباب التاريخية والصراعات الحزبية والتدخلات الاستعمارية لذلك فان في مقدوري أن أضع أمام القارىء صورة أعترف كما قلت آنفا ـ انها غير متكاملة ـ ولكني أؤكد أنها قريبة من الكمال لان مراقبة التطورات وتتبع ما يدور في

المجتمعات والاوساط سـواء في المجالات الرسمية أو المجالات الشعبية وتفاعل الاحداث ورصد التحركات الاستعمارية في داخل السودان أو خارجه وما يقوم به عملاء الاستعمار كل ذلك لا بـد أن يلقي الاضواء الكاشفة على كثير من الزوايا والمنحنيات فتنكشف أمام السياسي الذي يعيش وسط تلك التطورات حقائق كثيرة وأحداث مثيرة تجعل في مقدوره رسم الصورة القريبة من الكمال •

وينبغي ـ قبل ان نسترسل في الحديث ـ أن نوضح بجلاء أن هناك فرقا كبيرا بين الانقلاب والثورة والانتفاضة الشعبية ـ فالانقلاب أن تقوم جماعة عسكرية أو مدنية فتقفز في غفلة من الزمـان الى مواقع السلطة بطريقة أو أخرى دون أن يكون لديها خطة مرسومة أو تخطيط متفق عليه لتحقيق مصلحة عامة للشعب بل كل ما ترمي اليه تلك الجماعة هو الحكم والتسلط وغالبا تحاول تلك الجماعة عندما تجلس على كراسي الحكم أن توهم الشعب أنها انما تقوم بحركة اصلاحية وانها جاءت لخدمة الشعب وتحقيق مصالحه ولكن سرعان ما ينكشف أمرها أمام الشعب مهما كانت تلك الجماعة المتسلطة ذكية ومقتدرة فالشعب أشد ذكاء وأعلى مقدرة ـ والانتفاضة أن يشعر الشعب بغبن شديد وظلـم مستحكم واهمال بالغ ويتلفت فلا يجد أمامه تنظيما أو جهازا يوجهه ويقوده فيثور ثورة عارمة غير مركزة ولا منظمة فيطيح بالحاكمين الذين أرهقوه وظلموه ثم يتلفت فلايجد أمامه خطة ولا برنامجا ويتخبط فلا يجد من بنيه قائدا ولا زعيما ولا موجها وفي هذه الحال قد يبادر فرد او جماعة فيتسلم السلطة ولكنه يعجز عن السير بها خطوات فتجمع الرجعية او الاستعمار او هما معـا فتزيح ذلك الثائر العفوي عن الطريق وتعود الحياة الى ما كانت عليـه قبل الانتفاضة من سوء وفساد • والثورة ان يشعر الشعب شعورا قويا بان احواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية قد ساءت ولا بد مـن اصلاحها ويشعر ايضا ان الجالسين على مقاعد السلطة لا يريدون اصلاح

تلك الاحوال اما عامدين او عاجزين فتصدى فئة من ذلك الشعب لاحداث تغييرا اساسي في حياة ذلك الشعب لتنشله من ذلك السوء وتضع اقدامه على الصراط السوي ليتجه الاتجاه الصحيح ويسير قدما الى تحقيق اهدافه وتكون هذه الفئة على اهبة الاستعداد للوثوب الى مواقع السلطة حينما يتهيأ الجو وتساعد الظروف • وبمجرد وثوب تلك الفئة الى كراسي الحكم يسارع الشعب بالالتفاف حولها وحمايتها وبذل كل طاقاته لتنفيذ توجيهاتها ــ وقد مارس السودان منذ استقلاله هذه التحركات الثلاث ــ فحركة الجنرال عبود وصحبه انقلاب دون ادنى شك • وهو انقلاب فريد في نوعه فهو في واقع الامر انقلاب مدني جاء في ثوب عسكري فمن المؤكد ان اتفاقا تم في جنح الظلام بين كبراء بيت المهدي وزعماء حزب الامة وبعض كبار ضباط الجيش والسفير الامريكي بالخرطوم والسفير الامريكي بالقاهرة بأن يسلم رئيس الحكومة السيد عبد الله خليل مقاليد الحكم للجنرال احمد عبود وصحبه وتمت عملية التسليم والتسلم بموافقة ورضاء رئيس الحكومة عبد الله بك خليل قبيل فجر ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٨ في شكل انقلاب عسكري منظم وحصل كل ذلك لا لضرورة تغيير في حياة الشعب بل لاحساس هؤلاء المتآمرين ان الحكم سينتقل من عبدالله خليل وحزب الامة الى ايدي رجال الحزب الوطني الاتحادي ورجال حزب الشعب الديمقراطي مؤتلفين فجاء هذا الانقلاب منعا لحدوث التغيير المتوقع وابقاء للحكم في أيدي الرجعيين فليس وراء هذه الحركة الا الابقاء على الحكم الرجعي واستمراره ــ وفي اكتوبر سنة ١٩٦٤ ضاق الشعب ذرعا بالحكم الدكتاتوري العسكري ولاقى عنتا ومشقة حتى عيل صبره وتلفت فلم يجد تنظيما او جهازا او قائد فانتفض انتفاضة المظلوم المغلوب على امره الذي سدت امامه المنافذ فضاقت عليه الارض بما رحبت فكانت تلك الانتفاضة فيضانا غمر الشوارع والميادين واضرابا شمل المصانع والمزارع وهجوما تخطى الحواجز والمتاريس فوجد الجيش الحاكم نفسه

محاطا بالشعب الاعزل فلم يكن امامه الا التسليم وتقدمت الانتفاضة بعد انتصارها وهي في حيرة من الامر فليست هناك خطة وليست هناك فكرة فعمدت الى بعض المواطنين دون تمييز او اختيار وسلمتهم زمام الحكم فلم يستطيعوا حمل الامانة ولم يقدروا على تحمل المسؤلية لانهم لم يعدوا لها عدة ولا وضعوا لها خطة ولا حسبوا لها حسابا فانقضت الرجعية عليهم وازاحتهم دون عناء عن مقاعد السلطة في ساعات معدودات. وعادت الحياة الى سيرتها الاولى فتجمعت الاحزاب التي سبق ان جمدت حكومة عبود نشاطها وتحركت التنظيمات الشعبية والمنظمات الفئوية وتجمع الضباط والجنود الاحرار وبدأت كل هذه الهيئات تتحرك سرا وجهارا في طرق متعارضة فاشتدت الصراعات وكثرت المؤامرات وانتشرت الاشاعات وتبرم الشعب واستولى عليه القلق فتقدمت طلائع الضباط الاحرار في غسق الليل واحتلت مقاعد السلطة بقوة السلاح وما كادت تشرق الشمس حتى اعلنت الثورة اتجاهاتها العربية ودستورها الاشتراكي ثم شرعت في تنفيذ ذلك الدستور والسير في ذلك الاتجاه العربي فهي ثورة عربية اشتراكية جاءت نتيجة عمل وطني متصل الحلقات اشترك فيه وطنيون مخلصون عديدون اغلبهم من رجالات الاحزاب السابقة وتضافرت على تكوينه جميع قطاعات الشعب وامتدت جذوره القريبة الى ثورة اللواء الابيض سنة ١٩٢٤ بل غاصت تلك الجذور الى الاعماق الى اول تجمع عربي حول مدينة اسنار في ايام السلطنة الزرقاء.

ذلكم هو الوضع العام للثورة الاشتراكية وما سبقتها من انتفاضة شعبية ومن انقلاب رجعي ـ ولكن تقييم الثورة في اطار هذا الوضع العام يقتضينا ان نطرح السؤال الاتي لان في الاجابة عليه فتح النافذة التي تمكن القاريء من رؤية ملامح الثورة والسؤال هو :

هل قامت هذه الثورة نابعة من تنظيم شعبي ضم جماعة من المدنيين وجماعة من العسكرين في طليعتهم هؤلاء الذين فجروا الثورة ؟؟ أم قام بها

هؤلاء العسكريون منفردين ومن تلقاء انفسهم لاحساسهم بسخط الشعب وتذمره ورغبته في تغيير احواله واصلاح شؤونه ؟؟

يقول بعض المراقبين السياسيين ـ ان هناك تنظيما سريا داخل القوات المسلحة وهو المعروف بتنظيم الضباط الاحرار وهو الذي حال بين قوات عبود وبين اطلاق النار على الثوار في انتفاضة اكتوبر وهو الذي قام اثناء الحكم العسكري الدكتاتوري بحركة ثورية ترمي الى تخليص الشعب من تلك الدكتاتورية ولكن تلك الحركة الثورية باءت بالفشل فراح ضحيتها خمسة من خيرة الضباط هم البكباشي علي حامد والبكباشي يعقوب كبيدة والصاغ عبد البديع علي كرار واليوزباشي طيار الصادق محمد الحسن واليوزباشي عبد الحميد عبد الماجد وسجن وشرد بسبب تلك الثورة جماعة من الضباط واخيرا استرد الضباط الاحرار موقفهم واعادوا تنظيمهم وارتبطوا بتنظيم شعبي من المدنيين وخططوا معا للثورة الاشتراكية فلما تهيأ الجو وثبوا الى مواقع السلطة بالقوة ـ ولكن لسائل ان يسأل ـ واين ذلك التنظيم الشعبي المدني الذي تعاون مع اولئك الضباط ؟؟ ان التنظيمات الشعبية التي كانت قائمة قبيل الثورة كانت معروفة لدى الجميع وليس من بينها تنظيم ارتبط بالقوات المسلحة فيما تعلم فقد يتم الارتباط سرا مع فرد او افراد محدودين من الاقارب او الاصدقاء في الخفاء اما ان يتم تنظيم على نطاق التنظيمات الشعبية كالاحزاب او الاتحادات او النقابات ويبقى قائما في الخفاء فامر يناقض طبيعة الاشياء في مجتمعنا السوداني •

ويقول بعضهم • ان الثورات التي قام بها الشيوعيون في كثير من البلاد كان يسبقها دائما تنظيم حزبي شيوعي ويعمل ذلك التنظيم في خطين خط يتجه نحو العمل في تأسيس وتقوية التنظيمات الحزبية كتكوين اللجان وتعيين وتدريب الكوادر وتوسيع القاعدة الشعبية للحزب الشيوعي وتسرب كوادره داخل القطاعات الشعبية المختلفة وخصوصا

داخل القوات المسلحة من جيش او بوليس ـ والخط الثاني يتجه نحو تهيئة جو مليء بالقلق وعدم الاستقرار فيقوم بتدبير المؤامرات وخلق الاكاذيب ونشر الاشاعات وتوجيه الشكوك والاتهامات الى غير ذلك مما يجعل البلاد في فوضى وارتباك ويجعل الشعب في قلق وسخط وعدم استقرار وحينما يصل كل من الخطين الى نقطة معينة بأن يتم احكام التنظيم من جهة ويثور الغبار في وجه الحاكمين من جهة اخرى يشير ذلك التنظيم الشيوعي الى جناحه العسكري ان قد حانت ساعة الصفر فينقض ذلك الجناح بسلاحه وعتاده ويحتل مواقع السلطة ثم يندفع التنظيم بكلياته فيحيط بالثورة ليحميها وليمارس الدكتاتورية الثورية حاملا راية الاشتراكية الماركسية المرحلية التي تعتبر كل مواطن لا يدين بالماركسية من اعضاء الثورة المضادة • ويتساءل الشيوعيون الذين يقومون بهذا التحليل للثورات الشيوعية التي قامت في البلاد الاشتراكية ـ هل ما حدث في السودان ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ هو من هذا القبيل ؟؟ وقد يجيب بعضهم صراحة او تلميحا ان ما جرى في السودان يطابق من كل الوجوه ما جرى في الاقطار الاشتراكية من ثورات شيوعية فالحزب الشيوعي السوداني والمنظمات التابعة له قد بلغت درجة كبيرة من التنظيم قبيل ثورة مايو وتلبد الجو السياسي بالغيوم وانتشرت الاشاعات واستشرى الفساد وساد القلق والسخط فكان من البديهي ان يتصل الشيوعيون المنظمون بالعناصر المتجاوبة معهم في القوات المسلحة من الضباط الوطنيين شيوعيين او غير شيوعيين ليشجعوهم على تفجير الثورة المسلحة لتغيير الاوضاع وها هو الحزب الشيوعي السوداني وملحقاته قد التفت بالثورة بمجرد قيامها دون تردد لانها ثورية ولانه مشترك في تفجيرها وها هي الثورة نفسها تؤكد صحة ما يقولون فتقوم على حل كل الاحزاب والمنظمات مستثنية حزبهم ومنظماتهم واصفة جميع الوطنيين بالفساد ما عدا الشيوعيين من قادة الاحزاب والمنظمات •

ويقول بعضهم ان هناك تنظيما في القوات المسلحة وهو تنظيم الضباط الاحرار ولكنه كان بمعزل عن أي تنظيم شعبي مدني فالقوات المسلحة بحكم اوضاعها وقوانينها الصارمة وضبطها وربطها مغلقة على نفسها لا تكاد تتصل بالاوساط الشعبية الا في نطاق ضيق جدا ولا بد ان تكون صلتها بالسياسة او نقد اوضاع الحكومة القائمة في مجال محدود جدا وفي تكتم وسرية محكمة وبحسب التنظيم السري للضباط الاحرار ان يتمكن من الاتصال السري مع افراد القوات المسلحة نفسها ممن هم خارج التنظيم وممن تمكنهم ظروف عملهم وسكناهم من اللقاء السري بهم غير ان القوات المسلحة مع ابتعادها عن اللقاءات الشعبية فهي من صميم الشعب تحس باحساسه وتشعر بشعوره وتستطيع ان تقف على احوال الشعب عن طريق الاهل والجيران والاصدقاء ــ فهذا التنظيم العسكري الذي قوامه الضباط والجنود الاحرار دون غيرهم ظل يراقب احوال الشعب عن بعد ويتابع مؤامرات المتآمرين وفساد الفاسدين والصراعات الحزبية والتناقضات المذهبية ويحس بضيق الشعب وقلقه فلما رأى ان السيل قد بلغ الزبى وان الفساد قد طغى واستمع الى صراخ الشعب وانينه وتلهفه للانقاذ من السوء الذي يعانيه وقام ذلك التنظيم او بعبارة اصح قامت طلائعه بالثورة وتسلمت الحكم بالقوة واعلن قادة الثورة في اول لحظة من استيلائهم على كراسي الحكم مبادىء الثورة واهدافها وخط سيرها • وكانوا يتوقعون ان جميع الوطنيين المخلصين من قطاعات الشعب المختلفة سيبادرون ويلتفون حول الثورة ولكنهم دهشوا حينما تقاعس الكثيرون واحجم المخلصون واندفع نحوهم الشيوعيون ــ فاذا قصر بعض الوطنيين وتباطأ بعض المخلصين فهم الملومون ومع ذلك فلا يزال الباب مفتوحا على مصراعيه وفي العمل الثوري متسع للجميع •

واني ارجح ان القول الاخير هو الواقع فالثورة ثورة اشتراكية

عربية وليست بشيوعية ولا ماركسية قد اعلنت ذلك منذ البداية في صراحة كاملة ووضوح فاذا اراد ـ الشيوعيون ان يتبنوها بحجة ان الخطوات التي سبقتها او التي سلكها الحزب الشيوعي السوداني ومنظماته قبيل الثورة جاءت مطابقة من كل وجه للخطوات التي سارت عليها الثورات الشيوعية في البلاد الاخرى فقد تتشابه الخطوات وتتفق الاساليب وتلتقي طرق الكفاح ووسائل النضال مع اختلاف الاغراض والاهداف ـ واذا كان الوطنيون من قطاعات الشعب المختلفة قد تقاعسوا فان سبب ذلك ان الشيوعين بادروا فضربوا حول الثورة نطاقا واقاموا من حزبهم وصيا على الثورة وقالوا بلسان الحال وربما قالوا ايضا بلسان المقال انهم خططوا للثورة واعدوا تنظيماتها فهي ثورتهم فليس لغير الماركسي مكان في الثورة ـ وارتكبت الثورة خطأ كبيرا جعل الجماهير الوطنية ـ غير الشيوعية ـ يقتنعون بما يدعيه الشيوعيين ذلك حينما اعلنت حل جميع الاحزاب والمنظمات واستثنت الحزب الشيوعي والمنظمات التابعة له وحينما انبرت تشن حربا شعواء على جميع المواطنين دون استثناء وتصفهم بكل انواع السوء والفساد فجميع قادة الاحزاب وكل من تلوث حزبيا من الجماهير وكل من جلس في مقاعد البرلمان وكل من جلس في مجلس الوزراء كل هؤلاء قد خانوا الشعب وسرقوا قوته وعاثوا في الارض فسادا فينبغي ابعادهم وطردهم من ميادين الحياة الشريفة فشعر الجميع ـ مع ايمانهم بالثورة وموافقتهم على مبادئها وثقتهم في رئيسها ـ شعر الجميع انهم ادينوا وانهم ظلموا وان الثورة وضعتهم رغم انفهم في صف الاعداء وفي نفس الوقت احتضنت الثورة الحزب الشيوعي ومنظماته فابقتهم دون غيرهم يصولون ويجولون فهم يخطبون في كل ميدان ويعقدون الندوات في كل الاحياء ويتصلون بمن يشاءون فهم فصيلة الثورة التي تستحق كل رعاية وكل عناية ـ فانقسم الشعب ازاء الثورة الى ثلاث فئات فئة ناصرت الثورة والتفت حولها وقبلتها الثورة ورحبت بها وهم الشيوعيون

والانتهازيون وقليل من الوطنيين المخلصين • وفئة لم توافق على مبادىء الثورة فهي ضد الاشتراكية وضد الاتجاهات العربية وهم جماهير حزب الامة والاخوان المسلمون الحزبيون وفئة تضم العدد الكبير من الوطنيين المخلصين الذين كان لنضالهم اليد الطولى في ـ تحرير البلاد من الاستعمار وارساء قواعد الاستقلال وحماية البلاد من الانزلاق في مهاوي المؤامرات وانقاذ الشعب من المؤسسات الاستعمارية والمشاريع الاحتكارية قبل الاستقلال وبعد الاستقلال وهي الفئة التي تعتبر القاعدة الرئيسية للاتجاهات العربية والعنصر الاساسي الذي عبد الطريق للاشتراكية وحول التجارة والصناعة والاعمال من البلاد الرأسمالية الى الاقطار الاشتراكية وهذه الفئة مع اهميتها واصالتها ووفرة عددها واقتناعها باهداف الثورة تقف الان موقفا سلبيا مجمدة نشاطها مكتفية بالوقوف موقف المتفرج وهي متألمة كل الالم لموقفها شاعرة كل الشعور بانه موقف غير كريم ولا يليق بالوطني المخلص ولكنهم في حيرة من الامر فمن جهة يلاحظون ان الثورة في كثير من الاحيان تتصرف تصرفا يوحي بانها سائرة في الاتجاه الشيوعي في حين انها تصرح باستمرار انها اشتراكية عربية وتخطو في عديد من الخطوات في الطريق العربي والسلوك الاشتراكي النابع من واقع الشعب ودينه وخلقه فهذا الموقف المتارجح يجعلهم يتريثون فيظلون محافظين على موقفهم السلبي يراقبون ـ واحيانا يقولون ـ كيف نتقدم ونمد يدنا للثورة وهي مستمرة في وصفنا بالسوء وادانتنا على رؤوس الاشهاد ؟ وكيف نتقدم اليها ونحن في نظرها اعداء للثورة ؟ وكيف نتقدم اليها وهي واقفة مكانها لا تريد ان تمد يدها مع ان الواجب يقضي على من هو في مركز القوة ان يبدأ الخطوة الاولى ؟ ومن اين لنا لو مددنا يدنا ان يفسر ذلك تفسيرا صحيحا ولا يقال لنا ما قيل لبعض المواطنين الذين رفعوا شعارات الاتجاه العربي فقيل لهم انكم ثورة مضادة تختفي وراء هذه الشعارات ؟ ان الشيوعيون يحتكرون الثورية والتقدمية فكل من عداهم في نظرهم

رجعي كانما التقدمية في نظرهم لفظ يرادف الماركسية • وكل عمل وطني يشتركون فيه يدعون انه عملهم وحدهم وينكرون على شركائهم أي فضل فيه وكل جماعة تعمل معهم يتسلقون على اكتافها ثم يزعمون انهم هم صانعوها وهم قادتها ونحن لا نقصد من هذه الايضاحات الصريحة لمواقفهم واخلاقهم ابعادهم من الميدان ولكنا نريد ان يعرفهم الناس على حقيقتهم فلا ينخدعوا باقوالهم وتحركاتهم ونريد منهم ان يعلموا ان السواد الاعظم من الشعب السوداني لا يمكن ان يعتنق الشيوعية ما دام في قلوبهم محل للايمان وما دام في سلوكهم مكان للاسلام واذا تمسك الشعب بالاشتراكية فذلك لانها تتفق مع الاسلام وتخضع لتشريعه ولو اراد الشيوعيون ان يفسروا كلمة (علمية) في وصف الاشتراكية بانها اشتراكية علمية لو ارادوا ان يفسروا معناها التفسير الذي يذهب اليه الشيوعيون والذي يخرجها من دائرة الاسلام فان الشعب السوداني سيكفر بتلك الاشتراكية ويقضي عليها اما الاشتراكية التي تتمسك بها وندعو اليها ونجد فيها الحل الصحيح لمشاكل الشعب الاجتماعية والاقتصادية فهي الاشتراكية النابعة من واقع الشعب ودينه وخلقه وهي الاشتراكية التي يدعو لها الاسلام وتنطبق على فلسفته وتعاليمه واننا لا نريد ابعاد الشيوعيون من الميدان ولكن عليهم ان يعلموا انهم قطاع صغير ينحصر عددهم في اربعين او خمسين الفا من المواطنين لا اكثر من ذلك واين هذا العدد من شعب يزيد تعداده الاربعة عشر مليون ؟ عليهم ان يعلموا ذلك فيضعوا انفسهم في المكان الذي يتناسب مع وضعهم وبذلك خير لهم وابقى لمجتمعهم فقد كان الشعب في حاجة اليهم ايام الاستعمار يستفيد من نضالهم وكفاحهم ولا يلتفت كثيرا الى فلسفتهم واتجاهاتهم اما الان فاصحاب الفلسفة التي تتمشى مع واقع الشعب وعقائده وتقاليده هم الذين يقبلهم الشعب ويسير خلفهم ويستمع الى توجيهاتهم والشيوعيون بدون شك ليسوا من اولئك في قليل او كثير فعليهم ان يقفوا عند حدودهم •

وبعد هذا الكلام الذي لا تنقصه الصراحة وهذا التحليل الذي لا يخلو من الحقائق ـ مرها وحلوها ـ فاني اريد ايضا ان ابين واقول كلاما صريحا بعيدا عن الرياء والزلفى ـ ولا يخلو ايضا من الصراحة ان ثورة مايو الاشتراكية ثورة عظيمة جاءت معبرة اصدق تعبير عن تطلعات الشعب وآماله متجهة نحو انبل واشرف الاهداف والاغلبية الكبيرة من الشعب السوداني يؤيدها سواء منهم من اظهر التأييد او من جمد نفسه ورأيه ووقف الموقف السلبي او من لحقه ضرر في عمله او ماله فحمله ذلك على الوقوف موقف الحانق الغاضب ذلك في رأيي هو موقف الشعب من الثورة ـ ولكن مع ذلك ينبغي ان نعلم ان اولئك السلبيين وهؤلاء الغاضبين بل وحتى اولئك الانتهازيين المعلنين التأييد لا يزالون الى الان محافظين على ارتباطاتهم باحزابهم وهيئاتهم وتنظيماتهم وان ظهروا امام العين المجردة افرادا مبعثرين لاتجمعهم لجنة ولا تضمهم هيئة فان حل الاحزاب والهيئات وحده لا يحلها ولكن هذه الارتباطات تنحل وتتلاشى اذا وجد الشعب بديلا يرتبط به فايجاد التنظيم الشعبي وتأسيس الحزب الجماهيري اصبح امرا لا بد منه فهو السياج الذي يصون الثورة ويحميها ويحفظ كيانها ـ والاسلوب الذي تنتهجه الثورة لتكوين التنظيم الشعبي هو الذي يخرج السلبيين من سلبيتهم ويحرك الجامدين من صمتهم ويغسل قلوب الحاقدين من غيظهم ويرفع حصار الشيوعيين ويفتح المنافذ للوطنيين المخلصين وهناك امر لا بد من التنوية به فهو الضمان لحياة الثورة واندفاعها في طريقها الى تحقيق اهدافها وانتظام الجميع مسلكها حينما يرتفع عنها الحصار وتتفتح حولها الابواب وذلك ان اللواء جعفر محمد نميري رئيس الثورة يتمتع بقدر كبير من الثقة ويعترف الكثيرون له بالاخلاص في خدمة الشعب ورفعة البلاد والجميع يقدرون ما يلاقيه في طريقه من اتعاب ومشقات في داخل القطر وفي خارجه ويشعر الكثير منهم ان من واجب كل وطني مخلص اذ يبدي استعداده لتحمل المسؤوليات

في أي موقع يجد نفسه فيه ليدفع عجلة التقدم الى الامام في طريق العروبة والاشتراكية المتمشية مع مبادىء الاسلام ولكن هذه المواقف السلبية التي يقفها الكثيرون من شأنها ان تدمر البلاد او على الاقل تعرقـل مسيرة الشعب وتضع في طريقه الصخور والاشواك بل من شأنها ان تغرى اعداء البلاد في الداخل والخارج على وضع العقبات وتمكين الاستعمار مـن التشويش والتخريب • بل من شأنها اذا وجدت المناخ الملائم ان تجعل الثورة في عزلة وكل الثورات التي انعزلت عن الشعب وشعرت انها سائرة في طريق العزلة اضطرت الى سلوك طريق العنف والارهاب بدون رغبة منها ودون قصد سيىء بل يدعوها الرغبة في الحفاظ على نفسها والحرص على البقاء ان تسلك طريق العنف فتتحول الى دكتاتورية رهيبة •

وعلاج هذه السلبية التي تنتظم الجماهير الغفيرة الان يتوقف اولا واخيرا على الرئيس جعفر محمد نميري فهو وحده الذي يستطيع معالجة هذه الحال بما يتمتع به من ثقة واحترام الكثيرين واملهم في ان يتدارك الامر بحكمته وصراحته وشجاعته وحسن نواياه ورغبته في خدمة البلاد •

وارجو ايضا ان اشير هنا الى موقع السودان الفريد في نوعه والذي يجعله قبلة الانظار وموئل الاحرار وامل الكثير من الاقطار فالسودان يقـع في قلب القارة الافريقية ويجاور ثمانية من الدول الافريقية وهو القنطرة التي تعبر على متنها الاقطار التقدمية والتيارت الثورية والمشروعات العمرانية فهي تهبط من الشمال فتستقر في السودان ومنه ينحدر سيلها الى احشاء القارة عن طريق الدول المجاورة والسودان هو الحلقة التي تربط الافريقيين بالعرب فهو عربي يؤثر ويتأثر بالعروبة وهو افريقي تنظر اليه الشعوب الافريقية نظرة الزعامة الرشيدة والقدوة الحسنة كل هذه الاسباب ولغيرها من الاسباب التي لا مجال لسردها في هذا الكتاب تضع السودان في مركز خطير وترشحه لاداء رسالة العلم والنور في كل ميادين الحضارة والتقدم ولكي يقوم السودان برسالته القيادية هذه يحتاج الى قائد شجاع وزعيم

واسع الادراك واثق من نفسه وواثق من ارتباطه بشعبه يقوده قيادة حكيمة توحد اجزاءه وتجمع شتاته وترعى تراثه وتقاليده وتحافظ على دينه وخلقه وتجمع كلمته وذلك يحتاج الى صدر رحب وعقل خصب وصبر طويل فاذا استطاع من توفرت فيه هذه المؤهلات قيادة شعبه استطاع السودان ان يقوم برسالته القيادية في المجالين العربي والافريقي بمقدرة وكفاءة •



موقفنا من الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية

قد يظن بعض قصيري النظر ان هناك تعارضا بين رفضنا للشيوعية مذهبا وتحذيرنا للثورة من الانزلاق وراءها تحت ستار الاشتراكية الماركسية وبين تمسكنا بصداقة الاتحاد السوفييتي حكومة وشعبا فمن واجبي ان انبه ان هذا ظن خاطي ومنطق معوج فنحن نحتفظ للدول الاشتراكيــة على وجه العموم وللاتحاد السوفيتي على وجه الخصوص بصداقة متينة واحترام كبير فقد وقف الاتحاد السوفيتي حكومة وشعبا بجانب العرب في قضيتهم المصيرية موقفا عظيما بجميع امكانياته العسكرية والسياسيــة والاقتصادية وساعد مساعدة فعالة في بناء الجيوش العربية بالسلاح والعتاد والتعليم والتدريب حتى استطاع الجيش العربي ان يقف الان موقفــا ارتعدت له فرائض الصهيونية واهتزت له ارجاء الولايــات المتحــدة الامريكية كما ساهمت الدول الاشتراكية جميعها مساهمة واضحة فــي تركيز الحياة الاقتصادية والخبرات الفنيةــولكن ليس معنى هذا ان نعتنق الشيوعية او ان ندين بالمذاهب الماركسية اللينينية • فنحن نفرق بــين الامرين ونضع خطا واضحا فاصلا بين الدولة والشعب السوفييتي وغيره من الدول والشعوب الاشتراكية وبين المذهب الشيوعي والفلسفة الماركسية والاراء اللينينيةــواني واثق كل الثقة ان الاتحاد السوفييتي تهمه صداقتنا وحسن معاملتنا واستمرار تعاون بصدق واخلاص واحترام في شتى الميادين ولا تهمه اتجاهاتنا العقائدية ويكفي الاتحاد السوفييتي فيما اعتقد ان يستوثق دائما أننــا نقف بصلابة ضد الاستعمار على اختلاف أوضاعه

ووسائله واننا سنظل نعمل بقوة وشجاعة وحسن ادراك لتصفية الاستعمار من هذه المنطقة الحساسة واننا سنضع أيدينا دائما في أيدي الشعوب التي تكافح للتخلص من قبضة المستعمرين • واني واثق من ان اصدقائي من أقطاب البلاد الاشتراكية و فيمقدمتها الاتحادالسوفييتي ممن التقيت بهم في زياراتي المتكررة وممن اجتمعت بهـم في لقاءاتي في نطـاق المؤتمرات التقدمية في موسكو وصوفيا والقاهرة والخرطوم ونيو دلهي واستكهلم وبكين وكوبا لا يشكون في صدق تعبيري عن صداقة الشعب السوداني وصداقة اغلبية الشعـوب العربية للاتحاد السوفييتي وغيره من البـلاد الاشتراكية للموقف العظيم والمساندة الفعالة والمساعدات الجمة التـي قدموها وما زالوا يقدمونها للشعب العربي في قضيته المصيرية التي تقف جميع قوى الاستعمار والصهيونية فيها موقف العداء المستحم والعدوان الظالم ويعترفون لهم بالفضل ويقدرون وقوفهم بجانبهم كل التقدير مـع أنهم يعلمون أننا لسنا بشيوعيين ولا ماركسيين واننا لا نقبل الشيوعية عقيدة ولا نسمح بالمساس لعقائدنا وتقاليدنا وأعتقد أن هـذا الصراع الفكري العقيم وهذا النقاش الممزوج بالاثارة الذي يدفعنا اليه الحزب الشيوعي السوداني بسلوكه المثير ليس من مصلحتنا جميعا بل هـو في الواقع سيلحق ضرره بالشيوعيين المحليين وأخشى ما أخشاه أن يصيب علاقاتنا بالعالم الاشتراكي التي نحرص عليها كـل الحرص بشيء مـن الرشاش ـ وأرجو أن لا يقوم الحزب الشيوعي السوداني بدور الصديق الجاهل وأن يعلم أننا لا نوافق على مصادرة حرية الرأي ولكننا لا نسمح بافساد عقيدة الشعب وسنقاوم نشر العقيدة الشيوعية والآراء الماركسية في كل ما يتعارض مع ديننا وتقاليدنا ـ وحسبنا أن نقتدي بالجمهورية العربية المتحدة التي ترفع لـواء صداقتها المتينة للاتحاد السوفييتي والـدول الاشتراكية وتتعامل معها في كل الميادين وتعتمد عليها في كثير من الشئون وهي في نفس الوقت تحول دون تسرب المذهب الشيوعي الـى صفوف

الشعب وتضع في السجون والمعتقلات مـن يحاول افساد عقيدة الشعب ونشر الماركسية بين المواطنين ـ هذا مـن جهة ـ ومن جهة أخرى تقوم الجمهورية العربية المتحدة بجهود ضخمة لتوطيد دعائم الاسلام وتعميق فلسفته وتربية الشعب على أساس تعاليمه وشريعته مما جعلها بحق مركز القيادة والزعامة للعالم الاسلامي فلم يزدها ذلك الا رفعة ومكانة لـدى الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية جميعا .

 

بسم الله الرحمن الرحيم

« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور » .

صدق الله العظيم

بعد الفراغ من اعداد هذا الكتاب وقبل تقديمه للمطبعة اعلن الراديو بالقاهرة فجأة نبأ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فاصاب الناس ذهـول واقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن النبأ العظيم واطرقوا في حـيرة من الامر وعقد الخبر المفاجيء الالسنة فلم يراجع الناس انفسهم ويثوبوا الى رشدهم الا بعد ان دوى العويل والبكاء وارتفع صـوت الصراخ والنواح فامتلاء الاثير وهاجت الارض وماجت حتى خيل للمرء انه يوم الفزع الاكبر فقد ذهل كل امريء عن امه وابيه وغاب كل مواطن عن نفسه التي بين جنبيه وحينما حمل النعش من القاعة التي انطلقت منها ثورة عبد الناصر وساروا به الى مقره الاخير في المسجد الذي اشرف على تشييده عبد الناصر بنفسه كان النعش كالسفينة العالية الشراع وهي تشق عباب بحر من البشر لا يعرف له ساحل والناس يرددون « بالروح بالدم حنكمل المشوار » ، « بالجيش بالشعب حنكمل المشوار » والسفينة تتهادى بين الامواج البشرية وهي سائرة لتكمل المشوار ذلك المشوار الذي بدأه عبد الناصر من قاعة مركز قيادة الثورة بالجزيرة وسط الصخور والجبال وبين الوحوش والسباع غير مبال بمتاعبه ومشقاته غير آبه بحره وبرده غـير مكترث بزوابعه وصواعقه وهكذا سارت السفينة التي تقل الزعيم العظيم

من مركز قيادة الثورة بالجزيرة في بحر من البشر حتى « كملت المشوار » مشوار الحياة ورست في بر السلام في جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين •

وحمل الاثير النعي الحزين الى كل اركان الوطن العربي فكان صداه صرخات داوية ومواكب حاشدة وارتفعت اصوات العرب في كل مكان تعاهد البطل الشهيد وتشهده والله على ذلك شهيد انها ستسير في طريقه وتتمسك بمبادئه ، ووقف العالم اجمع في صمت واعتبار فقد مات واحد من العمالقة الافذاذ الذين اثر وجودهم في كل احداث العالم ومصائر الشعوب والذين يؤثر فقدهم في كل احداث العالم ومصائر الشعوب •

وانطلق دعاة الهزيمة داخل المنطقة العربية والشامتون خارج المنطقة العربية يروجون ان موت عبد الناصر قد ترك فراغا يعز علـى الشعب المصري بل وعلى الشعب العربي ملؤه لقد مات جمال عبدالناصر • ولكن هل كان جمال الا تجسيدا لعظمة شعبه ورمزا لكفاح امته وعنوانا لكتاب وطنه فاذا غاب الجسد او اختفى الرمز او انمحى العنوان فان الشعب باق بكل قدراته وطاقاته وان الامة باقية بكل تراثها وامجادها وان الوطن باق بكل ذكرياته المجيدة وتاريخه الحافل وهل كان جمال عبد الناصر الا قائدا يعمل متعاونا مع زملائه العظماء وهل كان الا معلمـا عاش وسط زملائه المعلمين وابنائه الدارسين فاذا رحل جمال عبد الناصر فان العلماء المفكرين والقادة الراشدين ممن حملوا معه الرسالة وشاركـوه في اداء الامانة وخبرهم وخبروه ان كل هؤلاء باقون ولعهده راعون وفي طريقه سائرون وفي مقدمة هؤلاء رفيقه وزميله الذي شاركه كل اطوار الكفاح وصنع معه هذا التاريخ المجيد الرئيس محمد انور السادات الذي اختاره الزعيم جمال عبد الناصر من بين زملائه نائبا له في وقت ادلهمت فيه الامور والتقت فيه حلقتا البطان فالتف حوله الان الشعب الوفي عرفانا بفضله وتأييدا لاختياره له •

اذا ذهبنا نعدد أمجاد عبد الناصر كل القلم ونضب المعين فقد كـان زعيما مثاليا عاش وهو الرجل الاول في العالم العربي كما يعيش متوسطو الحال من افراد الشعب منزل بسيط في مبانيه وحجراته بسيط في فرشه واثاثه وكان جمال نفسه بسيطا في مأكله ومشربه بسيطا في مظهره وملبسه حمل افراد عائلته على هذه الحياة البسيطة وحمل اخوانه واقاربه على ان يعولوا على انفسهم فليس لهم من الدولة الا ما لبقية الشعب •

وكان جمال حسن السلوك مترفعا عن سفاسف الامور وكان عظيما بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من معاني بل ان عظمته تنوء بحمل معانيها الالفاظ والكلمات فقد كانت عظمة شاملة متعددة النواحي ولو تتبعنـا سيرة الكثيرين من العظماء لوجدنا انهم برزوا في بعض النواحي بحيث تميز موقفهم وقصر عن اللحاق بهم الاخرون ولكننا نجدهم في نواحي اخرى رجالا عاديين او ربما وجدناهم فيها اقل من العاديين اما جمـال عبد الناصر فان عظمته يعترف بها الجميع فقد شملت كل الميادين فسبق عصره بعشرات السنين فقد تبوأ مركز الزعامة الحقة لا بالنسـبة للجمهورية العربية المتحدة ولا بالنسبة للبلاد العربية المتحفـزة ولا بالنسبة للعالم الاسلامي المتوثب ولا بالنسبة للعالم غير المنحاز المتجمع بل بالنسبة لهؤلاء جميعا فكان لاسمه دوي في كل دوائر العالم وكان لصوته رنين في كل اذ ان العالم فهو بلا ريب احد الافذاذ الذين لا يجود الدهر بالواحد منهم الا بعد كل قرن ليفتح امام معاصريه والاجيال اللاحقة الطريق الذي يسلكونه وهم يطرقون ابواب القرن التالي حتى اذا ما فتحت تلك الابواب كانت امته اول الداخلين ودخلت وهي مزودة بخبرة وتفكير وطاقات قائد من ابرز قادة القرن التالي وان كان يعيش وسط شعبه في القرن الحالي ذلك لان حلقة التقدم ينبغي ان تكون متصلة لاتنفصم ما دامت القافلة تسير الى الامـام •

كانت الامة العربية الى اواخر ايام الدولة العباسية يمتد رواقهـا من

الخليج الى المحيط وكانت وحدة متماسكة وهي عبارة عن عناصر مختلفة وجنسيات متعددة ولكنها انصهرت بالاختلاط والتزواج فاصبحت قومية واحدة ذابت فيها العنصرية ووحدت مشاعرها وطبائعها واخلاقها وطرق تفكيرها اللغة العربية التي يتكلم بها الجميع فكانت مرآة صافية تنعكس على الفاظها وتعابيرها مشاعر واحاسيس تلك الامة وزاد من تلاحمها التاريخ المشترك والتراث الحضاري المشترك والخلق الاسلامي المشترك ثم تفرقت الكلمة وجاء الاستعمار الغربي فمزق ذلك الوطن وجعله اوطانا متفرقة ومزق ذلك الشعب وجعله شعوبا متعددة واقام في كل وطن ولكل شعب داخل ذلك الوطن انواعا من الحكومات الخاضعة لسيطرة المستعمرين واستمر الحال على هذا المنوال اكثر من سبعة قرون فتلاشت القومية العربية وتمزقت الامة العربية ولولا قوة اللغة العربية وقوة الاسلام لاندثر الشعب العربي وذهبت ريحه ـ ثم اراد الله ان يغير ما بالعروبة من فرقة وشتات وما حل بها من ذل وحقار فهيأ الله لها اسباب النهضة وتحرك في وجدانها التراث المجيد وتحرك في دمها التاريخ الحافل فاندفع الشعب العربي يتحسس الطريق وتلفت يبحث عن القائد القوي الامين فاشرأبت رؤوس كثيرة وبرزت شخصيات كبيرة ولكن جمال عبد الناصر كان اصلبها عودا وابعدها شاؤا واصدقها تعبيرا فافسح له الجميع الطريق واسلموه القيادة وقد شهد التاريخ المعاصر ان جمال عبد الناصر قد بعث القومية بعد موتها وايقظ الامة العربية بعد نومها ونفخ من روحه القوي في ارجاء العالم العربي فبدأ الضعف يستحيل الى قوة واخذ الذل يتحول الى عزة وبدأ التراث المجيد يطل من خلف اسوار القرون الماضية ووقف العالم العربي من خلف عبد الناصر يناضل باصرار وصبر ليسترد ارضه التي اغتصبها الاعداء ويسترد ثقته التي زعزعها العملاء ويسترد عزته التي خدش كرامتها الجبناء ومات عبدالناصر والشعب العربي يقف على حافة المعركة الفاصلة امام عدو شرس لا خلاق له يسنده عدو مفتر بعدده

وعتاده وقف الشعب العربي بكل طاقاته وامكانياته خلف الجيش العربي الباسل الذي سهر عبد الناصر على اعداده وتسليحه وبذل كل قدارتـه في تدريبه وتنظيمه فهو الان يتأهب للقتال في شجاعة لا ترهب الموت بل تتمناه وفي ثبات لا يعرف التهور في اوقات الصبر والاناة وكان عبد الناصر زعيما اسلاميا عظيما امتدت يده الى الدائرة الاسلامية يدرس مشاكلها ويساهم في حلها وساعد دولها في كل مجال دولي وهو في نفس الوقت يدرك ان اختلاف الشعوب الاسلامية في اللغة والعنصر والمواقع الاستراتيجية والاحوال الاقتصادية وارتباطات بعضها بالقوى الغربيـة وبعضها بالقوى الشرقية ونزاعاتها في المذاهب الاسلامية كل هذه العقبات جعلته يتصل بها برفق وحذر شديدين ولعله كان واثقا من ان نجاح القومية العربية وتوحيد كلمة الامة العربية وانتصار العرب علـى الاستعمـار والصهيونية واسترداد الاماكن المقدسة الاسلامية كل ذلك سيكون خطوة كبيرة في تحقيق الرابطة الاسلامية لان العروبة هي في الواقع نقطة الاتصال بالنسبة للشعوب الاسلامية فقد اقتضـت حكمة اللـه ان يرسل رسول الاسلام لكل شعوب الارض ويختاره من الامة العربية وان ينزل كتابه لكل المسلمين على اختلاف السنتهم وينزله باللغة العربية وان يجعل القبلة التي يتجه اليها كل مسلم في الارض البلاد العربية ذلك لنعلم جميعا ان العروبة هي النواة التي يلتف حولها المسلمون فاذا عز العرب عز الاسلام .

لقد جعل عبد الناصر من الجمهورية العربية المتحدة وطنا لكل مناضل ومقرا لكل ثائر فاذا عصف المستعمرون بالثوار في أي مكان وضاقت بهم الارض بما رحبت ففي رحاب عبدالناصر يجدون الرعاية والعناية وفـي حماية عبد الناصر يستطيعون مواصلة الكفاح لاسترداد حريتهم فكانت زعامته شاملة لكل العرب ولجميع الافارقة الى كتفه يلوذون وتحت لوائه ينضودن وبظله يستظلون .

وقام عبد الناصر بتأسيس الاشتراكية النابعة مـن واقـع الشعب

العربي وعقيدته وتقاليده فكانت اشتراكية عربية تتفق مع الاشتراكيات الاخرى في الاسس ولكنها تنفرد في واقعها وتطبيقها فهي اشتراكية تقوم على اسس متينة من العقيدة الدينية والخلق العظيم والعمل على التقريب بين طبقات الشعب وحفزه لزيادة الانتاج وتوزيع منتجاته على بقية افراد الشعب بالعدل والانصاف فاصبح الفلاح اليوم مواطنا يشعر بكيانه ويعتز بنفسه واخوانه واصبح العامل يقف الى جوار صاحب العمل شاعرا بوجوده معتزا بانه هو العنصر الفعال لتحريك وسائل الانتاج واصبح التاجر والصانع والحرفي كل واحد من هؤلاء يشعر ان ليده ولفكره اثر كبير في سير دولاب الحياة السعيدة لنفسه ولشعبه واصبح المثقف يشعر انه العقل المفكر والخبير المرشد وان كل مصنع وكل مزرعة وكل عمل في حاجة الى فكره وعلمه وعقله واصبح الجندي يشعر انه حامي الوطن من الاعداء في الخارج والساهر على الامن والاستقرار في الداخل وان عظمة الدولة تتوقف على سلوكه وتضحياته وسلاحه وشعر الجميع ان العمل على توفير الرخاء واجب الجميع لان الرخاء يعم الجميع كل حسب عمله .

كان عبد الناصر قائدا ومعلما لكل الامة العربية وقد تبين ذلك لكل ذي عينين وهو يشاهد المواكب التي تضج بالبكاء والعويل في كل البلاد العربية ففي السودان وفي ليبيا وفي لبنان وفي سوريا وفي تونس وفي مراكش وفي الجزائر وفي موريتانيا وفي شبه الجزيرة العربية جميعها من الخليج العربي الى هضبات الاكراد ومن البحر الاحمر الى حوض دجلة والفرات مأتم في كل بلد عربي وحزن شامل وتقدير ما بعده تقدير والجميع يشعرون شعورا قويا ان عبد الناصر هو الزعيم الذي التف حوله العرب ووجدوا فيه القائد الشجاع والمعلم القدير والزعيم الذي اختلطت بمشاعره وتفكيره كل مشاكل الامة العربية وآلامها وآمالها فكان فقده صدمة قوية هزت كل جوانب الوطن العربي فانهمرت الدموع وتألمت الافئدة وانبعثت كلمة التوحيد التي تطفىء كل لوعة وتبعث الصبر في كل نفس « انا لله وانا اليه راجعون » .

والسودان الذي كان يترنح تحت نير الاستعمار والذي عجزت قادة مصر في ايام فؤاد وفي ايام فاروق ان تحل مشكلته وان تساعده علـى التحرر من الاستعمار بل كانوا جميعا يقولون ان السودان هو الصخرة التي تتحطم عليها كل مفاوضات مع بريطانيا لحل المشكلة المصرية ـ هذا السودان لم يكد يتسلم عبدالناصر مقاليد الامور في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ حتى استطاع مع زملائه الثوار وبفضل وعي الاحزاب السودانية الوطنية ونضالها ان يعطي السودان حق تقرير مصيره وذلك هو المفتاح الذي استطاع به السودان ان يفتح الابواب المغلقة وان يخرج من ظلمة الاستعمار الى الهواء الطلق هذا السودان لا يمكن ان ينسى لمصر فضلها ومجهودها الذي بذلته في سبيل تحريره وكان لعبد الناصر بدون شـك الفضل الاكبر ثم استمر عبد الناصر يعطي السودان محلا كبيرا من قلبه الكبير ويمده بكل اسباب الرعاية والعناية وشمله بعطفه وتأييده كلما احتاج الى نوع من العطف او نوع من التأييد هذا السودان سيظل عبد الناصر عالقا بقلبه الاجيال تلو الاجيال ومقدرا من شعبه القرون تلو القرون .

واني لا اريد ان اتكلم عن نفسي وما كنت القاه من الرئيس جمال من تقدير واجلال وما كنت اشعر به في كل مرة اجتمع به من عظمة وجلال مما جعلني من اشد السودانيين صلة به واكثرهم ارتباطا به وهذا امر اشير اليه لشعوري انه فخر لا يدانيه فخر ولا استطيع ان اعبر عما استولى على مشاعري من الحزن حينما ذهبت لمنزلـه لاداء واجب العـزاء لاولاده واخوانه فوجدتني بينهم في نفس الحجرة التي طالما جلست فيها الى جوار الفقيد العظيم كلما حللت بالقاهرة .

الا رحم الله جمالا رحمة واسعة وتقبله الله بقبول حسن بجـوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .



الإخراج الإلكتروني :
ابوبكر خيري

فهرس



المؤلف

- ولد المؤلف علي عبد الرحمن الامين بالخرطوم عام ١٩٠٦
- تخرج من كلية غردون التذكارية عام ١٩٢٦ وعمل بالقضاء الشرعي حتى عام ١٩٥٢ ثم استقال ورشح نفسه للانتخابات الأولى في سنة ١٩٥٤ وعين وزيرا للعدل في أول حكومة سودانية حققت الاستقلال . وظل وزيرا في كل الحكومات الوطنية البرلمانية التي تعاقبت حتى قيام الحكم العسكري عام ٥٨ . وعاد للوزارة بعد ثورة اكتوبر
- عمل رئيسا لتحرير جريدة المؤتمر وأسس جريدة الجماهير
- عضو المؤتمر الاسيوي الافريقي وعضو مجمع البحوث الاسلامية
- كان وزيرا للخارجية ونائبا لرئيس الوزراء عند قيام ثورة مايو ١٩٦٩
- من الاعضاء البارزين في مؤتمر الخرجين ومن مؤسسي حزب الاشقاء أول حزب وطني في السودان ورئيس حزب الشعب الديمقراطي
- يعتبر من اكثر الزعماء معرفة بشؤن جنوب السودان وعمل فترة طويلة بالجنوب عمم فيها الدعوة الاسلامية وأسلم على يديه عدد كبير
- وقف بعنف وهو رئيس لحزب الشعب ضد اجراء انتخابات في الشمال دون المديريات الجنوبية ودعا أنصاره لمقاومتها بالقوة باعتبار ان قيام برلمان شمالي سيعطي الحجة لدعاة الانفصال وللمستعمرين لتنفيذ مؤامرتهم بفصل الجنوب .. ورفض حزبه خوض الانتخابات في الشمال فأحدث ذلك اضطرابات عنيفة
- اعتقل على اثر ذلك واودع السجن الانفرادي بالخرطوم ثم حولت محاكمته لشرق السودان لاستنكار الرأي العام اعتقاله وواجه تهمة التحريض على القتل العمد . وعقوبة الاعدام .
- عاش في قلب الحركة الوطنية واثر فيها وله مواقف تاريخية مشهورة . عارض مشروع ايزنهاور الاستعماري لدول الشرق الاوسط حتى رفض وكان ذلك حافزا لبقية الدول العربية الاخرى لرفضه كما عارض المعونة الامريكية المشروطة والب البرلمان ضدها .. حتى سقطت
- عرف بمواقفه الصلبة من اجل العرب والقضية العربية وساعد عندما كان وزيرا للمعارف على انشاء جامعة القاهرة فرع الخرطوم
- له من تعليمه ودراساته الاسلامية والاجتماعية والسياسية وخبرته العلمية واتصاله بالجماهير ما يجعل لكتابه هذا مكانا مرموقا في عالم التاريخ والاجتماع والسياسة ، ووثيقة تاريخية ومنارة سياسية ، لما اتسمت به آراؤه وتحليلاته ونقده وملاحظاته من صراحة وشجاعة وصدق واخلاص



الثمن